كلية اللغة العربية بالقاهرة
(أصول اللغة)

علم الأصوات اللغوية

(ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم)

الفصل الصوتي ـ اللفظة المركزية
الاستفهام الخبري ـ الخبر الاستفهامي
ظاهرة استحضار الصورة

تصنيف
الدكتور / أحمد عبد التواب الفيومي

المكتبة الأزهرية للتراث - الجزيرة للنشر والتوزيع
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
ت : ٢٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٩/٢٣٢٠٥
بتاريخ ١٤/١٢/٢٠٠٩

" تقدمة "

الحمد لله ذي المنطق الفصيح والبيان اللغوي المعجز البديع الذي جعل القرآن حَكَمًا ودستورًا والسنة النبوية والحديث النبوي الشريف نورًا وضياءً وأشهد أن لا إلهَ في الكون والوجود والحياة إلا الله المشهود المعهود ولا إلهَ في الأجواء والآفاق إلا الله ولا إلهَ في الأرض ولا إلهَ في السماء إلا الله المشهود المعهود الخلَّاق العليم والرزاق المتين والمُجير المغيث والشافي المعافي من كل رجز وداء وآفة والمُبدع المصور والرقيب الحسيب القامع للطغاة الظالمين والمُؤَمِّن لعباده المتقين والمجاهدين في سبيله .

سبحانه المُقَرِّر أن الحياة في الدِّين الإلهي الكريم تقوم على المصداقية والأمانة والعفة والطهارة من جهة وعلى المعروف والتآخي والتراحم من جهة أخرى ــ وأن الأمور في الدِّين أي الأمور المعتمدة والمعتبرة شرعًا توزن بصدق النوايا الخيرة ويعول فيها على إخلاص القلوب ثم بالعمل الإصلاحي أو الخَيِّر الجاد والبنَّاء على أرض الواقع وعَوَّل في الإجارة والتغيير والإصلاح على إقرار الحق وإرسال العدل وعلى قوة القيم الحقة القويمة لا على قوة الأجساد ولا على قوة العتاد . فهذا هو الذي يرتضيه رب العالمين ويتقبله ويحبه ويشكره .

وصلاة وسلامًا على خير من نطق بالضاد وأوتي الحكمة بجوامع الكلم . وسلام الله على آل بيته الأطهار ورضوانه سبحانه على صحابته الأعزاء الأخيار الأبرار والتقاة الصالحين أئمة وقدوة المهتدين بهدى رب العالمين .

وبعد ..

لقد تضمن القرآن الكريم الكثير من الظواهر الصوتية الخلَّاقة والبديعة في بابها والتي منها :

ــ ظاهرة الفصل الصوتي التي تتمثل في وقفات خفيفة وسكتات لطيفة بين جنبات التراكيب لتمايز المعاني .

ـــ وظاهرة اللفظة المركزية التي ترتبط بما تقدمها وما تأخر عليها وتجعل من القرآن عقدًا منظومًا وكأنه جملةٌ واحدة وقد تَنَزّل بمرة .

ـــ وظاهرة الاستفهام الخبري وهو الاستفهام المتضمن لمعنى الخبر .

ـــ وظاهرة الخبر الاستفهامي وهو الخبر المتضمن لمعنى الاستفهام مما يُنْبِئ عن اعتماد القرآن للحوار والمناقشة والأخذ والرد تنبيهًا وإيقاظًا واستشعارًا ومشاركةً ومعايشة حَيَّة .

ـــ وظاهرة استحضار الصورة التي تَرَى من خلالها أن القرآن يخاطبك أنت خطابًا مباشرًا ويناشدك أنت ويحذرك ويتوعدك أنت ويُنَدِّد بك أنت ويواسيك أنت ، تلك الظاهرة التي نَقَل بها القرآن الخطاب إلى العالم المعاصر والعصر الحاضر وانتقل بها عن الزمن الغابر بكل عبقرية وإبداع نقله عجيبة بديعة .

ويتم نقل الصورة وخطاب الناس خطابًا مباشرًا فيه مواجهة ومجابهة شديدة ، ذلك بواسطة الأداء والتنغيم الصوتي . ولقد رصد البحث هذه الظواهر رصدًا على نحو فيه إحصاء واستقصاء في لطافة وحكمة ودقة وتشخيص وجلاء .

تلك الظواهر التي تثرى علم الأصوات اللغوية وتَدْخُل إلى ساحته بكل قوة وجدية وكفاءة وتنبئ عن عِظَم مكانته وتؤكد على شدة أصالته وقوة أهميته في الدرس اللغوي والحاجة الملحة والضرورية إليه .

كما لم يفت البحث استعراض الفكر الصوتي التراثي اللغوي والقرآني لرواد اللغويين القدامى على نحو مستفيض وأبان عن تطوره على يَدَ ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) وألحق به الإشارات المتناثرة في بطون كتب اللغة لقضايا وظواهر لغوية عزيزة مثل ظاهرة النبر الصوتي والمقطع الصوتي وفِطْنة ابن جنى (ت ٣٩٢هـ) إليها واستشفافه لها واهتدائه الحكيم إليها وتعبيره الدقيق عنها .

هذا وبالله التوفيق .

أ . د / أحمد عبد التواب عبد الله

القسم الأول

علم الأصوات اللغوية

(الفكر الصوتي التراثي والتجويدي)

أولاً : (علم الأصوات العربي : تطور وتاريخ)

علم الأصوات كما جاء في كتاب " علم الصوتيات " : هو العلم الذي يدرس الصوت الإنساني من وجهة النظر اللغوية " [١] .

(عمل أبى الأسود الدؤلي وكيف كان مدخلاً للدراسة الصوتية)

ولقد تمثلت بداية هذا العلم في تلك المحاولة التي قام بها أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو بن سفيان ت ٦٩هـ) لنقط المصحف ، وضبط أواخر كلماته وألفاظه حتى يتمكن الناس من النطق بكتاب الله نطقًا صحيحًا بلا تغيير لحركات أواخر كلماته ، إذا كان المحدد في هذا العمل وتلك المحاولة لمكان النُّقْطَة ، وموضعها من الحرف من كونها فوقه ، أو تحته ، أو بين يديه هو : ما يصحب الحرف من فتح الفم ، أو الشفتين ، أو ضمهما، أو انفراجهما عقيبه ، فلقد حكت كتب اللغة عمل أبى الأسود الدؤلي والدوافع إليه بما لفظه " أخذ أبو الأسود الدؤلي عن عَلِيّ بن أبى طالب ﷺ العربية ، فكان لا يخرج شيئًا مما أخذه عن عَلِيّ بن أبى طالب ﷺ إلى أحد حتى بعث إليه زياد : اعمل شيئًا تكون فيه إمامًا ينتفع الناس به ، وتعرب به كتاب الله ، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئًا يقرأ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ﴾[٢] (بالكسر) فقال : ما كنت أظن أن أمر الناس صار إلى هذا ، فرجع إلى زياد فقال : أنا أفعل ما أمر به الأمير ، فليبغني كاتبًا لقنا يفعل ما أقول ، فأتى بكاتب من عبد القيس ، فلم يرضه فأتى بآخر قال أبو العباس (محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥هـ) : أحسبه منهم ، فقال له أبو الأسود : " إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف ، فانقط نقطة فوقه على أعلاه ، فإن ضممت فمي ، فانقطْ نقطة بين يدى الحرف ، وإن كسرت ، فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإن أتبعت شيئًا من ذلك غنة ، فاجعل النقطة نقطتين " (فالابتدأ

---

(١) علم الصوتيات ، للدكتور عبد الله ربيع ، والدكتور عبد العزيز علام ، ص ١١ ط القاهرة ١٩٧٧م .

(٢) سورة التوبة الآية ٣ .

بالمصحف حتى أتى على آخره) (١) .

ومن هذه الحكاية يتبين أن التحركات العضلية المُعيَّنة ، والمختلفة لأعضاء النطق في النطق بأصوات الحركة هي التي حملت أبا الأسود على المغايرة بين أمكنة النُقَط ، وتعددها ، لتعدد تلك التحركات العضلية التي تصحبها ، فما يصحب النقطة التي فوق الحرف من تحركات عضلية يختلف عما يصحب النقطة التي أمام الحرف ، أو بين يديه ، وعنهما يختلف ما يصحب النقطة التي وُضِعَت تحت الحرف من هذه التحركات العضلية المُعيَّنة.

فالنُقَطُ في ذاته اتخذ إشارة إلى هذه التحركات العضلية التي تصحب النطق بالحرف ، أو تحدث عقيبه ، ومكان هذا النقط وموضعه المعين اتخذ إشارة إلى حركات عضلية بعينها — في العدول عنها إلى غيرها تجاوز للصواب ، بل يعد هذا العدول لحنا .

ومن هنا مثلت محاولة أبي الأسود هذه الطور الأول من المرحلة الأولى من مراحل علم الأصوات العربي ، إذ بها قد لفت الأنظار إلى جهاز النطق ، واختلاف تحركاته ، وما ينجم عنها من اختلاف الأصوات الصادرة عنه ، فكل صوت يصحبه تحركات عضلية خاصة لا يكاد يشاركه فيها كلية صوت آخر .

---

(١) أخبار النحويين البصريين ، ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض ، لأبي سعيد السيرافي — تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا ، ص ٣٤ — ٣٥ ط الأولى القاهرة ١٤٠٥ = ١٩٨٥م .

وانظر المحكم في نقط المصاحف ، لأبي عمرو الداني — تحقيق الدكتور عزّة حسن ص ٤، ٦ — ٧ ، ٤٣ ط دمشق وكتاب النقط (ضمن كتاب المقنع في رسم المصحف) للداني — تحقيق محمد الصادق قمحاوي ص ١٢٩ ط القاهرة والفهرست لابن النديم ص ٦٠ ط القاهرة سنة ١٣٤٨هـ ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لابن الأنباري — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٩ ط القاهرة ١٣٨٦ — ١٩٦٧م .

وأنباه الرواه على أنباه النحاة ، للقفطي — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١/ ٥ ط الأولى القاهرة ١٣٦٩هـ — ١٩٥٠م .

(جهود الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) في الدرس الصوتي واللغوي)

ومن بعد أبى الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) جاء الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) وقد " أراد (أن يضع مؤلفا) يعرف به العرب في أشعارها ، وأمثالها ، ومخاطباتها ، وألا يشذ عنه شيء من ذلك " [١] ووجد الحروف التسعة والعشرين " منها أبنية كلام العرب " [٢] وعليها " مدار .. ألفاظهم ، ولا يخرج منها عنه شيء " [٣] .

وقد نظر فرأى أن أبا الأسود الدؤلي قد اعتمد في نقط المصحف ، وضبط أواخر كلماته على أساس صوتي بحت قوامه ملاحظة تحركات أعضاء النطق ، ووصل بذلك إلى ما أراد ، وخرج عمله في غاية الدقة والإحكام .

فأراد الخليل أن يقوم عمله على أساس صوتي ، كما قام عمل أبى الأسود الدؤلي ، فأخذ يلاحظ تحركات أعضاء النطق ، كما لاحظ أبو الأسود في النطق بهذه الحروف ، والتي هي أساس للوصول إلى مبتغاه من حصر ألفاظ اللغة ـــ من آنٍ لآخر ، حتى تَحَصَّل لديه ترتيب آخر لهذه الحروف غير الترتيب الذي خلفه نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩هـ) عُرف هذا الترتيب فيما بعد بالترتيب الصوتي [٤] وأبان الليث بن المظفر عن الطريقة التي اتبعها الخليل ، واهتدى بها إلى هذا الترتيب ، الذي أقام عليه عمله ، وبنى عليه معجمه بما نصه " .. وإنما كان ذَوّاقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف (يعني بهمزة الوصل) ثم يظهر الحرف نحو : أبْ ، أت ، أح ، أع ، أغ.."[٥].

---

(١) كتاب العين ، للخليل بن أحمد ـــ تحقيق الدكتور عبد الله درويشي ١/ ٥٢ ، ط بغداد سنة ١٩٦٧م .

(٢) المرجع السابق ١/ ٦٦ .

(٣) المرجع السابق ١/ ٥٢ .

(٤) راجع هذا الترتيب في المرجع السابق ١/ ٥٣ ، ٦٥ ، وقارن الكتاب ، لسيبويه ـــ تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون ٤/ ٤٣١ ، ط القاهرة ، وسر صناعة الإعراب ، لابن جنى ـــ تحقيق الأساتذة ومصطفى السقا ، محمد الزفزاف ، إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ١/ ٥٠ .

(٥) كتاب العين للخليل بن أحمد ١/ ٥٢ .

وليس هذا ما كان من الخليل بن أحمد من جهد صوتي وكفى ، بل انطلق يُبَيِّن مواضع النطق بهذه الحروف التسعة والعشرين ، ويحدد مدارجها وأحيازها [١] واضعًا لذلك الألقاب ، والمصطلحات التي تدل عليها ، وتشير إليها [٢] كما لاحظ أن الألف والواو والياء تمثل مجموعة مستقلة عن باقي الأصوات ، وأن لها خصائصها وسماتها الخاصة [٣] كما لاحظ أن هناك علاقة صوتية وطيدة بين الفتحة والألف ، وبين الضمة والواو ، وبين الكسرة والياء ، وقد هدته هذه الملاحظة إلى تطوير طريقة أبي الأسود وتعميمها ، فَحَوَّل نَقْطَه الذي وضعه للدلالة على الفتحة أو فتح الفم ، والضمة والكسرة إلى العلامات المشهورة المستعملة اليوم في الكتابة .

كما وجد أن الرمز " أ " ذا دلالة مزدوجة ، فهو يدل على الصوت الاحتباسي الحنجري ، كما يدل على المد الألفي الأمر الذي قد يوقع في اللبس ، فكان أن ابتكر أو بعبارة أخرى حدد دلالة الهمز ووضع رمزًا للصوت الاحتباسي الحنجري [٤] كما لاحظ أن الصوت قد يتكرر بعينه ، ويمتزج الأول بالثاني في النطق ، ومن ثمّ وجد أنه في حاجة إلى علامة لتدل عليه ، إذ ذاك ظاهرة صوتية تعرض للأصوات في بعض أبنية الكلم ، فهي تحتاج إلى ما يدل عليها ويُشَار به إليها فكان أن وضع ما اسماه بالشدة [٥] لتكون علامة على تكرار الحرف [٦] ومد الصوت به [٧] .

وفوق هذا لفت الأنظار إلى المنهج المقارن في الدرس اللغوي حيث قال " ليس في شيء من الألسن ضاد غير العربية " [٨] .

فالخليل ابن أحمد هو أول من اسمى العربية لغة الضاد ذلك أن الضاد

---

(١) كتاب العين للخليل ١/ ٥٧ ــ ٥٨ ، ٦٤ ــ ٦٥ .
(٢) المرجع السابق ١/ ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ .
(٣) المرجع السابق ١/ ٥٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .
(٤) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ٢/ ١٧١ ط بيروت .
(٥) المرجع السابق ٢/ ١٧١ .
(٦) انظر كتاب العين للخليل بن أحمد ١/ ٥٤ ــ ٥٥ .
(٧) انظر المرجع السابق ١/ ٦٣ .
(٨) كتاب العين ١/ ٥٩ (المقدمة) .

العتيقة تنفرد بمخرج خاص لا يشاركها فيه حرف آخر ولا يُنْطَق منه حرف في أي لغة من اللغات مما جعلها عصية للغاية على العجم وليس في لغة من اللغات صوت يعادل الضاد العربية في عتق صوتها وقوته وشدته ومتانة جَرْسه ونطقها التاريخي العتيق يتطلب كثرة مران وممارسة ومزاولة وشدة تدريب .

والضاد في أصل اللغة بمعنى العتيق العتيد من النَّعام .

كما أنه قد وضع علم العروض (قواعد نظم الكلام) كاملاً ووضع أول معجم كامل للغة على أسس عملية ورتبه ترتيبًا صوتيًا أي حسب الحرف الأبعد في المخرج وأخذ فيه بنظام التقليبات حيث تُذْكَرَ الكلمة ومقلوباتها في موضع ومكان واحد كما ميز في العروض بين الأوزان المهملة والأوزان المستعملة ، وذكر أن همزة الإيصال هي الحرف السُّلَّم والعماد .

ووضع رموز الحركات المتعارف عليها الآن وعَمَّمها على جميع حروف الكلمة بالنظر إلى فتح الفم أو الشفتين وإلى ضَمَّة وإلى كسره أي انجرار اللحي السفلي إلى أسفل . وحدد مخارج وأحياز الحروف على نحو كامل بيِّن ورتبها صوتيًا حسب المخارج . وأبان عن كثير من صفاتها وخصائصها النطقية ، ووضع رمزًا خاصًا للهمزة (ء) رأس عين صغيرة ووضع رمزًا للحرف المدغم في غيره وهو المسمى الشدة .

وشارك مشاركة فَعَّالة وبناءة في إقامة صرح النحو العربي وغيره من دراسات لغوية . ومن أفكاره الصوتية أنهم لاحظوا في صوت الجُنْدُب مَدًا فقالوا : صَرّ وفي صوت البازي تقطيعًا فقالوا : صَرْصَرَ فالأصوات وضعت على وفق ونسق المعاني والدلالات المرادة من اللفظ .

ووضع بذرة علم اللغة الاجتماعي فقد أراد أن يعرف العرب في مخاطبتها وأشعارها وأمثالها أي من خلال ذلك يتعرف على عادات العرب وتقاليدهم الاجتماعية فمن أراد أن يعرفَ العرب فليقرأ أشعارها ومخاطباتها ومكاتباتها وأمثالها .

وضع مصطلح الرفع والنصب والجر والجزم كعلامات للإعراب في مقابل الضم والفتح والكسر والسكون كعلامات للبناء . كما ذكر أن لفظ أشياء منعت من الصرف مراعاة للأصل لأنها في أصلها من باب حمراء على مثال

فَعْلاء (شيئاء) فقدمت اللام على الفاء فصارت أشياء على مثال لفعاء وليست على مثال أفعال كما قيل . كما ذكر أن كثيرًا من الأدوات في النحو مركب من لفظين مثل هَلُمَّ المركب من هاء التنبيه و " لُمَّ " .

لفظ " شاك " أصله شائك ثم شاكئ أعلت الهمزة بقلبها ياء فهي على وزن فالع لا فاعل كما قيل ، وأرسى أصول نظرية العامل ومد فروعها وأحكامها فهو الذي قد أكّد على ما أسمى بالعامل وأخذ يتتبع أحوال وطبيعة هذا العامل من ذكر وحذف وكذا المعمولات ، كما أنه خَرّج وحلل الكثير من التراكيب المستعصية على اللغويين وعالج وتعدد وجوه الإعراب (النصب على المدح ــ النصب على الذم) .

(جهود سيبويه " عمر بن بشر ت ١٧٥هــ " في الدرس الصوتي)

لما التقى سيبويه (ت ١٨٠هــ) بالخليل (ت١٧٥هــ) بعد أن فارق عيسى ابن عمر الثقفي البصري (ت ١٤٩هــ) والذي عنه أخذ الخليل [(١)] كما أخذ سيبويه [(٢)] حاملاً معه كتابه الجامع في النحو الذي ألفه عيسى بن عمر[(٣)] لقّنه وأملا عليه أسس هذا العلم ، ووضع يده على أصوله ، وفتح له مغالقه .

وقد مكن هذا سيبويه من تفسير كثير من ظواهر اللغة تفسيرًا مقبولاً ودراسة قضاياها دراسة صحيحة بل بالغة الغاية في الدقة والإتقان ، والنضج، والكمال ، لأنه لأداتها ملك ، وعلى وسيلة الكشف عن كنهها وَقَف، وعرف ما عليه قامت ، وما به كانت .

ولولا معرفة سيبويه للأصوات لوقف أمام كثير من ظواهر اللغة مكتوف الأيدي ، أو لضل الطريق الصحيح في دراستها ، والكشف عن كنهها .

ولقد سجل سيبويه ملاحظات استاذه الخليل ، وما أدخله عليها من

---

(١) أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٤٩ ، ومراتب النحاة لأبي الطيب اللغوي ٥٤ .

(٢) أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٦٤ ، ووفيات الأعيان لأبن خلكان ٣/ ١٥٤ .

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ١٥٥ .

تهذيب ، وما أضافه إليها من معلومات وأفكار من عند نفسه فضلاً عن تمكين القول فيما أُمْلِيَ عليه ـــ سجلها في مواضع متفرقة من كتابه .

ومن هذا كله يمكن القول : بأن الخليل بن أحمد أول من توصل إلى النظام الصوتي للغة العربية ، ووضع يده عليه ، وأبرزه للناس بعد أن كان مجهولاً ، وأن على يديه كان الميلاد الحقيقي لعلم الأصوات العربي فهو الذي وضع أسسه وأصوله في صورة ملاحظات مجردة انتقل بها سيبويه من مجال التجريد إلى مجال التطبيق ، فكانت المرآة التي ينظر من خلالها إلى ظواهر اللغة ، والمفتاح الذي يتوصل به إلى كنه قضاياها ، والأداة التي يستعين بها في دراسة مسائلها . " وقد كان منهج الخليل وتلميذه سيبويه من بعده في معالجة الأصوات . منهجًا وصفيًا قائمًا على الملاحظة الذاتية ، والمشاهدة والاستقراء ، وكانت كتابتهما هي الأصل والمرجع الأول لكل من جاء بعدهما " (١) .

وما سجله سيبويه في كتابه من ملاحظات صوتية أملاها عليه الخليل ، وما أضافه إليها من أفكار ومعلومات من عند نفسه يمثل الطور الثاني من أطوار المرحلة الأولى من مراحل علم الأصوات العربي .

وسيبويه عمرو بن عثمان بن قُنْبُر (ت ١٨٠هـ) شيرازي فارسي الأصل صاحب الكتاب الفريد في علم النحو والصرف والأصوات الذي هو غاية في الدقة والاستقصاء والتحري والتحقيق والتدقيق وقد عول على الملاحظة الذاتية الدقيقة والتأمل والاستنباط وتَمَيَّز بالتحليلات الجيدة والرائعة.

فهو عالم اللغة والنحو والأصوات والمعاجم وكان دائمًا يؤكد على أن اللغة لم تؤخذ إلا عمن ترتضى عربيته أو يوثق بعربيته . وقد أحسن تقسيمات كتابه وتفريعاته وأجاد وأتقن صياغته وتحليلاته وتعليلاته على نحو ينم عن عمق واتقان ودراسة ودقة فهم وحكمة في التحليل وجَوْدة في العرض وقد غلب عليه طابع الاستفتاء والاستفسار .

وله مصطلحاته الخاصة كالبيان والتَّبَيُّن واسم المكان المشتق وعطف

---

(١) علم الصوتيات للدكتور / عبد الله ربيع ، والدكتور / عبد العزيز علاّم ٦٨ .

النسق (الشِّركة) وحروفه حروف الإشراك والتوكيد المكرر وغير المكرر (اللفظي والمعنوي) ومجارى أواخر الكلم (الإعراب والبناء) .

وقد اهتم بنظرته العامل والتوضيح الجم للباب الذي يتحدث عنه بالأمثلة الوافية وما يعمل منها مذكورًا أو محذوفًا مضمرًا وحذف العامل (الفعل) وبقاء عمله وقد اتسع في الحديث عن هذا الباب كما عرض لباب حذف المعمولات وأخذ بمبدأ التعليل والتوجيه إلى حد بعيد سواء في النحو أو في الصرف ـــ وفي الصرف حصر أبنية الأفعال والاسماء المجردة والمزيدة (٣٠٨ تفعيلة) ومن هنا قال أبو عثمان المازني " من أراد أن يكتب كتابًا في النحو بعد سيبويه فليستحي " .

(جهود الجاحظ " أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـــ " في الدرس الصوتي) :

بعد سيبويه بدأ الطور الثالث والأخير من هذه المرحلة على يد العالم اللغوي الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ت ٢٥٥هـــ) إذ جاء هذا العالم وقد طالع ما كتبه الخليل وسيبويه ، فوجد أن جانبا من جوانب الدرس في هذا العلم لم ينل قسطًا كافيًا من البحث والدراسة ، فأراد أن يقوم بهذا العبأ ، وأن يحمل على عاتقه معالجة ذلك الجانب ألا وهو مسألة أو قضية " تغير الأصوات " فسيبويه وإن بدأها بما كتبه تحت ما اسماه الحروف غير المستحسنة ، ولا كثيرة في لغة من تُرتَضَى عربيته ، ولا تُستَحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر [١] إلاّ أن الجاحظ قد عرض هذه القضية عرضًا جديدًا بحيث يستطيع المتتبع لحديثه أن يُؤَرِّخ لها ، وأن يحدد أبعادها ، ويكشف عن علة وسبب وقوعها ، وموقف العلماء منها .

إذ قد عرضها في صورة حكايات وأخبار ، وطرائف لغوية ، مرتبطة بأصحابها ، وبمن وقعت منهم [٢] ، كما أنه لم يغفل مسألة أخرى ذات صلة وثيقة بهذه المسألة وهي مسألة العيوب اللسانية من لثغة ورتة وغيرهما [٣]

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٢ .
(٢) راجع في ذلك البيان والتبيين ، تحقيق وشرح الأستاذ / محمد عبد السلام هارون ١/ ٧٠ ـــ ٧٤ ، ٢/ ٢١١ ط الثانية القاهرة ١٣٨٠هـــ ـــ ١٩٦٠م .
(٣) المرجع السابق ١/ ١٢ ، ١٥ ، ٣٤ ـــ ٤٠ .

فدرسها هي الأخرى أيضًا في صورة أخبار وحكايات [١] ، كما أنه تحدث عن أثر العادات اللغوية للشعوب في نطقهم بأصوات العربية فقال ".. ويقال في لسانه لُكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب ، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول " [٢] فلكل شعب عاداته في النطق بالأصوات بها يتَمَيَّز ، ومن خلال ملاحظاتها يمكن معرفة الجنس الذي إليه ينتمي ، وعبر الجاحظ عن هذا بقوله : " وقد يتكلم المغلاق (أي الذي يستعصى عليه الكلام) الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ، ويكون لفظه متخيرًا فاخرًا ، ومعناه شريفًا كريمًا ، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نَبَطيّ ، وكذلك إذا تكلم الخراسانيُّ على هذه الصفة ، فإنك تعلم مع إعرابه ، وتَخير ألفاظه في مخرج كلامه أنه خراسانيٌّ .. " [٣].

كما أنه لم يَنْسَ جانب المقارنة في الدرس الصوتي فنراه يَنْقُلُ عن الأصمعي (عبد الملك بن قريب ت ٢١٤هـ) قوله : ليس للروم ضاد ، ولا للفرس ثاء ، ولا للسريان ذال " [٤] .

كما تحدث عن مسألة اقتران الحروف وما يصح تجاوره من الأصوات، وما لا يصح فيه ذلك [٥] . كل هذا عرض له الجاحظ في كتابه "البيان والتَّبَيُّن " . على أن الناظر في كتابه " الحيوان " يجد كثيرًا من المعلومات والأفكار الصوتية أيضًا [٦] .

(جهود أبى الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ في الدرس الصوتي)

ومن بعد الجاحظ انتقل البحث الصوتي إلى مرحلة جديدة على يد العالم العبقري الفذ ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ) فقد خطا هذا

---

(١) المرجع السابق ١/١٤ ـــ ١٨، ٢٢ ، ٣٦ ، ٥٧ ، ٧١ـــ٧٢ ، ٢/٢١٠ـــ٢١١.
(٢) المرجع السابق ١/ ٣٩ ـــ ٤٠ وانظر ١/ ٧٠ .
(٣) المرجع السابق ١/ ٦٩ .
(٤) البيان والتبيين ١/ ٦٥ .
(٥) المرجع السابق ١/ ٩٦ .
(٦) كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ ـــ تحقيق وشرح الأستاذ / عبد السلام هارون ٤/ ١٩١ ، ٢٠٣ ، ٢٧٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٨ ، ٥/ ٥٧ ، ٢٨٩ ، ٣٠٧ ـــ ط الحلبي القاهرة .

العالم بعلم الأصوات العربي خطوة لا تقل شأنا عن الخطوة التي بدأها الخليل بن أحمد من حيث عظم القيمة ، وقوة الأثر ، وذلك بتأليفه كتابه " سر صناعة الإعراب " ففضله على هذا العلم كفضل الخليل إن لم يَفُقْهُ ، ويتقدمه فيه ، إذ لولاه لانطفأت شعلته ، أو على الأقل لبات هذا العلم جزءً من علم النحو ، وما كُتب له الاستقلال ، والتميز على مر العصور والأزمان .

فلقد قام ابن جني بجمع الأفكار والمعلومات الصوتية المتناثرة هنا وهناك في بطون كتب اللغة وخاصة ما كتبه الخليل (ت ١٧٥هـ) وسيبويه (ت ١٨٠هـ) وأستاذه أبو علي الفارسي (الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ت ٣٧٧هـ) فضلاً عما أملاه عليه ــ وتمكين القول فيها ، وتوضيح الغامض منها ، والاستدلال لصحة ما سِيْقَ منها غفلاً دون أن يُدْعَم بالدليل وقام بعرضها ودراستها عرضًا يتسم بالاستقصاء والإحاطة والتتبع الدقيق ، وذَكْر المقدمات التي تتبعها نتائجها فيقف الدارس على كنهها دون كبير عناء أو مشقة ، وهذا طرف من حديثه يوقفك على جهد ابن جني ومدى مشاركته في تقدم هذا العلم معروضًا بأسلوب مُبَسَّط متصرفًا فيه بعض التصرف قال ابن جني واعلم أنَّا عَقَدْنا مؤلَّفَنا هذا للحديث عن علم الأصوات والحروف [١] إذ أن أصحابنا وإن خاضوا في هذا الفن ، فإنهم لم يشبعوا القول فيه [٢] .

فأعلم أن الصوت والحرف معناهما الأول ، أو اللغوي مختلف [٣] كما أن معناهما الاصطلاحي مختلف أيضًا [٤] . وأن حروف المعجم تسعة وعشرون حرفًا لكل حرف منها اسمه ، فأولها الألف ، وآخرها الياء [٥] لا ثمانية وعشرين ، كما رأى أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ) لأن الألف التي في أول حروف المعجم هي همزة ، وإنما سميت ألفا ، لأنها ترسم ألفا في كل مواقعها في لغة مُحَقِّقيها من العرب ، وفي أول الكلام عند أهل التخفيف[٦] وينطق بها في هذه المواقع همزة ، والعبرة باللفظ لا بالخط [٧] ،

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ١٠ . (٢) السابق ١/ ٦٣ .
(٣) المرجع السابق ١/ ١١ ــ ١٩ . (٤) سر صناعة الإعراب ١/ ٦ .
(٥) المرجع السابق ١/ ٤٦ . (٦) السابق ١/ ٤٧ .
(٧) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٨ .

لأن اللفظ أصل للخط والخط فرع عن اللفظ [١] ، وفوق هذا كل حرف في أوله اسمه ، وإذا قلت ألف تجد أول الحروف التي نطقت بها همزة [٢] وكما أن هناك همزة هذا طريقها في لغة أهل الحجاز تنطق ياء ، أو واوا [٣] أو بين بين [٤] أي ضعيفة ليس لها تمكن المحققة . ولا خلوص الحرف الذي منه حركتها [٥] كذلك هناك ألف تجدها بين الألف والياء نحو قولك : " عالم " وتسمى بالألف الممالة [٦] ، وألف تجدها بين الألف والواو ونحو قولهم " سَلام عليك " وتسمى بألف التفخيم [٧] .

واعلم أن هذه الحروف التسعة والعشرين تجد لها علامات في الخط يُستَدَلُّ بها عليها ، وعليها بني كلام العرب ، ولذا سميت بالحروف الأصول في مقابل حروف أخر توجد في اللفظ دون الخط ، وهذه منها ما استحسنه فصحاء العرب ونطقوا به ، ومنها ما لم يستحسنوه ، فلا يكاد يوجد إلاّ في لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة [٨] ولكل حرف من هذه التسعة والعشرين موضع ينطق منه [٩] وسبيلك في التعرف عليه أن تأتي بالحرف ساكنا وقبله همزة وصل [١٠] واختلاف الأصوات راجع إلى اختلاف هذه المواضع [١١] ، واختلاف أشكال الحلق والفم والشفتين معها سواء في ذلك الألف والواو والياء [١٢] أو غيرها من الأصوات ، إذ إن الفم والحلق أشبه ما يكون بالناي، ووتر العود ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي ، وراوح بين أنامله أو ضرب الضارب وتر العود وهو مرسل، ثم ضربه وهو محصور بإصبعيه

---

(١) السابق ١/ ٥٠ . (٢) المرجع السابق ١/ ٤٧ .
(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٦ . (٤) المرجع السابق ١/ ٥٣ .
(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٥ . (٦) المرجع السابق ١/ ٥٥ .
(٧) السابق ١/ ٥٦ .
(٨) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٠ ــ ٥١ .
(٩) المرجع السابق ١/ ٥٢ ــ ٥٣ . (١٠) السابق ١/ ٧ .
(١١) سر صناعة الإعراب ١/ ٦ ، ٩ .
(١٢) المرجع السابق ١/ ٨ ــ ٩١ .

سمعت أصواتًا مختلفة في الحالين [١] ، وكما أن لهذه الحروف التسعة والعشرين مواضع تنطق منها لها كذلك صفاتها الخاصة بها، فمنها ما هو مجهور ، ومنها ما هو مهموس .. ومنها ما هو منحرف .. ومنها ما هو مكرر [٢] ، فبعض الحروف أشد حصرًا للصوت من بعضها[٣] وبعضها يوصف باتساع مخرجه [٤] ، وهذه المخارج والصفات يجدر بك معرفتها ، إذ عليها مبنى الإدغام والإبدال في كلام العرب " لأن شرط الإدغام أن يتماثل فيه الحرفان " [٥] وأصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها وتدانت مخارجه [٦] .

واعلم أن الفتحة والضمة والكسرة هن الحركات ، ولا يتحمل الحرف أكثر من واحدة منهن ، وإذا وجد الحرف ، ولا حركة منهن معه سمي ساكنا، وإلاّ فهو متحركٍ [٧] وهذه الحركات ينطق بها عقيب النطق بالحرف ، فهي في المرتبة بعده ، وقول من قال خلافه مردوده بأدلة متعددة [٨] ، ومن الثابت أن الفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو[٩] ودليله فكرة الإشباع [١٠] التي لو رمت طلبها أو تحقيقها في النثر ، وإن لم يأت ذلك عن العرب فيه لما امتنعت عنك [١١] كما أنها ثابتة ومقررة في الشعر ، فالشاعر يلجأ إليها ، لإقامة وزن البيت ولا يُستنكر منه ذلك [١٢]

---

(١) السابق ١/ ٩ ــ ١٠ . (٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٦٨ ــ ٧٥ .
(٣) المرجع السابق ١/ ٧ . (٤) سر صناعة الإعراب ١ / ٨ .

(٥) المرجع السابق ١/ ٦٣ . (٦) السابق ١/ ١٩٧ .

(٧) سر صناعة الإعراب ١/ ٣١ .
(٨) المرجع السابق ١/ ٣٢ ــ ٣٧ .
(٩) السابق ١/ ١٩ . (١٠) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠ .

(١١) المرجع السابق ١/ ٢٠ . (١) السابق ١ / ٢٧ .

، ومن هذا ثبت لديك أن الألف ، والواو والياء ليست إلاّ حركات مشبعة [١] . ومن هنا كانت الفتحة ، والضمة ، والكسرة جديرة بأن تسمى أصواتًا ناقصة إذا مداها في النطق أقل منه في الألف ، والواو ، والياء [٢] ، وبان لك أن الألف ، والواو والياء ، والفتحة ، والضمة ، والكسرة أصوات متجانسة متقاربة [٣] إلاّ أن بين الواو والياء قُربًا ونَسبًا ليس بينها وبين الألف [٤] وكذلك بين الكسرة والضمة قربًا ونسبًا ليس بينهما وبين الفتحة [٥] ولهذا التقارب بين هذه الأصوات ، ولضرب من تجانس الصوت تجد الكسرة مشوبة بشيء من الضمة في نحو " قِيل " و " بِيع " ، وتجد الضمة مشوبة بطرف من الكسرة في " مردت بمذْعور " و " هذا ابن بور " ، كما تجد الألف منحوا بها نحو الياء في قولك " عالِم " ونحو الواو في قولك " سُلام عليك " [٦] .

بيد أن الواو والياء إذا تحركتا لحقتا بالحروف الصحاح [٧] ١٠هـ .

لهذا كلّه حَقَّ لابن جني (ت ٣٩٢هـ) أن يقول " وما علمت أن أحدًا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ، ولا أشبعه هذا الإشباع .. " [٨] وكان جديرًا بذا بأن يكون رائدَ المرحلة الثانية من مراحل تطور ودراسة علم الأصوات العربي ، فعلى يديه برز اسم خاص بهذا العلم إلى حيز الوجود ، وسُجِّل بين اسماء العلوم اللغوية ، كما مُنِحَ صفة الاستقلال ، وأضحى علما له أصوله ، مُحَدَّدَ الغاية واضح المنهج .

هذا وابن جني قد درس علم فقه اللغة دراسة علمية متميزة مثيرة للإعجاب وذلك في كتابه الخصائص (خصائص اللغة العربية) فهو يُعَدُّ

---

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٧ .
(٣) المرجع السابق ١/ ٣٠ .
(٤) السابق ١/ ٢٥ .
(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٣ .
(٦) المرجع السابق ١/ ٢٤ .
(٧) السابق ١/ ٥٦ ــ ٦٣ .
(٨) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٢ ــ ٢٣ .
(٩) المرجع السابق ١/ ٦٣ .

صاحبَ هذا العلم وإمامَه .

كما قد شارك في الدراسة النحوية والصرفية مشاركة فعّالة وبناءة فله اللُمعَ في علم العربية والمنصف في شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني وقد تتبع في دراساته اللغوية والنحوية خطى علماء أصول الكلام (التوحيد) والفقه فدرس اللغة على نحو دراساتهم وتأثر بهم إلى حد كبير وأفاض في بيان العلل النحوية غير أنه أنكر العلل الثواني والثوالث وقد عول على السماع لا على القياس والقاعدة وعول كثيرًا على منهج البصريين وقليلاً على منهج الكوفيين ويمتاز بحسن العرض للقضية اللغوية والتتبع الدقيق لها وكانت له آراؤه النحوية الفريدة والمبتكرة واجتهاداته الخاصة وآراؤه المتميزة (حروف الحلق تؤثر الفتحة ـــ وصاحب نظرية المخالفة الصوتية في أخذ المضارع من الماضي ونظرية كون أصل اللغات من الأصوات المسموعة (المحاكاة) كدوى الريح وخرير الماء وصَهيل الفرس ونعيق الغراب وشحيج الحمار ونَزيب الظبي وهاهيت وعاعيتَ وحاحيت وكالخازباز لصوته والبط لصوته وغاق للغراب لصوته والاشتقاق الصغير (الصرفي) والاشتقاق الكبير وقيامه على تقليب الأصول واستنباط الرابط الدلالي (المعنوي) بينها استنباطا وقد استقاه من فكرة التقاليب عند الخليل بن أحمد وقد عول عليه أبو علي الفارسي في التعرف على المعاني الغامضة والمبهمة للألفاظ .

والاشتقاق الأكبر الذي يقوم على الإبدال واشتراك اللفظين في المعنى مما يوحي باشتقاق أحدهما من صاحبه .

(جهود أبي علي الحسين بن سينا (ت ٤٢٨هـ) في الدرس الصوتي)

وهذا العمل الذي قدمه ابن جني (ت ٣٩٢هـ) جعل ابن سينا [١] (أبو علي الحسين بن عبد الله ت ٤٢٨هـ) يلبي نداء ويجيب مطلب ابن الجبان (أبو منصور علي بن عمر اللغوي ت ٤١٦هـ) في أن يكتب له بحثًا في

---

(١) راجع في ترجمة ابن سينا النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغردي ٥/ ٢٥ ط القاهرة ، وشذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ٣/ ٣٢٤ ومعجم المؤلفين ٤/ ٢٠ ، ١٣/ ٣٨٢ .

مخارج الحروف يجيبه بلا تردد [١] ، وينطلق في ثقة [٢] في دراسة علم الأصوات مبتكر المصطلحات ، ومضيفا لمعلومات وأفكار صوتية من عند نفسه جامعًا ما فات ابن جني جَمْعَه .

فمن حيث انتهي ابن جني وعنده وقف انطلق ابن سينا في دراسة هذا العلم بعد مُطَالعة وبَحْث فيما كتبه الخليل ، وسيبويه ، وابن جني هذا فضلاً عن الدراسة التي اتجه إليها منذ صباه ، ووجه إليها أكثر طاقاته ، وكَرَّس لها جهده ، وعكف عليها زمنا من حياته غير قليل وهي دراسة علوم الطبيعة والطب والتشريح ، والمنطق ، والفلسفة فهذه الدراسة قد أخذت بيديه إلى فهم التراث الصوتي قبله فهما دقيقًا ، وإلى ما توصل إليه وقدمه من معلومات صوتية عن غير سبق ، فهذه الدراسة قد كشفت له عن أشياء كانت متوارية تمامًا عن أعين من تقدموه ، وأوقفته على كُنْه أصوات نأت حقيقها عن أفهامهم ، وبعدت عن تصورها عقولهم .

ولو أنه أتيح لابن جني ومن تقدمه من أمثال الخليل وسيبويه ما أتيح لابن سينا من معرفة بنظريات التشريح ، وعلوم الطبيعة ، لو صلوا في دراسة أصوات اللغة إلى غاية لا شيء وراءها .

ومن هنا كان بحث ابن سينا المسمى " أسباب حدوث الحروف " جدير بأن يَحْظَى بالبحث والدرس المستقل ، ولعل الانصراف عن التصدي له مرده إلى أمور ثلاثة : أولها : أن ابن سينا عَبَّر عن أفكاره بأسلوب شديد التركيز غريب الألفاظ والعبارات. وثانيها : حاجة من يتصدى لدراسته إلى دراسة علم الطبيعة والتشريح دراسة واعية ، والاتصال بالمتخصصين فيهما .

أما الأمر الثالث : فهو الحاجة إلى دراسة ما خلفه ابن سينا من مؤلفات في الطب والتشريح وغير ذلك من آثار له وخاصة كتابيه القانون في الطب ، والشفاء ، وذلك للتعرف على مصطلحاته ، والطريقة التي اتبعها ابن سينا في

---

(١) أسباب حدوث الحروف ، لابن سينا ص ٧ ، ٢٨ ط القاهرة .

(٢) استمع إليه وهو يقول " .. ثم ليس أمر هذه الثلاثة (يعني الألف والواو والياء) عليّ مشكل ، ولكني أعلم يقينا أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة .. وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة ، والياء المصوتة إلى الكسرة " (أسباب حدوث الحروف ص ٢٢) .

دراسته وتناوله للمسائل حتى تخرج الدراسة على الوجه المبتغى ، وقد يجد الدارس في كل هذا عنتا كبيرًا ومشقة .

بيد أن النتائج التي يصل إليها الدارس الواعي من هذا البحث تُهَوِّن قدرًا كبيرًا من هذه المشقة وتخفف من عنته ، لما يكون لها بلا شك من عظيم نفع ، وكبير أثر ، وجليل فائدة إذ إن ابن سينا قد طرق أبوابًا من البحث شتى ، وفتح أمام الدارسين لهذا العلم ميدانًا رحبا من البحث والدراسة.

فقد لفت الأنظار إلى حاجة دارس هذا العلم إلى علوم أخرى كعلم التشريح ، للوقوف على أجزاء الحنجرة ، والتعرف على دورها في نطق الأصوات وأنه قد يعتريها الضيق والاتساع تبعا لحركة الغضاريف فيها (١) وكعلم الطبيعة ، لدراسة الجانب الفيزيائي للصوت ، فقد ذكر أن من الأصوات ما هو حاد ، ومنها ما هو ثقيل ، وأنه مع الصوت الحاد تجد أن أجزاء التموج أو الموجة متماسة متصلة ، ومع الصوت الثقيل تجد أن أجزاء الموجة منبسطة ، وغير متصلة ، أو متباعدة (٢) وأن لغضاريف الحنجرة ، وما تقوم به من حركات معينة دور في هذا (٣) .

كما لفت الأنظار إلى ما يسمى بعلم الأصوات السمعي حيث تحدث عن كيفية استقبال الأذن للصوت (٤) .

كما وجه الأنظار إلى الدرس الصوتي المقارن أيضًا حيث خصّ الفصل الخامس من بحثه للمقارنة بين أصوات العربية ، وما يشبهها من أصوات توجد في لغات أخر شارحًا كيفية حدوثها (٥) ذاكرا أن بعض هذه الأصوات غير العربية قد جرى على ألسنة بعض العرب في عصره (٦) فالقاف الخفيفة المتمثلة في النطق بالقاف كالكاف أي مخرجها أدخل قليلاً من

---

(١) أسباب حدوث الحروف ص ١٢ ـــ ١٥ .
(٢) المرجع السابق ص ١٠ .
(٣) السابق ص ١٢ .
(٤) أسباب حدوث الحروف ص ٩ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٣ ـــ ٢٥ .
(٦) السابق ص ١٧ ، ٢٥ .

مخرج الكاف الأصلية ، واتصال عضوي النطق معها أضعف منه مع الكاف الأصلية ـــ وُجدت في لسان العرب في عصره [١] ، وإن كانت هذه الكاف غير عربية الأصل [٢] ونجد بجانب هذا معلومات صوتية مبتكرة أضافها من عند نفسه منها :

ـــ ما ذكره من أن الأصوات المفردة أي الشديدة أصوات آنية غير ممتدة ، فهي تحدث مع إزالة الحبس فقط ، أي في الآن الفاصل بين زمان الحبس ، وزمان الإطلاق ، أما الأصوات المركبة أي الرخوة ، فهي أصوات زمانية ممتدة [٣] .

ـــ ما ذكره من أن ليس الاتصال التام بين عضوي النطق بالأصوات على درجة واحدة ، بل يتفاوت ذلك قوة وضعفًا [٤] فقد يكون شديدًا ، وقد يكون غير شديد [٥] كما ذكر أن أزمنة حبس أعضاء النطق للهواء الخارج من الرئتين متفاوتة أيضًا ، وليست واحدة في كل الأصوات ذات الحبس [٦] ، وأن الحبس قد يحدث بجزء يسير من عضو النطق أقل منه مع نظيره الذي من موضعه ، فالتاء الحبس معها بجزء أقل منه في الطاء ، وإن كانت قوة الاتصال بين عضوي النطق مع التاء مثله مع الطاء [٧] ، كما أن الهواء اللازم لإنتاج الأصوات متفاوت في كميته ما بين صوت وآخر ، فقد يكون كثيرًا ، وقد يكون قليلاً [٨] ، فالطاء مثلاً تحتاج إلى الهواء الكثير [٩] .

وبجانب هذا نجد تصويبًا أي تحقيقًا وتدقيقًا لمعلومات وأفكار صوتية جاءت في تراث من تقدمه تحقيقًا أيدته فيه الدراسات الصوتية الحديثة .

---

(٢) أسباب حدوث الحروف ص ١٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٣ .
(٤) السابق ص ١١ .
(٥) أسباب حدوث الحروف ص ١١ ، ١٩ ـــ ٢١ .
(٦) المرجع السابق ص ٢٠ .
(٧) السابق ص ٢٠ .
(٨) أسباب حدوث الحروف ص ١٩ .
(٩) المرجع السابق ص ١١ ، ١٧ .
(١٠) السابق ص ١٩ .

ـــ ما ذكره من أن الهمزة تخرج من الحنجرة ، وأن الهاء تحدث حيث تحدث الهمزة [١] وأن القاف والخاء يخرجان من اللهاه ، أو من الحد المشترك بين اللهاه والحنك ، وأما الغين فهي أخرج من ذلك يسيرا ومن موضع الغين تحدث الكاف [٢] .

وأن الجيم يحدث معها حبس تام للهواء ، ثم ينفصل معه العضوان من غير أن يبتعدان عن بعضهما كثيرًا ، فينفذ الهواء من المسلك الضيق ، والمنفذ الصغير الذي بينهما على غير طريقة غيره من الأصوات [٣] .

وأن سبب التكرير الذي يعرض للراء هو اهتزاز جزء من سطح طرف اللسان اهتزازا خفيفا أو ضعيفًا [٤] ، وأن الهواء عند النطق بصوتي الميم والنون يجرى بعضه من الفم ، وبعضه من الخيشوم ، وأنه مع هذين الصوتين يكون الاعتماد في الفم [٥] ، ويخرج من الخيشوم صوت نتيجة الدَّوِي الحادث من الهواء في تجويف المِنْخَر [٦] .

كما نجد في بحثه بجانب هذا مصطلحات خلا منها تراث من تقدمه أبرزها أنه سمي الأصوات الشديدة بالأصوات المفردة ، وسمي الأصوات الرخوة والمتوسطة بالأصوات المركبة [٧] ومنها مصطلح " الصامت " الذي أطلقه على الواو في بعض أحوالها في التركيب الصوتي للغة ، فكلما أن هناك واوًا مصوتة ، وياء مصوتة كذلك هناك واو صامتة ، وياء صامتة [٨] أما مصطلح المصوت الذي أطلقه على الألف ، والواو ، والياء المديين [٩] ، فليس من ابتكاره أو من ملاحظاته الخاصة ، بل هو من ابتكار المبرد (أبو

---

(١) أسباب حدوث الحروف ص ١٦ ، ٢١ .
(٢) المرجع السابق ص ١٦ ــ ١٧ .
(٣) السابق ص ١٧ .
(٤) أسباب حدوث الحروف ص ١٩ .
(٥) المرجع السابق ص ٢١ .
(٦) السابق ص ٢١ ، ٢٥ .
(٧) أسباب حدوث الحروف ص ١٠ .
(٨) المرجع السابق ص ٢١ .
(٩) أسباب حدوث الحروف ص ٢١ .

العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ) في كتاب المقتضب [١] .

ومن هنا كان ابن سينا جديرًا بأن يكون رائد مرحلة جديدة من المراحل والأطوار التي مر بها علم الأصوات العربي ، فعلى يديه نضج واكتمل ، وكانت نظرة الدراسات الصوتية الحديثة له نظرة إكبار وإعجاب لما إليه توصل مع تقدمه ، وسبْق عهده فانطلقت هذه الدراسات تُقرّه على ما قال ، وتوافقه فيما رأى ، وتحاكيه فيما أبانه ، مُمَكّنة القولَ فيه ، ومتخذة من إشاراته ولمحاته عناوين لأبواب وفصول ، بل لأبحاث وعلوم يُدَرّس كل منها درسًا مستقلاً عن قرينه .

(جهود فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) في الدرس الصوتي)

وهذه المعلومات الصوتية التي قدمها ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) ، والمعلومات التي أوردها من قبله ابن جني (ت ٣٩٢هـ) وغيره ذكر كثيرًا منها الفخر الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين ت ٦٠٦هـ) في مقدمة تفسيره المسمى " مفاتيح الغيب " أو " التفسير الكبير " ، وأضاف إليها بعضًا من عند نفسه [٢] .

وأهم ما جاء في مقدمة هذا التفسير متضمنا معلومات صوتية قيمة وفي غاية الأهمية هو قوله : " الحروف إمّا مُصَوِّتَة ، وهي التي تسمى في النحو حروف المد واللين ، ولا يمكن الابتداء بها ، أو صامتة وهي ما عداها، أما المُصَوِّتَة فلا شك أنها من الهيئات العارضة للصوت ، وأما الصوامت ، فمنها ما لا يمكن تمديده كالباء ، والتاء ، والدال ، والطاء ، وهي لا توجد إلاّ في الآن الذي هو آخر زمان حبس النفس ، وأول زمان إرساله ، وهي بالنسبة إلى الصوت كالنقطة بالنسبة إلى الخط ، والآن بالنسبة إلى الزمان .. ومن الصوامت ما يمكن تمديدها بحسب الظاهر ، ثم هذه على قسمين : منها ما الظن الغالب أنها آنية الوجود في نفس الأمر ، وإن كانت

---

(١) كتاب المقتضب ، لأبي العباس المبرد ــ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ١٩٩/١ ط الثانية ــ القاهرة ١٣٩٩هـ .

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١/ ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٥٤ ط الطبعة الحسينية ــ القاهرة .

زمانية بحسب الحس مثل : الحاء ، والخاء ، فإن الظن أ، هذه جاءت آنية متوالية كل واحد منها آني الوجود في نفس الأمر لكن الحس لا يشعر بامتياز بعضها عن بعض ، فيظنها حرفًا واحدًا زمانيًا ، ومنها ما الظن الغالب كونها زمانية في الحقيقة كالسين ، والشين ، فإنها هيئات عارضة للصوت مستمرة باستمراره " (١) .

وبجانب ما تضمنه هذا النص من معلومات صوتية ذكر الفخر الرازي معلومات صوتية أخر جاءت في قوله : " الحركات أبعاض المصوتات (أي الألف والواو والياء) .. لأن هذه الحركات إذا مدت حدثت المصوتات " (٢) .

وقوله : " المراد من حركة الحرف صوت مخصوص يوجد عقيب التلفظ بالحرف ، والسكون عبارة عن أن يوجد الحرف من غير أن يعقبه ذلك الصوت المخصوص المسمى بالحركة " (٣) .

كما أنه سمي الحركة المختلسة " بالحركة المجهولة " (٤) وسمي الحروف الشديدة " بالحروف الصلّبة " وذكر أنها تحدث في آخر زمان حبس النفس ، وأول زمان إرساله ، وأنها لا تقبل التمديد (٥) .

كل هذا عرض له فخر الدين الرازي في مقدمة تفسيره الكبير والناظر في شرحه على المفصل والمسمى " المحصل في شرح المفصل " يجد أيضًا معلومات وأفكارًا صوتية مسوقة على النحو الذي تراه في شرح ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) على المفصل أيضًا ، ويبدو أن ابن يعيش فيما كتبه على المفصل له تبع وبه لحق ، وحذوه احتذى ، وعلى نهجه سار ولبس هذا وكفى ما ألف من شروح للمفصل بل ألف ابن الحاجب (أبو عمرو عثمان بن عمر ت ٦٤٦هـ) ألف شرحًا عليه اسماه " الإيضاح في شرح المفصل " ، كما أن لابن هطيل (٦) (علي بن محمد النجري ت ٨١٢هـ) شرحًا عليه اسماه "

---

(١) المرجع السابق ١/ ١٦ .
(٢) السابق ١/ ١٦ .
(٣) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١/ ٢٤ وانظر به ١/ ١٦ ، ٢٥ .
(٤) المرجع السابق ١/ ٢٤ .
(٥) السابق ١/ ٢٤ وانظر به ١/ ٩ .
(٦) راجع ترجمة ابن هطيل في البدر الطالع ، للشوكاني ١/ ٤٩٣ .

التاج المكلل من جواهر الأدب على المفصل " (١) .

وقد حوت كل هذه الشروح معلومات صوتية كثيرة ، على أن جُل ما جاء بها من معلومات صوتية يقع في شرح القسم الرابع والأخير من كتاب المفصل والذي اسماه الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ) " المشترك " أي ما يشترك فيه الاسم ، والفعل ، والحرف من ظواهر لغوية ، ومن هنا كان هذا القسم جدير بأن يسمى باب الأصوات ، أو قسم الأصوات ، لا المُشْتَرك .

كما أن الناظر في شرح أبي حيان الأندلسي (محمد بن يوسف بن علي ت ٧٤٥هـ) على التسهيل لابن مالك والذي اسماه " التذييل والتكميل " يجد معلومات صوتية كثيرة أيضًا .

ومن قبل ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) وأبي حيان (ت ٧٤٥هـ) ألف عز الدين الزنجاني (٢) (أبو المعالي عبد الوهاب بن إبراهيم ت ٦٦٠هـ) شرحًا على كتاب الهادي له في النحو اسماه " الكافي على متن الهادي " (٣) وعرض منه أيضًا لكثير من الأفكار التي تدخل نطاق علم الأصوات .

(جهود السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في الدرس الصوتي)

كما أن الناظر في شرح مواقف القاضي عضد الدين (٤) (عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ت ٧٥٦هـ) في علم أصول الكلام ، للسيد الشريف

---

(١) ومن هذا الشرح نسخة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية رقم ١٥٩ نحو تيمور .

(٢) راجع في ترجمة أبو المعالي الزنجاني بغية الوعاه ٢/ ١٢٢ وكشف الظنون ص ١٣٢٦ ، ١٥٧٨ ، ١٦٥٠ ، ١٧٣٨ ، ١٨٦٩ ، ٢٠٢٧ ، وهدية العارفين ١/ ٦٣٨ ، وريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب لميرزا محمد علي مدرس ٢/ ٣٨٦ ــ ط تبريز ومعجم المؤلفين ٦/ ٢١٦ .

(٣) ومن نسخ هذا الشرح نسخة بدار الكتب المصرية بالمكتبة التيمورية برقم ١٥٩ نحو .

(٤) راجع في ترجمة عبد الرحمن الإيجي الدرر الكامنة ٢/ ٣٢٣ ، وشذرات الذهب ٦/ ١٧٤ ، والبدر الطالع ١/ ٣٢٦ ، وبغية الوعاه ٢/ ٧٥ ، ومعجم المؤلفين ٥/ ١١٩ .

الجرجاني (علي بن محمد الحسيني ت ٨١٦هـ) يجد معلومات صوتية من نحو ما كان عند ابن سينا وفخر الدين الرازي ففي الشرح المذكور قسم السيد الشريف الحروف إلى مصوتة وصامته ، وذكر أن الألف يكون مصوتًا أبدا ، أما الواو والياء ، فقد يكونا صامتين ، وقد يكونا مصوتين ، وذكر أن الأصوات المصوتة منها ما هو مقصور ، وهو الفتحة والضمة والكسرة ، ومنها ما هو ممدود وهو الألف ، والواو ، والياء على النحو الذي قالته الدراسات الحديثة وساق هذا بقول لفظه " .. أن الحروف إما مصوتة ، وهي التي تسمى في العربية حروف المد واللين ، وهي الألف ، والواو ، والياء إن كانت ساكنة متولدة من إشباع ما قبلها من الحركات المجانسة لها ، فإن الضم مجانس للواو ، والفتح للألف ، والكسر للياء ، وإما صامتة وهي .. ما سوى الحروف المذكورة .. (و) الألف لا يكون إلاّ مصوتا .. وأما الواو والياء ، فكل واحد منهما قد يكون مصوتا .. وقد يكون صامتًا بأن يكون متحركًا أو ساكنًا ليس حركة ما قبله من جنسه " (١) .

وقال " .. الحركات داخلة في المصوتات ، فلذلك انقسم المصوتة إلى مقصورة هي الحركات ، وممدودة هي الحروف المخصوصة (يعني الألف والواو والياء المديين) " (٢) وذكر أن الحروف الصامتة ، أو الصوامت

---

(١) شرح السيد الشريف الجرجاني على المواقف ، لعبد الرحمن بن أحمد الإيجي ص ٢٦٥ ط القسطنطينية سنة ١٢٨٦هـ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٦ . وبهذا يعد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) أول من قسم حركات العربية إلى مقصورة وهي الفتحة ، والكسرة ، والضمة وممدودة وهي الألف والياء والواو المديين . وقد أخذ بيده إلى هذا التقسيم ومعرفة هذه الحقيقة ، دراسته للعلوم العقلية ، ونظرته المنطقية فيما جاء في تراث من تقدمه من حديث حول هذه الحركات فلقد مثلت بذور هذه الحقيقة عدة أمور منها :

١ـ فكرة البغيضة الماثلة في قولهم الفتحة بعض الألف، والكسر بعض الياء ، والضمة بعض الواو .

٢ ـ تسمية الفتحة ، والكسرة ، والضمة أصوات ناقصة .

٣ ـ تسمية المبرد للألف والواو والياء بالحروف المصوتة .

٤ ـ قول الخليل أن الألف والواو والياء ، والفتحة والضمة والكسرة يلحن الحرف ليوصل إلى التكلم به . ==

كالتاء، والطاء ، والدال حروفٌ آنية (١) بل أنه درس فكرة التماد وعدمه في الأصوات بشيء من التفصيل حينما قال ما نصه " .. إن الحروف إما زمانية صرفة كالحروف المصوتة ، وكالفاء ، والقاف ، والسين ، والشين .. ونظائرها مما يمكن تمديدها بلا توهم تكرار ، فإن الغالب على الظن أنها زمانية أيضًا (كالحروف المصوتة) وإما آنية صرفة كالتاء ، والطاء ، والدال وغيرها من الصوامت التي لا يمكن تمديدها أصلاً ، فإنها لا توجد إلا في آخر زمان حبس النفس ، كما في لفظ " نَبْت " و " قَرْط " و " وَلَد " أو في أوله كما في لفظ " تُراب " و " طَرب " و " دُول " أو في أن يتوسطهما ، كما إذا وقعت هذه الصوامت في أوساط الكلمات .. وإما آنية تشبه الزمانية ، وهي أن تتوارد أفراد آنية مرارًا ، فيظن أنها فرد واحد زماني كالراء ، والحاء ، والخاء ، فإن الغالب على الظن أن الراء التي في آخر " الدار " مثلاً راءات متوالية كل واحد منها آني الوجود ، إلا أن الحس لا يشعر بامتياز أزمنتها ، فيظنها حرفًا واحدًا زمانيًا ، وكذلك الحال في الحاء ، والخاء " (٢) .

كما تحدث عن طول الصوت وقصره بوجه عام (٣) ، وكذا عرض لكيفية انتقال الصوت إلى أذن السامع فذكر أن الإحساس بالصوت يتوقف على أن يصل الهواء الحامل له إلى الصماخ ، لا بمعنى أن هواء واحد بعينه يتموج ويتكيف بالصوت ويوصله إلى القوة السامعة ، بل بمعنى أن ما يجاور ذلك الهواء المتكيف بالصوت يتموج ويتكيف بالصوت أيضًا ، وهكذا إلى أن

= ٥ ـــ قول ابن جني أن الفتحة صوت قصير .

٦ ـــ نصهم على أن نخرج الفتحة هو مخرج الألف ، ومخرج الكسر هو مخرج الياء ، ومخرج الضمة هو مخرج الواو .

(راجع في هذه الأقوال وتلك التصريحات فصل مصوتات العربية ص بالرسالة)

فلما جاء السيد الشريف الجرجاني نظر في هذه الحقائق نظرة منطقية متأنية وعنها صدر قوله السابق .

(١) شرح السيد الشريف الجرجاني على المواقف ص ٢٦٢ ، ٢٦٤ .

(٢) شرح السيد الشريف على المواقف ص ٢٦٥ .

(٣) راجع المرجع السابق ص ٢٦٤ .

يتموج ويتكيف به الهواء الراكد في الصماخ ، فتدركه السامعة حينئذ [١] .

وكما نرى أن السيد الشريف الجرجاني فيما ساقه من معلومات صوتية في شرحه علي المواقف قد تأثر بابن سينا ، وفخر الدين الرازي إلى حد كبير كما كانت له ملاحظاته الخاصة التي جاء بها من عند نفسه ومن هنا كان عمل هؤلاء الأعلام الثلاثة يمثل حلقة واحدة من طراز خاص أو معين من حلقات تاريخ علم الأصوات العربي .

(من جهود رواد المعجم العربي وجهود علماء البلاغة في الدرس الصوتي)

وإذا كان النحاة ، وعلماء التفسير ، وعلماء أصول الكلام قد عرضوا في مؤلفاتهم أفكارًا ومعلومات صوتية ، فإن الناظر في مقدمة معجم " جمهرة اللغة " لابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن ت ٣٢١هـ) يجد ذكرًا لمخارج الحروف ، ومدارجها ، وتباعدها وتقاربها ، وما يأتلف منها وما لا يأتلف ، كما يجد حديثًا عن حروف تكلم بها بعض العرب ورغب عنها الفصحاء ، كالحرف الذي بين القاف والكاف [٢] .

وما جاء في مقدمة " تهذيب اللغة " لأبي منصور الأزهري (محمد بن أحمد ت ٣٧٠هـ) لا يقل شأنًا عما ذكره ابن دريد في مقدمة جمهرته [٣] . وإن كان ما ساقه هذان العالمان من رواد المعجم العربي في مقدمة معجميهما في جملته نصوص مقتضبة مما قاله الخليل بن أحمد وأورده في مقدمة معجمه " العين " .

وعلماء البلاغة أيضًا لم يغفلوا الحديث عن الأصوات بل إنهم قد انتفعوا بما كتبه الخليل ، وسيبويه ، وابن جني في الأصوات وذلك في دراستهم لمسألة حسن تلاؤم الحروف ، وفصاحة اللفظ المفرد ، إذ إن إحدى دعائمها عندهم خلو اللفظ من التنافر ، والذي مرده إلى الطبيعة الصوتية لكل

---

(١) انظر السابق ص ٢٦١ .

(٢) كتاب جمهرة اللغة لابن دريد ١/ ٤ ـــ ٩ .

(٣) تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري تحقيق الأستاذ / عبد السلام محمد هارون مراجعة الأستاذ / محمد علي النجار ١/ ٤١ ـــ ٥٢ .

صوت من الأصوات المتجاورة من حيث كونها متآلفة متآخية ليس بينها شديدُ بُعْد ، ولا شديدُ قرب ، أو متنافرة وغير متآلفة [١] .

كما أن ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد ت ٤٦٦هـ) بدأ كتابه " سر الفصاحة " بالحديث عن معنى كل من الصوت والحرف في اللغة والاصطلاح كما أبان مدارج الحروف وصفاتها [٢] ، كما ذكر بعض ما اختصت به لغة العرب من أصوات ، وما خلت منه مما يوجد في بعض اللغات الأخرى [٣] ، كما عرض لما يحسن تأليفه من الحروف ، وما لا يحسن فيه ذلك [٤] . وجملة ما قاله عن هذه المسائل نصوص مقتضبة مما قاله ابن جني في كتابه " سر صناعة الإعراب " ما جاء في مقدمات المعاجم العربية .

(جهود رواد علم القراءة القرآنية في الدرس الصوتي)

وليس أمر الدرس الصوتي عند هذا وقف ، وإلى هذا الحد انتهى ، وعلى مصنفات هؤلاء العلماء واللغويين اقتصر ، ولا ما كان غير هذا المنهج ، بل جاءت ملاحظات صوتية عن القراء الأولين بل إنه على يديهم بزغت الدراسة الصوتية وعلم الأصوات إلى الوجود فالأداء القرآني هو

---

(١) هذا ما جرى عليه أكثر علماء البلاغة (انظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ص ٢٦ ــ ٢٧ ط القاهرة ، والنكت في إعجاز القرآن للرماني ــ تحقيق محمد خلف الله ، والدكتور محمد زغلول سلام ص ٩١ ط الثانية القاهرة ، والفلك الدائر على المثل السائر ، لابن أبي الحديد ــ تحقيق / أحمد الحوفي ، والدكتور بدوي طبانه ص ١٧٢ ــ ١٧٤ والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص ، ٥ ط القاهرة .

أما الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فقد رأى أن فصاحة اللفظ ليست من أجل شيء يدخل في النطق ، وإنما هي وصف له من جهة المعنى (انظر كتاب دلائل الإعجاز ــ علق حواشيه السيد محمد رشيد رضا ص ١٥٦ ــ ٢٦٠ ، ط السادسة القاهرة ١٩٦٠م .

(٢) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ــ صححه وعلق عليه الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ص ٥ ــ ٢٥ ط القاهرة ١٣٧٢هـ ــ ١٩٥٣م .

(٣) المرجع السابق ٥٦ ــ ٥٧ .

(٤) المرجع السابق ٥٧ ــ ٥٩ ، ٦٦ ــ ٦٨ .

العامل الأول والفعال في نشأة علم الأصوات فلقد رُوي أن أبا حاتم قرأ على يعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥هـ) فبلغ قوله سبحانه ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ (١) فقال : " يا سهل اسمعني صفير السين ، وطنين النون ، وقعقعة العينِ " (٢) ولم يقف الأمر لدى القراء عند هذا الحد ، بل إنه قد شارك كثير ممن صرف جهده إلى دراسة القراءات القرآنية ، وعنى بالتأليف في وجوهها ، وضبط أحكامها ، وإبانة طرق أدائها في تثبيت أركان الدراسات الصوتية وتقدمها ، والتنويه بما لها من عظيم نفع ، وجليل أثر فقد عرف هؤلاء " أن قراءة القرآن وتلاوته ، والوصول إلى كثير من دقائقه وأسراره وحكمه وإعجازه ، وأحرفه ورواياته ، لا يمكن أن يتم دون التعمق في دراسة أصوات لغته ، والتعرف الكامل على تلك الحروف " (٣) كما ادركو أن " لكل صوت قالبًا معينا ، ووظيفة دلالية خاصة ، فإذا ما خرج عن هذا القالب ضاعت شخصيته ، وذهبت وظيفته ، وكان اللبس والغموض في الكلام " (٤) والخطأ في الأداء .

ومن هنا نالت دراسة أصوات القرآن الكريم من هذه الطائفة إهتمامًا غير قليل ، فقد أفرد بعضهم دراستها بالتأليف والتدوين المستقل حرصًا على أن تبقى كما تلقيت من رسول الله ﷺ دون أن يصيبها أية تغيير أو تبديل ، وليكون ما يسجلونه من معايير وضوابط لكل صوت من أصوات القرآن الكريم نبراسًا يتهدى به الناشئة ، ويُقَوِّمُون في ضوئه نطقهم ، ويقفون به على مدى ما هم عليه من إصابة النطق الصحيح ، أو البعد عنه ، ويعرفون به ما ينبغي الاحتراز منه ، وما يجدر صنعه ، إذا ما جاور الصوت صوتًا

---

(١) سورة الحج الآية ٦٥ .

(٢) غنية المريد لمعرفة الاتقان والتجويد لابن مفلح القلعتلي ورقة ٢٨ أ (نقلا عن أبي عمرو الداني) .

(٣) أصوات العربية والقرآن الكريم منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب (بحث) للدكتور/ عبد الله ربيع ص ٢٢٨ (مجلة لكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ــ ط الرياض) .

(٤) من مشكلاتنا الصوتية في نطق العربية الفصحى وتعليمها (بحث) للدكتور/ عبد الله ربيع محمود ص ٢٥٠ ، (مجلة كلية اللغة العربية ــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ــ العدد الثامن ط الرياض ١٣٩٨هــ ــ ١٩٧٨م .

آخر قد يؤثر عليه ، أو يحوله عن وجهه ، ونطقه الصحيح الذي تُلُقِّيَ به عن أئمة القراءة الأولين .

والقصيدة الخاقانية لأبى مزاحم الخاقاني [١] (موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ت ٣٢٥هـ) أول ما أُلف في علم أصوات القرآن الكريم ، كا قال ابن الجزري في غاية النهاية [٢] ولقد شرح هذه القصيدة أبو عمرو الداني [٣] (عثمان بن سعيد ت ٤٤٤هـ) .

كما ألف مكي بن أبى طالب القيسي [٤] (ت ٤٣٧هـ) كتابه الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة " وفيه درس أصوات القرآن الكريم من جوانب عده ، درسها من حيث مخارجها ، ومن حيث صفاتها ، كما تتبع كل صوت منها في سياقاته المختلفة تتبعا يتسم بالتحري ، والاستقصاء ، مُنَبِّها في تتبعه إلى ما ينبغي أن يصنعه الناطق وما يجب عليه عندما يجاور الصوت صوتًا آخر حتى يأتي بالصوتَ على وجهه الصحيح ، إذ لاحظ أن الناطق قد " يجد صعوبة في نطق بعض الأصوات عندما تكون جزءً من مجموعة أو مجموعات من الأصوات ، بينما هو قادر على نطقها مفردة ، أو على نطقها عندما تقع في مجموعة ، أو مجموعات صوتية أخرى " [٥] ومن

---

(١) راجع في ترجمة أبى مزاحم الخاقاني غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري — نشر برجستراسر ٢/ ٣٢١ ط القاهرة ١٣٥١هـ — ١٩٣٢م وفهرسة ما رواه عن شيوخه ابن خير الإشبيلي ٧٢ ، ٧٣ ط الثانية بغداد ١٣٨٢هـ — ١٩٦٣م .

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٢١ .

(٣) فهرسة ما رواه عن شيوخه ابن خير الإشبيلي ص ٧٤ ، وغاية النهاية ٢/ ٣٢١ .

(٤) راجع في ترجمة مكي معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي — تحقيق محمد سيد جاد الحق ١/ ٣١٦ ط الأولى — القاهرة ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م ، وغاية النهاية ٢/ ٣٠٩ وطبقات المفسرين ، للداودي — تحقيق علي محمد عمر ٢/ ٣٣٧ ط الأولى ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م ، وإنباه الرواه للقفطي ٣/ ٣١٣ وفهرسة ابن خير الإشبيلي ص ٤٢٧ ، ٤٢٩ .

(٥) اللغة والمجتمع رأى ومنهج للدكتور / محمود السعران ص ٤٩ ط الثانية الأسكندرية ١٩٦٣م .

بعده ألف أبو عمرو الداني (عثمان بن سعيد ت ٤٤٤هـ) كتابه " التحديد في الإتقان والتجويد " [١] وعلى المنهج الذي رسمه مكي صار مع بعض تعديل فيه ، وإضافة كثير من المعلومات الصوتية إلى ما ذكره مكي ، مما أكسب عمله ووسمه بطابع الجدة والابتكار ، بل التفرد والتقدم .

ومن بعد أبي عمرو الداني ألف أبو الحسن القاضي[٢] (شريح بن محمد بن شريح الرعيني ت ٥٣٧هـ) كتابه " نهاية الإتقان في تجويد القرآن " ومن بعده جاء علم الدين السخاوي [٣] (أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد ت ٦٤٣هـ) فألف كتابه " منهاج التوفيق إلى معرفة التجويد والتحقيق " وهذا الكتاب ضمن موسوعته " جمال القراء وكمال الإقراء " [٤]، كما ألف أرجوزة في هذا العلم اسماها " عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة لفظ التجويد ، وذكرت أيضًا باسم " روضة الدر والمرجان في تجويد القرآن " [٥]، ولقد شرح هذه الإرجوزة ابن أم قاسم المرادي [٦] (أبو محمد بدر الدين الحسن بن قاسم المرادي ، ٧٤٩هـ) واسمى شرحه " المفيد في شرح عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة لفظ التجويد " [٧] .

---

(١) ومن هذا الكتاب ثلاث نسخ منها نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية بمكتبة حليم برقم ١٥ قراءات والأخريين بالمكتبة العامة بجامعة القاهرة إحداهما تحت رقم ٢٦٠١٨ وهذه النسخة مصورة عن نسخة بمكتبة جار الله بإستانبول برقم ٢٣ وعنها مصور نسخة بمكتبة البلدية بالإسكندرية ، والأخرى برقم ٢٦٠١٩ وهذه النسخة مصورة عن الأصل المحفوظ بمكتبة خالص أفندي بالأستانة .

(٢) راجع في ترجمة شريح بغية الوعاه ٢/ ٣ وغاية النهاية ١/ ٣٢٤ .

(٣) راجع في ترجمة السخاوي علم الدين غاية النهاية ١/ ٥٦٨ وبغية الوعاه ١٩٢/٢ ، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٤٢٥ ، وأنباه الرواه للقفطي ٣١١/٢.

(٤) ومن كتاب جمال القراء نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٩م قراءات .

(٥) ومن أرجوزه علم الدين السخاوي عدة نسخ منها بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية نسخة رقم ٢٢٦ ، ٣٤٣ ، ٤٦٢ تحت فن التفسير ومنها بالمكتبة الأزهرية نسخة برقم ٢٧٤ قراءات .

(٦) راجع في ترجمة ابن أم قاسم غاية النهاية ١/ ٢٢٧ ، وبغية الوعاة ١/ ٤٦١ .

(٧) ومن هذا الشرح نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٦٣٨ قراءات وأخرى بالمكتبة التيمورية بها رقم ٤٦٢ تفسير .

كما ألف برهان الدين الجعبري (١) (أبو محمد إبراهيم بن عمر الربعي ت ٧٣٢هـ) قصيدة نونية تربو على ٧٥٠ بيتا ، واسماها " عقود الجمان في تجويد القرآن " وهي قصيدة جديرة بالنشر لما تحويه من معلومات صوتية كثيرة وهامة وألف كتابًا اسماه " حدود الإتقان في تجويد القرآن " ، كما ألف قصيدته الواضحة في تجويد الفاتحة (٢) .

فلما جاء ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد بن الجزري ت ٨٣٣هـ) ألف كتابه " التمهيد في علم التجويد " (٣) ، وترسم في تأليفه خطى مكي وأبى عمر الداني ، ونقل عنهما الكثير ، وألف أرجوزة جامعة في علم أصوات القرآن وهي المشهورة " بالمقدمة الجزرية " وعلى هذه الأرجوزة كتب كثير من الشروح أهمها شرح ولده (٤) (أبو بكر أحمد بن محمد الجزري ت ٨٣٥هـ) المعروف بابن المصنف وسمي الشرح " الحواشي المفهمة في شرح المقدمة " وشرح القَسْطَلاَّني (٥) (أبو العباس أحمد بن محمد شهاب الدين ت ٩٢٣هـ) المسمى " اللآلي السنية في شرح المقدمة الجزرية (٦) .

---

(١) راجع في ترجمة الجعبري غاية النهاية ١/ ٢١ ، وبغية الوعاه ١/ ٤٢٠ .

(٢) ومن هذه القصيدة نسخة فريدة بدار الكتب المصرية برقم ٢١٥١٤ ب .

(٣) ومن كتاب التمهيد عدة نسخ بالمكتبة الأزهرية ومنه عدة نسخ أخرى بدار الكتب المصرية منها نسختين بمكتبة طلعت برقم ٢٤٦ قراءات ، ٩٥ قراءات وثالثة بالمكتبة التيمورية برقم ٤٣١ تفسير ومنه نسختين بالمكتبة البلدية بالإسكندرية برقمي ٢٠٦٩ د ٥٠٧٠ ج ومن نسخ المكتبة الأزهرية أرقام ١٨٨ ، ١٣٢٤ ، ١٣٦٨ ، ١٢٠٣ فن القراءات .

(٤) راجع في ترجمة ابن المصنف غاية النهاية ٢/ ٢٥١ (من إضافات برجستراسر الناشر) .

(٥) راجع في ترجمة القسطلاني البدر الطالع ١/ ١٠٢ والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، لنجم الدين العزي ــ تحقيق الدكتور / جبرائيل سليمان جبور ١/ ١٢٦ ط بيروت .

(٦) ومن هذا الشرح عدة نسخ بدار الكتب المصرية منها نسخة رقم ٦ قراءات وأخرى بالمكتبة التيمورية رقم ٤٨٢ تفسير كما يوجد بالمكتبة الأزهرية عدة نسخ أيضًا منها نسخة برقم ٢٦٣ قراءات .

وشرح المسعدي [١] (عمر بن إبراهيم بن علي ت ٩٩٩هـ) المسمي "الفوائد المسعدية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية " [٢] وشرح علي القاري [٣] (علي بن سلطان محمد نور الدين الهروي ت ١٠١٤هـ) المسمي " المنح الفكرية على متن الجزرية " ، كما شرحها طاش كبرى زاده [٤] (أحمد بن مصطفى الرومي ت ٩٦٨هـ) ، وشرحها مرعي بن يوسف المقدسي (ت ١٠٣٣هـ) ، واسمي شرحه " تحفة المريد لمقدمة التجويد " [٥] ، وفي هذا الشرح نقول كثيرة عن المهدوي [٦] (أبو العباس أحمد بن عمارت نحو ٤٤٠هـ) وأبى الحسن شريح بن محمد بن شريح (ت٥٣٧هـ) من كتابه نهاية الإتقان في تجويد القرآن .

وبعد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) جاء ابنُ مُفْلح القَلْقيلي [٧] (محمد بن أحمد بن مفلح نجم الدين ت بعد ٩٠٢هـ) فألف موسوعة في أصوات القرآن الكريم جمع فيها أقوال من تقدمه اسماها " غنية المريد لمعرفة الإتقان والتجويد " [٨] .

ومن بعد القلقيلي جاء القَسْطَلاَّني (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى

---

(١) راجع في ترجمة المسعدي خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، للمحبي ٣/ ٢٠٧ ، ط بيروت .

(٢) ومن نسخ شرح المسعدي نسخة رقم ٢٥٣٢٢ ب بدار الكتب المصرية وأخرى بالمكتبة التيمورية برقم ٣٠٥ تفسير .

(٣) راجع في ترجمة علي القاري خلاصة الأثر ٣/ ١٨٥ ، وريحانة الأدب ٤/ ٣٩٧ .

(٤) راجع في ترجمة طاش كبرى زاده ، البدر الطالع ١/ ١٢١ ، ومن شرح طاش كبرى زاده نسخة بمكتبة طلعت برقم ٢٩٢ قراءات بدار الكتب المصرية.

(٥) ومن تحفة المريد نسخة بمكتبة خليل أغا برقم ٤ قراءات بدار الكتب المصرية.

(٦) لعل هذه النقول التي جاءت في تحفة المريد عن المهدوي من كتبه التيسير في القراءات ، وتعليل القراءات ، والهداية في القراءات وكلها مفقودة .
وراجع ترجمة المهدوي فهرسة ابن خير ص ٣١ ، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٥٦ ، وغاية النهاية ١/ ٩٢ وأنباه الرواه ١/ ٩١ ، ومعجم الأدباء ٥/ ٣٩ ، وكشف الظنون ٤٦٢ ، وهدية العارفين ١/ ٧٥ ، وبغية الوعاه ١/ ٣٥١ .

(٧) راجع في ترجمة ابن مفلح القلقيلي الضوء اللامع ٧/ ٤٢ .

(٨) ومن غنية المريد نسخة فريدة في المكتبة الأزهرية برقم ١٣٩٣ قراءات .

بكر ت ٩٢٣هـ) فألف في علم أصوات القرآن الكريم موسوعة أيضًا اسماها " المستطاب في التجويد " وذكرت أيضًا باسم " هداية القراء " (١) ، وفيها اعتمد على من تقدمه من علماء هذا الفن اعتمادًا كبيرًا ، وملاحظاته الخاصة فيها من الندرة بمكان .

كما ألف محمد بن بير علي البركلي محيى الدين (٢) (ت ٩٨١هـ) كتابه " در اليتيم في التجويد " (٣) وقد شرح هذا الكتيب الرومي (٤) (أحمد بن محمد الأقحصاري ت ١٠٤٣هـ) ، وبسط فيه القول بعض البسط (٥) فلما جاء ساچقلي زادة (٦) (محمد بن أبى بكر المرعشي ت ١١٤٥هـ) ألف في علم أصوات القرآن كتابًا اسماه " جهد المقل " وعلق عليه حاشية اسماها "بيان جهد المقل " وهو شرح له بالقول (٧) والكتابان جديران بأن يخصا بالدراسة لما يشتملان عليه من تحليل دقيق واع لأكثر العبارات والنصوص الخاصة بالدرس الصوتي ، والتي وردت في التراث النحوي والتجويدي القديم .

---

(١) ومن هداية القراء نسخة فريدة بدار الكتب المصرية برقم ٥٨٤ تفسير تيمور .

(٢) راجع في ترجمة البركلي أو البَرْكوي إيضاح المكنون ١/ ٢ ، وكشف الظنون ١/ ٥٤ وهدية العارفين ٢/ ٢٥٢ ، ومعجم المؤلفين ٩/ ١٢٣ .

(٣) ومن نسخ در اليتيم نسخة بالمكتبة التيمورية رقم ١٧٦ مجاميع وأخرى بمكتبة قوله برقم ٢٢ قراءات بدار الكتب المصرية .

(٤) راجع في ترجمة أحمد الرومي هدية العارفين ١/ ١٥٧ ، ومعجم المؤلفين ٢/ ٨٣ .

(٥) ومن نسخ شرح در اليتيم رقم ٢٢ ، ٤٢٤ قراءات ، ١٨٣٧ ب ، ١١٨ تفسير تيمور بدار الكتب المصرية .

(٦) راجع في ترجمة ساچقلي زاده إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لإسماعيل باشا البغدادي ـــ تصحيح محمد شرف الدين ١/ ٣١٥ ط تبريز ، ومعجم المؤلفين ١٣/ ١٤ .

(٧) ومن نسخ جهد المقل بدار الكتب المصرية نسخة رقم ١٦٣ قراءات وبمكتبة طلعت عدة نسخ منها ٩٨ ، ١٠٩ ، ١٠١ فن القراءات . ومنه بالمكتبة الأزهرية رقم ١٢١٠قراءات ، ٧٧ قراءات .

ومن نسخ بيان جهد المقل بدار الكتب المصرية بالمكتبة التيمورية رقم ١٢٤ ، ١٧٣ فن التفسير ، ومنه بالأزهر نسخة برقم ١٨٧ قراءات .

ومن بعد ساچقلي زادة جاء محمد مكي نصر الجريسي (ت ١٣١٣هـ) فألف كتابه " نهاية القول المفيد " وجملته نصوص مقتضبة مما ذكره ساچقلي زادة في كتابيه السابقين ، وفيه بعض نقول عن ابن غازي [١] (محمد بن أحمد المكناسي " أبو عبد الله " ت ٩١٩هـ) لعلها من كتابه " تفصيل الدرر في القراءات " [٢] ممزوجة بالنصوص المنقولة عن ساچقلي زادة .

كما ألف الشيخ العناني (محمود بن عمر الجزائري) كتاب " التوفيق والتسديد شرح الفريد في علم التجويد " [٣] وهذا الكتاب جاءت به نقول كثيرة عن ساچقلي زادة ، ومناقشات لبعض آرائه .

هذا أهم ما ألف وأنفعه في دراسة أصوات القرآن الكريم بطريقة أقرب ما تكون إلى الحصر التام . بيد أن هذه المؤلفات إذا كانت قد تناولت دراسة أصوات القرآن الكريم من الجانب الصوتي البحت ، ولم تتعداها إلى الحديث عن اختلاف أهل الأداء في القراءة ، وتعدد الرواية ، فإن الكتب التي درست تعدد القراءات ، والروايات ، وأوجه اختلافها لم تغفل الحديث عن الجانب الصوتي البحت لأصوات القرآن ، فأكثر ما ألف لهذا الغرض قدم له مؤلفوه حديثًا عن الإدغام ، والفتح والإمالة ، وغير ذلك من ظواهر صوتية .

ففي كتاب " جامع البيان في القراءات السبع المشهورة " لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) كثير من المعلومات والأفكار الصوتية [٤] ولا يقل شأنًا عنها ما جاء في كتاب " الوجيز في شرح أداء القراء الثمانية المشهورين " لأبي الحسن بن إبراهيم الأهوازي [٥] ولا ما جاء في كتاب " موجز في

(١) راجع في ترجمة ابن غازي الأعلام لخير الدين الزركلي ٦/ ٢٣٢ .

(٢) ويوجد كتاب تفصيل الدرر لابن غازي في الأسكوريال ، والجزائر (انظر تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٣/ ٢٢٩ .

(٣) ومن كتاب الفريد نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٦ قراءات .

(٤) ومن جامع البيان نسخة فريدة بدار الكتب المصرية برقم ٣ قراءات م وهي في ٣٨٣ ورقة .

(٥) ومن كتاب الوجيز نسخة بدار الكتب المصرية برقم ١٦٩ قراءات .

القراءات لأبى علي الأهوازي [١] (الحسن بن عبد الله بن إبراهيم ت ٤٤٦هـ) وكذا ماجاء في " مختصر الاكتفاء في اختلاف القراءة السبعة المشهورين من أئمة الأمصار " لابن خلف السَّرَقُطي [٢] (أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد ت ٤٥٥هـ) ، ولا ما جاء في كتاب " الإقناع في القراءات السبع " لأبى جعفر بن الباذش[٣] (أحمد بن علي ت ٥٤٠هـ) ، بل أن كتاب الإقناع من أجل ما صنف في فن القراءات ، وأعمها نفعا لدارس الأصوات ، ولا ما جاء في كتاب " النشر في القراءات العشر " لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ذلك الكتاب المتداول المشهور ، ولا ما جاء في كتاب " لطائف الإشارات لفنون القراءات " للقسطلاني [٤] (ت ٩٢٣هـ) كما تضمن كتاب " تهذيب القراءات العشر " لساچقلي زادة (ت ١١٤٥هـ) معلومات وأفكارًا صوتية ماهمة [٥] ، كما أن القصيدة المعروفة بالشاطبية للإمام الشاطبي [٦] (أبو محمد القاسم بن فِيْرُه ت ٥٩٠هـ) جاءت مذيلة

---

(١) ومن الموجز نسختان إحداهما بالمكتبة الأزهرية برقم ٤ قراءات وهذه النسخة بها ترميم وآثار رطوبة والأخرى بدار الكتب المصرية برقم ٥٩٦ قراءات .
وراجع في ترجمة أبي علي الأهوازي النجوم الزاهرة ٥/ ٥٦ وشذرات الذهب ٣/ ٢٧٤ ، ومعجم الأدباء ٩/ ٣٤ ، ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٤٧ .

(٢) ومن مختصر الإكتفاء نسخة فريدة بالمكتبة الأزهرية برقم ٢٧٦ قراءات ، وابن خلف السرقسطي (نسبة إلى سَرَقُسْطة مدينة في شرق الأندلس) راجع في ترجمته وفيات الأعيان ١/ ٢١١ ، وغاية النهاية ١/ ١٦٤ .

(٣) ومن كتاب الإقناع نسخة فريدة بدار الكتب المصرية برقم ب ١٩٦٦٦ وهي نسخة مصورة عن مكتبة راغب باشا بإستانبول رقم ٥ .
وراجع في ترجمة ابن الباذش ، غاية النهاية ٨٣/١ ، والكني والألقاب ٢٢٣/١، وبغية الوعاه ٤٢/٢ اوكشف الظنون ١٤٢٦/٢ اوالبحر المحيط لأبى حيان ٧/١ .

(٤) ومن لطائف الإشارات نسخة بدار الكتب المصرية برقم ١ قراءات قوله وهي في جزءين وقد حقق الجزء الأول منه ونشر بالقاهرة سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ، بتحقيق وتعليق الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين وما يزال الجزر الثاني منه مخطوطًا .

(٥) ومن نسخ التهذيب نسخة بالمكتبة التيمورية رقم ٣١٩ تفسير بدار الكتب المصرية .

(٦) راجع في ترجمة الإمام الشاطبي طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣٩ ، وغاية النهاية ٢/ ٢٠ .

بخمسة وعشرين بيتًا تضمنت مخارج الحروف ، وصفاتها بجانب ما عرض له الشاطبي في ثناياها من الحديث عن الإدغام ، والفتح والإمالة ، والوقف ، وهذه كلها ظواهر صوتية فتحت الباب أمام شارحيها لدراسة هذه الظواهر ، وتمكين القول فيها ، إذ قد نالت هذه القصيدة عناية فائقة من العلماء ، فكتبوا عليها الكثير من الشروح التي أبرزها وأنفعها في الدرس الصوتي شرح علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ) المسمى " فتح الوصيد في شرح القصيد " (١) ، وشرح أبى شامة (٢) (عبد الرحمن بن إسماعيل " أبو القاسم " ت ٦٦٥هـ) المسمى " إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع " ، وهو شرح مشهور متداول ، وشرح الجعبري (برهان الدين أبو محمد إبراهيم بن عمر ت ٧٣٢هـ) المسمى " كنز المعاني في شرح الأماني " (٣) ، وشرح علي القاري (ت ١٠١٤هـ) وهذا الشرح الأخير جدير بالنشر لما له من كبير أهمية ، وعظيم نفع لدارس الأصوات (٤) .

ومن هذا كله تبين مراحل وأطوار علم الأصوات العربي منذ بدأ حتى استوى ، واكتمل ، ونضج ، ووضعت يديك على أبعاده ، وتراثه ، وأعلامه، وجهد السلف فيه ذلك الجهد الكبير الذي عليه يحمدون ، ولأجله بالثناء جديرون إذ عليه قامت دراسة علم الأصوات في العصر الحديث من عرب وغير عرب في العربية ، وغيرها من اللغات ، ومنه استفيد في دراسة أصوات اللهجات الحديثة ، ورصد تطورها ، كما قامت على الإشارات واللمحات التي بثها رواد هذا العلم الأوائل من العرب في مؤلفاتهم فروع من البحث شتى ، وفتحت أبواب من الدرس الصوتي متعددة حتى احتل هذا العلم مكان الريادة بين العلوم ، بل أضحى يباريها في التقدم ، والنضج ، والاكتمال، سالكا في ذلك سبيل الدراسة الموضوعية والعملية التي هي أعدل طرق البحث العلمي ، وأصحها من حيث النتائج والمعطيات .

---

(١) وشرح السخاوي علم الدين في مجلدين ومنه نسخة بالمكتبة التيمورية رقم ٢٥٥ تفسير .

(٢) راجع ترجمة أبى شامة معرفة القراء الكبار ٢/ ٥٣٧ وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٦٣ ، وغاية النهاية ١/ ٣٦٦ ، وبغية الوعاه ٢/ ٧٧ .

(٣) ومن نسخ شرح برهان الدين الجعبري نسخة بالمكتبة الأزهرية برقم ١٥١ قراءات .

(٤) ومن شرح علي القاري نسخة فريدة بمكتبة قوله : بدار الكتب المصرية برقم ٣٢ قراءات .

(الفكر الصوتي نشأته وتطوره - نقول ولمحات من التراث)

ثانيًا : لمحات من تراث رواد الفكر الصوتي العربي .

لقد جادت قرائح لغويي العرب القدامى في علم الأصوات بما يستأهل الثناء والإعجاب والتقدير وبما هو مفخرة للعرب والعروبة والعربية والزهو بروادها وأئمتها والإكبار لهم والإشادة بهم والقطع بريادتهم والبت بشأن إمامتهم في هذا العلم وذلك الميدان اللغوتي الأثير وإليك نبذة وطرف من كلام وفكر هؤلاء الصوتي .

١) الخليل بن أحمد البصري (ت ١٧٠هـ)

مما ذكره الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) من معلومات وأفكاره صوتية أن القاف من عكدة اللسان وهي جذر أصله وهي لهوية (١) وأمّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رُفّه عنها لانت فصارت إلى الياء والواو والألف على غير طريقة الحروف الصحاح (٢) وأنها كالتهوع (أو كالتأوه) فجرسها الصوتي ليس مما يستحسن في السمع ويركن إليه الطبع فالهمزة عنده نوعان أو همزتان همزة مهتوتة مضغوطة في مخرجها (= الهمزة المحققة) وهذه حلقية لأنها تخرج من الحلق — وهمزه مُرَفّه عنها مُلَيَّنة وهذه جوفية أو هوائية وعلّيه (٣) لأنها قد صارت إلى الألف والواو والياء فأخذت حكم وطابع هذه الأحرف .

وقد أراد الخليل بهذا أن يفرق بين ما هو ليِّن في أصل وضعه وما هو محول عن الهمزة .

وفي الحاء بُحّة وفي الهاء هَهّة (ولِيْن وهَشَاشة وهي نَفَسٌ لا اعتياص فيها) (٤) وفي التاء هَتّة (٥) وخفوت (٦) وفي العين نصاعة (أي بالنسبة للغين المعجمة وأما النصاعة على الإطلاق فهي صفة للصاد) وفي القاف طلاقه بل

---

(١) العين ١/ ٥٢ (المقدمة) .
(٢) العين ١/ ٥٢ .
(٣) انظر العين ١/ ٤٧ .
(٤) العين ١/ ٥٤ .
(٥) العين ١/ ٥٧ .
(٦) العين ١/ ٥٤ .

إنها أطلق الحروف وأضخمها جَرْسًا [١] والحرف الخفي هو الهاء ولولا هَهّة في الهاء لأشبهت الحاء ولولا بُحّة في الحاء لأشبهت الهاء وقد استحسنوا الهاء للينها وهشاشتها وإنما هي نَفَسٌ لا اعتياص فيها .

وحروف الذلاقة اللام (والميم) والنون والراء والشفوية الميم والباء لخفتها وسهولتها وذلاقتها وزلاجتها وما عداها هي الحروف الصُّمّ [٢] . ولا تكاد تخلو كلمة رباعية أو خماسية من حروف الذلق أو الشفوية [٣] وإلا فهي غير متأصلة في العربية وكان ذَوْقُه للحروف أنه كان يفتح فاه بالألف (أي بهمزة الوصل) ثم يظهر الحرف [٤] (أي يأتي بالحرف بعدها ساكنا فحيث انقطع الصوت كان مخرجه .

وألف الوصل جئ بها لتكون عمادًا وسلّمًا للسان إلى حرف البناء [٥] فهي ألف خفيفة وهي الحرف العماد والحرف السُّلّم .

والسين لانت عن صلابة الصاد ونأت عن كزازة الزاي — والطاء ارتفعت عن خفوت التاء وأمّا الدال فقد توسطت بين الطاء والتاء .

وفي الإدغام أو التثقيل مَدٌّ للصوت ولذا فإنه يعبر به عن الصوت الممدود المُثقّل أي المصقول مثل صَلّ اللجام وصَرَّ الجندب ففي ذلك مد وتثقيل ، وأما التكرير فإنه يعبر به عن الترجيع في الصوت مثل صلصل اللجام وصرصر الأخطب ففي ذلك ترجيع وخفة [٦] .

كما أنه ذكر الأحياز والألقاب المخرجية للحروف فالعين والحاء والغين والخاء (وكذا الهمزة المهتوتة المضغوطة أي المحققة) حلقية .

والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة .

والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم.

---

(١) العين ١/ ٥٤ .
(٢) العين ١/ ٤٩ ، ٥٢ .
(٣) العين ١/ ٥٢ .
(٤) العين ١/ ٤٧ .
(٥) العين ١/ ٤٩ .
(٦) العين ١/ ٥٦ .

والصاد والسين والزاي أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرفه .

والطاء والدال والتاء نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى .

والظاء والذال والثاء لثوية لأن مبدأها من اللثة .

واللام (والميم) والنون والراء ذلقية لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفي ذلق اللسان .

والفاء والباء والميم شفوية أو شفهية .

والياء والواو والألف والهمزة (المُرَفَّهة عنها وهي الهمزة المُخَفَّفة) هوائية أو جوفية (١) .

هذا ولو أن الخليل بن أحمد قال العين كالتهوع والهمزة كالتأوه لكان أولى وأوقع والعين فيها جَعير أو تَجْعير والصاد فيها نصاعة وصفاء والقاف فيها عتق وتَقْعير .

والشين فيهل هشاشة (وما هو كالوَشيش) .

والغين فيها غَنْلَمَة والطاء فيها طَمْطَمة وطَنْطَنة .

والظاء فيه ظرافة وظلافة صوتية .

والفاء فيها تأفيف وَارِفٌ .

فهذا أولى وأوقع وأدق في وصف الحروف والتلميح بطبيعة صوتها ولعل طريق بعض ما ذكر التحريف النطقي والتصحيف الكتابي .

٢) سيبويه (عمرو بن بشر ت ١٧٥هـ)

ومن المعلومات الصوتية عند سيبويه (عمرو بن بشر ت ١٧٥هـ) أن الهمزة نبرة في الصدر تخرج باجتهاد (٢) وأنها كالتهوع (٣) . والضاد فيها استطالة (٤) ، والشين فيها تفش (٥) واللام فيها انحراف والصاد والسين

---

(١) العين ١/ ٥٨ .

(٢) الكتاب ٣/ ٥٤٨ .

(٣) الكتاب ٤ / ١٦٨ ، ٤٢٣ .

(٤) الكتاب ٤ / ٤٥٧ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠ .

(٥) الكتاب ٤ / ٤٤٨ .

والزاي ذات صفير وهن أندى في السمع مما سواها [١] .

ومن حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام[٢] . وحروف القلقلة تسمى الحروف المضغوطة والحروف المشربة [٣]، والقلقلة صوت دون روم الحركة يتبع الحرف في الوقف وبعض العرب يبلغ به الحركة المرامة [٤] .

وهذا الصويت لا يكون فيهن في الوصل إذا سَكَنَّ لأنك لا تنتظر أن ينبو (أي يرتفع) لسانك ولا يفتر الصوت (أي ولا ينتهي ولا يضعف الصوت) حتى تبتدأ صوتًا [٥] أي ما يكاد اللسان يفرغ من نطق الحرف المتقدم إلاَّ ويأخذ في نطق ما بعده فليس هناك مُهْلَة أو راحة تتيح خروج هذا الصُّويت الحركي لتخفف به من قوة وشدة ضغطها وتمنح نفسك راحةً به — والساكن لا ترفع لسانك عنه بصوت لو رفعت بصوت فقد حركته [٦] ولحروف الإطباق موضعان من اللسان [٧] .

والنون الخَفِيَّة نون خفيفة [٨] إذ لا يكون معها صوت من الفم وإنما صوتها من الخياشيم [٩] .

والاختلاس إسراع بلفظ الحرف ومعه يكون الحرف متحركًا[١٠] — ومن يُشم يُسَكِّن الحرف[١١] فليس الإشمام بصوت يُسْمَع وإنما هو للرؤية[١٢]

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٦٤ ، ٤٨١ .
(٢) الكتاب ٤ /
(٣) الكتاب ٤ / ١٧٤ ، ١٧٥ .
(٤) الكتاب ٤ / ١٧٤ ، ١٧٥ .
(٥) الكتاب ٤ / ١٧٥ .
(٦) الكتاب ٤ / ١٧٧ .
(٧) الكتاب ٤ / ٤٣٦ .
(٨) الكتاب ٤ / ٤٣٢ .
(٩) الكتاب ٤ / ٤٥٤ ، ٤٥٦ .
(١٠) الكتاب ٤ / ٢٠٢ .
(١١) الكتاب ٤ / ٢٠٤ .
(١٢) الكتاب ٤ / ١٧١ ، ١٧٧ .

فهو للإعلام بأن أصله الضم (هكذا قال) [١] . بخلاف الروم . والياء إذا تحركت لم تكن حرف لين [٢] .

والحركات من فتحة وضمة وكسرة بعض الألف والواو والياء [٣] . وحرف المد حرف ممطول [٤] .

وحرف المد بمنزلة متحرك [٥] ولذان فالألف تحتمل أن يكون الحرف المهموز بعدها بين بين لأنها مَدٌّ كما تحتمل أن يكون بعدها ساكن [٦] ، وهذا يَنمّ عن إحساسهم بأن حروف المد حركات محضة وليست حروفًا وألف الوصل تسمى الألف الخفيفة [٧] ، والإدغام بغنة معناه أن صوت الفم أشرب غنة [٨] من الخياشيم .

ومما هو جدير بالوقوف معه عنده وتوضيحيه أنه جعل علامة المجهور منع النفس وعلامة المهموس جرى النفس [٩] ، وجعل علامة الشديد منع الصوت وعلامة الرخو جرى الصوت [١٠] وذلك من قِبَل أن الهواء الخارج من الرئتين لا يُمنَح صفة التصويت ولا يسمى صوتًا إلاّ عندما يصل إلى مخرج الحرف وموضعه التحقيقي ويحصل عليه اعتماد " ما " عليه هناك اعتماد شديد واعتماد ضعيف أو نسبي ـــ وخاصة في منطقة الفم . إذ أن مخرج الحرف هو موضع تَكَوُّن الصوت وإنتاجه وفيه تبرز معالمه ومنه ينطلق وأمّا قبل وصول ذلك الهواء إلى مخرج الحرف أو بتعبير أدق قبل مروره في الحنجرة أو خروجه عنها هو هواء مجرد أو نفس مجرد شبه خالٍ من التصويت فلا يسمي لذا صوتًا وإنما يسمى نَفَسًا .

(١) الكتاب ٤ / ١٦٨ ، ٤٢٣ .
(٢) الكتاب ٤ / ١٩٧ .
(٣) الكتاب ٤ / ٥٤٤ .
(٤) الكتاب ٤ / ٤٣٨ ، ٤٤٧ .
(٥) الكتاب ٤ / ٤٣٧ ـــ ٤٣٨ .
(٦) الكتاب ٣ / ٥٤٧ .
(٧) الكتاب ٣/ ٥٢٠ ـــ ٤/ ٤٧٥ .
(٨) الكتاب ٤ / ٤٥٤ .
(٩) الكتاب ٤ / ٤٣٤ .
(١٠) الكتاب ٤ / ٤٣٤ ـــ ٤٣٥ .

من التصويت فلا يسمى لذا صوتًا وإنما يسمى نَفَسًا .

ولا يكتسب ذلك النَّفَس صفة التصويت إلا بعد مرور بالحنجرة ومن هنا فإن ذلك الهواء المُنْطَلِق إذا منع قبل المخرج التحقيقي له أو قبل مرورة بالحنجرة ومغادرته لها فهو مَنْعٌ للنفس وجَرْيُه يكون جريا للنفس .

وأمّا إذا ما وصل إلى مخرج تحقيقي في منطقة الحنك فإن منعه يكون مَنْعًا للصوت إذ قد اكتسب حينئذ صفة التصويت بمرورة بالحنجرة وإذا ما جرى فإنه يكون جريا للصوت وعلى هذا الأساس عوّل سيبويه وبنى تصنيفه للأصوات إلى مجهودة ومهموسة من جهة وإلى شديدة ورخوة من جهة أخرى وجعل علامة المجهور منع النفس وعلامة المهموس جرى النفس — كما جعل علامة الشديد منع الصوت وعلامة الرخو جرى الصوت ، ومن هنا فإنه لا تناقض عنده بين الشدة والهمس وهما صفتا الكاف والتاء ، فإن النفس يجرى معهما بمعنى لا يمنع ولا يحبس في منطقة الحنجرة بينما يمنع الصوت معهما أي يحدث حبس معهما بعد مرور الهواء بمنطقة الحنجرة وقد صار بذا صوتًا أو اكتسب صفة التصويت ، وبذا يكون سيبويه قد فطن إلى أنه يحدث اعتماد في أول مجرى الهواء أي في منطقة الحنجرة وهذا قد يكون مُشْبَعًا مصحوبًا بصوت الصدر وينتج عنه ما يسمى الصوت المجهور وقد يكون ضعيفًا وينتج عنه ما يسمى الصوت المهموس .

كما يحدث مع هواء النَّفَس الذي قد اكتسب صفة التصويت اعتماد آخر في مخرجه ونقطة النطق به وهذا قد يكون مشبعا أي قويًا شديدًا وينتج عنه ما يسمى الصوت الرخو . وأضاف إلى ذلك أن الرِّخو يمكنك مَدُّ الصوت به وأمّا الشديد فإنه لا يمكنك مد الصوت به إذا ما أردت ذلك فلا يمكنك مد الصوت بالجيم من لفظ " الحجّ " بينما يمكنك مد الصوت بالسين من لفظ "الطّسْ " (١) .

وبالنسبة للمجهور والمهموس ذكر أن المجهور يحدث معه صدى في الصدر (= صوت الصدر نتيجة الانعكاس الصوتي) بخلاف المهموس فلا يحدث معه صوت في الصدر (٢) .

---

(١) الكتاب ٤ / ١٧٤ ـ ١٧٥ ، ٤٣٤ ـ ٤٣٥ .
(٢) الكتاب ٤ / ١٧٤ ـ ١٧٥ .

كما أن المهموس يمكن ترديده مع جرى النَّفَس بخلاف المجهور فإنه لا يمكن ترديده (١) .

فهذه علامات مميزة وسمات وملامح وخواص صوتية فارقة قد هدى وفطن إليها سيبويه مع اعتماده على الملاحظة الذاتية وذلك بما كان يتمتع به من ذوق لغوي وحِسّ صوتي مرهف . فعند سيبويه من حيث الشدة والرخاوة، ما هو شديد محض وهذه يكون اللسان معها لازما لموضع الحرف ويعترض الصوت هذا من جهة ومن جهة أخرى أن الصوت يخرج من موضع الحرف بعد تجافي اللسان أو زوال الانطباق . وهذه ثمانية هي الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والظاء والدال والباء .

وما هو رخو محض خاصته أن اللسان يتجافى عن موضع الحرف دون اعتراض للصوت فيخرج الصوت من موضع الحرف دون موقف ثم ما هو شديد غير محض (وهي ما عدا العين وحروف المد واللين مما أسمى بالأصوات المتوسطة) وخاصتها أن اللسان يكون لازما لمخرج الحرف ويجرى الصوت من موضع آخر أو يجرى من موضع الحرف ولكن في طفرات وعلى دفعات عدة لتكرر ضربات اللسان معه وهي أربعة أحرف اللام والنون والميم والراء وقسم رابع هو شبه رخو أو رخو غير محض وله حرف واحد هو العين لشدة ضيق مخرجه ، كما ذكر أن العين أشبه الحروف بالهمزة (٢) وأمّا الألف والواو والياء فهي حروف اتسعت مخارجها (٣) .

ومن هنا فإنه لا اضطراب ولا تناقض في كلام وتحليل سيبويه بل إنه كلام وتحليل في غاية الدقة وإنه لجدير بالإشادة والإعجاب .

وأمّا المحدثون فقد عولوا في وصف الصوت بالجهر أو الهمس على ما يحدث في الحنجرة من تذبذب الوترين الصوتين أو عدم تذبذبها أو انغلاقها مع انفتاح مفاجئ كما هو خاصة الهمزة (وكذات الطاء والقاف) فهي صوت لا مجهور ولا مهموس ..

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٤ .

(٢) الكتاب ٤ / ٣٠٦ .

(٣) راجع الكتاب ٤ / ٤٣٤ ــ ٤٣٦ .

وعوّلوا في وصف الصوت بالشدة والرخاوة على ما يحدث في منطقة ونقطة النطق من التقاء محكم يعقبه انفجار نتيجة الانفراج المفاجئ أو تقارب وتماس في غير انغلاق أو انغلاق يعقبه انفصال بطئ ، كما هو خاصة الجيم فهي صوت مركب أو مزدوج بمعنى أنه قد مازج شدته رخاوة وأنه يتكون من جزءين جزءه الأول شديد وجزءه الثاني رخو أو احتكاكي فهو مزيج من الشدة والرخاوة إذ قد جمع بين خاصتين صوتيتين هما الحبس التام ثم الحفيف نتيجة الانفصال البطئ .

كما عرض سيبويه لأحياز الحروف عني نص على ما هو من حيز واحد منها فهي مجموعات عنده [١] ولكنه لم يُلَقّبها بما لقبها به الخليل من حلقية ولهوية وشجرية وأسلية ونطعية ولثوية وشفوية وجوفية — وهاوية أو هوائية [٢] .

كمَا ذكر وتحدث عن النطق ، كما أنه قد تحدث عن ضروب وأنواع من النطق بالأحرف منها الضاد الضعيفة — والجيم كالكاف والجيم كالشين — والباء كالفاء والكاف كالجيم وفَصّل القول في الضاد الضعيفة [٣] لشيوع نطقها في عصره وشدة التحذير منها .

٣) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ)

لقد كان الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ) في كتابه "البيان والتَّبيين " أو " البيان والتَّبَيُّن " كما أشار إلى ذلك في أكثر من موضع من كتابه [٤] بصدد الحديث عن البلاغة والفصاحة الصوتية والبلاغة والفصاحة الأسلوبية أو الكلامية ، فعنده أن البلاغة والفصاحة الصوتية مدخل بل هي جزء أساسي وركن هام وعماد البلاغة الأسلوبية أو الكلامية .

ولذا نراه قد قَدّم للبلاغة الأسلوبية بحديث عن البلاغة الصوتية جاء في

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٦٤ وما بعدها .

(٢) العين ١/ ٥٨ (المقدمة) .

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٢ .

(٤) راجع البيان والتبيين ١/ ١١ ، ١٨٢ وهو والتَّبَيُّن عنه بمعنى تلمس وتفهم البلاغة الصوتية والبلاغة الأسلوبية والاهتداء والاسترشاد فيهما بما أُثِر عن المتقدمين .

نحو مائة صفحة . وذَكَر أن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة هي ذاتها الإرادة الفاعلة في حسن البيان [١] .

وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى تدريب ورياضة وإلى تمام الآلة (أي عضو النطق) وإحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج وجهارة ووضوح المنطق وتكميل الحروف وإقامة الوزن (أي الايقاع) وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة والحسن والطلاوة الصوتية كحاجته إلى الجزالة والفخامة اللفظية والأسلوبية وكلما كان اللسان أبين نطقا وتصويتا كان أحمد [٢] .

وقد عرض الجاحظ طرفا من العيوب العضوية والعضلية التي تُخلَ بنطق الأصوات وتَحُول دون إقامة النطق بها كما ينبغي وما تحدثه من لُثْغة في التصويت بالحرف [٣] ، ومنها ضخامة اللسان وغلظه وامتلاء الفم به [٤]. ومنها تراكب الأسنان واختلافها وسقوطها أو سقوط بعضها [٥] . وكذا سقوط الثنايا أو مقدم الأسنان [٦] ، وكذا إذا ما كان في لحم مغارز الأسنان تشمير وقصَر سُمْك والأهتم يشق ويصعب عليه نطق الفاء والسين ويعول على عظم لسانه [٧] .

فللأسنان أثر كبير في إقامة الحروف وتكميل آلة البيان [٨] كما يساعد عليها اتساع جوف الفم وأن يجد اللسان حوله فراغا وحيزا كافيًا يتيح له حرية الحركة [٩] .

وذكر الجاحظ أنه ما أشد الحاجة إلى حسن البيان وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة النطقية والصحة الصوتية [١٠] وإلى التدريب على إقامة

---

(١) السابق ١/ ١٤ .
(٢) البيان والتبين ١/ ١١ .
(٣) السابق ١/ ٥٢ ـــ ٥٣ .
(٤) السابق ١/ ٤٧ ، ٤٨ .
(٥) البيان ١/ ٤٦ .
(٦) السابق ١/ ٤٥ .
(٧) السابق ١/ ٤٧ ، ٤٨ .
(٨) السابق ١/ ٤٤ .
(٩) البيان ١/ ٤٧ ، ٤٨ .
(١٠) البيان ١/ ١٤ .

النطق بالأصوات وتدريب اللسان [١] .

وعدم المبالغة والغلو (والتصفح) في النطق بالأصوات وبهذا الصدد مدح رحابة الشدق وبُعد رنين الصوت وجهارته [٢] كما مدح جودة الحلق والتقعيب والتقعير الجيد والحسن في النطق بالأصوات [٣] .

وعاب وذم التشدق وذكر أن المتشدق يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها[٤] وذكر أن المتشدق قد انتحل سعة الأشداق ورحابة الغلاصم وهدل الشفاه [٥] .

كما عاب التقعير وهو أن يتكلم بأقصى قعر فمه (أو حنكه) والتعقيب (وهو مثل التكسير للكلام) [٦] وذكر أن هذا من سماجة التكلف وشنعة التزيد ما فيه وهذا كاف في باب المذمة [٧] ــ كما عاب وذم اللجلجة والنحنحة والانقطاع والبَهْر [٨] وما يعرض للخطيب من النحنحة والسّعلة وذلك إذا انتفخ سحره وكبا زنده ونبا حده [٩] .

وذكر أن التمتام (أي التأ تاء) الذي يتعتع في التاء [١٠] . والفأ فاء وهو الذي يتعتع في الفاء [١١] . واللّفلاف وهو الذي يدخل بعض كلامه في بعض وفي لسانه لفف [١٢] . والْوَلاء الذي يَلْتَوِي لسانه ولا يكاد يبين [١٣] . والذي

---

(١) السابق .
(٢) السابق ١/ ٨٥ ، ٨٨ .
(٣) السابق ١/ ٩٢ .
(٤) البيان ١/ ١٨٣ .
(٥) البيان ١/ ١٢ .
(٦) السابق .
(٧) السابق ١/ ١٣ .
(٨) البيان ١/ ٩٤ .
(٩) البيان ١/ ٣٣ .
(١٠) السابق ١/ ٣١ .
(١١) السابق ١/ ٣١ .
(١٢) البيان ١/ ٣١ .
(١٣) البيان ١/ ٣١ .

في كلامه هُبْشة الكلام يثقل عليه (١) . والذي في لسانه عُقْلة وعقده يتعقل ويتعقد عليه الكلام (٢) ، والذي في لسانه حُقْلة (بالحاء) أي نقصان لآلة النطق يعجز عن إقامة اللفظ حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال (٣) . والذي في لسانه لُكْنة يُدْخل بعض حروف المعجم في حروف العرب وتجذب لسانه العادةُ الأولى إلى المخرج الأول (٤) .

كما كشف النقاب عن مدى إدراك السابقين والرواد الأوائل لأهمية إقامة الحروف وتحقيق وتمكين النطق بها وأثر ذلك في إتمام وحسن البيان ، حتى ضاقت نفوسهم وقلوبهم وصدورهم ذرعًا بما كان يعرض لهم من لُثغَة أو لُكنة صوتية أو خطأ نحوي أو لُكنة إعرابية . حتى أن واصل ابن عطاء قد تجنب الراء من كلامه لما لم يستطع تقويم لسانه ولم يواته النطق التحقيقي بها (٥) . وكذلك أبو حذيفه ابن اليمان أسقط الراء من كلامه (٦) . كما أن محمد بن شَبِيب المتكلم قد أخذ نفسه بالدربة والممارسة حتى قَوَّم لسانه واستقام له إخراج الراء من مخرجها (٧) . وكذلك سليمان بن يزيد العدوى الشاعر (٨) ومحمد بن الحجاج الكاتب (٩) .

واستعصى على البعض تقويم لسانه مثل شَوْشَى صاحب عبد الله ابن خالد الأموي (١٠) فقد كان يقول في مولاي ولي الري — موياى وَيِيَّ اليَّىْ وفي مضر — مُضَىَ (١١) (بالياء) ، وأمَّا أبو رمادة فقد طلق امرأته لعدم استطاعتها إقامة نطقها بها (١٢) .

---

(١) البيان ١/ ٨ ، ١٢ ، ٣٢ .
(٢) السابق .
(٣) البيان ١/ ٨٢ .
(٤) البيان ١/ ٣٢ .
(٥) البيان ١/ ١٣ — ١٥ ، ٢٠ — ٢١ ، ٣٠ .
(٦) السابق ١/ ١٤ .
(٧) البيان ١/ ١٤ — ١٥ ، ٣٠ .
(٨) السابق ١/ ٣٠ .
(٩) البيان ١/ ٣٠ .
(١٠) السابق .
(١١) السابق .
(١٢) السابق .

ومما رصده وذكره من لُكْنة صوتية وما كان يحدث لأصوات العربية في لسان العجم وأثر اللغة الأصلية من نَبَطيّة وخرسانية وأهوازية في لسان الخرساني والأهوازي والسندي عند تكلمه بالعربية [١] وما يكون هنالك من لُكْنة صوتية ولُكْنة نحوية [٢] .

فمن ذلك ما ذكره من النطق بالثاء في موضع السين فيقال في : أبو يكسوم ــ أبو يكثوم ، وفي بُسْرَة ــ بثرة ، وفي بسم الله ــ بثم الله [٣] . والنطق بالطاء في موضع القاف فيقال في : قلت له ــ طلت له ، وقال لي ــ طال لي[٤] . والنطق بالغين أو بالذال أو بالظاء في موضع الراء [٥] . وبالكاف في موضع اللام [٦] . والنطق بالسين في موضع الشين فيقال في : ما شعرت ــ ما سعرت[٧] . وبالذال في موضع الجيم فيقال في : الجماع ــ الذماع [٨] . وبالدال في موضع الذال [٩] .

كما ذكر أنه كان ينطق بالياء في موضع اللام فيقال في جَمَل ــ جَمَى[١٠] ، وبالياء في موضع الراء فيقال في عُمَر ــ عُمَىْ [١١] .

كما كان ينطق بالكاف في موضع القاف فيقال في القمر ــ الكمر[١٢] . وبالهاء في موضع الحاء فيقال في : حمار وحشي ــ همار وهشي ، وفي الحاصل ــ الهاصل [١٣] . وبالسين في موضع الزاي فيقال في : زورق ــ

---

(١) البيان ١/ ٥١ ــ ٥٢ .
(٢) السابق ١/ ٥٤ .
(٣) البيان ١/ ٢٨ ــ ٢٩ .
(٤) البيان ١/ ٢٩ .
(٥) البيان ١/ ٢٩ .
(٦) السابق .
(٧) البيان ١/ ٥٣ .
(٨) البيان ١/ ٥٤ .
(٩) البيان ١/ ٥٤ .
(١٠) السابق ١/ ٢٩ .
(١١) السابق .
(١٢) البيان ١/ ٥٣ ــ ٥٤ .
(١٣) البيان ١/ ٥٣ ــ ٥٤ .

سوْرَق [١] . وبالهمزة في موضع العين ، وبالتاء في موضع الطاء [٢] .

كما ذكر أن الرومي كان يُختَبَر بأن يكرر لفظ ناعمة وشمس ثلاث مرات متواليات [٣] . وفضلاً عن هذا ذكر طرفًا مما يدخل في علم الأصوات التركيبي فعرض لما يقترن من الحروف وما لا يقترن فالجيم لا تقارن القاف ولا الظاء ولا الطاء ولا الغين لا بتقديم ولا بتأخير [٤] وذلك على نحو ما حكاه الأقدمين .

كما ذكر ما يشق من الأصوات والكلمات المتجاورة عن اللسان ويكده وما يكون منها مستكره متنافر لكونه مختلفا متباين الجرس غير متساوق الصوت . وما يكون منها مَلْسًا سَهْلاً لين المعاطف خفيفًا على اللسان حتى تحس وتشعر وكأن البيت بأسره كلمة واحدة وكأن الكلمة حرف واحد [٥] .

كما أن الجاحظ عرف ما يسمى " الفُون " الذي هو أحد أصوات الحرف وعبر عنه بلفظ الأصوات أو الصوت الذي لا يصوره الخط لأنه ليس من الحروف المعروفة (أي ذات الرمز المستقل والكيان الذاتي) وإنما هو مخرج من المخارج (أي يتبع أحد الحروف ويأتي في إطاره ونطاقه) وينتمي إلى حرف معروف [٦] وتؤديه أعضاء النطق وذو أثر في السمع [٧] . وكذا ذكر طرفا مما يدخل في إطار علم الأصوات المقارن ومن ذلك ما ذكره نقلا عن الأصمعي من قوله : " ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسريان ذال " [٨] . كما ذكر طرفا مما يأتي في إطار علم الأصوات العام ، ومن هذا ما ذكره من أنه يكثر استعمال الروم للسين والجرامقة للعين وأن في كل لغة أصواتًا يكثر دورانها فيها [٩] . ومنها ما يدخل في إطار اكتساب الطفل للغة حيث ذكر أن الميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الأطفال يواتيها

(١) السابق .
(٢) البيان ١/ ٥٣ .
(٣) البيان ١/ ٥٢ .
(٤) البيان ١/ ٥١ .
(٥) البيان ١/ ٥٠ .
(٦) البيان ١/ ٢٨ .
(٧) البيان ١/ ٢٨ ، ٣٠ .
(٨) البيان ١/ ٤٨ .
(٩) البيان ١/ ٤٨ .

حيث ذكر أن الميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الأطفال يواتيها النطق بها فيكثر في لسانهم لفظ " ماما " و " بابا " (١) .

كما لم يغفل الحديث عن لغة الطير والحيوانات فذكر أن القطا يتهيأ لها التصويت " قطا ــ قطا " (٢) . والببغاء والغداف والغراب والسنانير كلما كان لسانها أعرض كان صوتها ومجاوبتها أفصح وأبين وأحكى لما يُلَقَّن ولما يُسْمَع (٣) وكذلك البهيمة والسَّبع (٤) . ولولا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كل حيوان أو طائر ففي لسانه الكثير من الحروف المُقَطَّعة المعروفة (٥) . والكلاب يطاوعها ويتهيأ لها التصويت بالعينات والواوات والفاءات (٦) ، والغنم لا يتهيأ لها التصويت بلفظ " ما " (٧) .

كما لم يغفل الحديث عن بعض لغات ولهجات العرب فذكر أن الحِنْطة لغة كوفية والقمح لغة شامية (٨) وأن أهل الأمصار يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب (٩) ــ ومما أورده الجاحظ في كتابه البيان والتَّبْيُّن ــ أنه ذكر أن عامة القوم ينطقون الضاد من الشدق الأيمن ولا تتأتى لهم من الشدق الأيسر إلا بتكلف واستكراه شديد وأن الأعسر ينطق بها من الشدق الأيسر ، وأن منهم من كان يخرجها من أيِّ الشدقين شاء كما كان ينطقها عمر بن الخطاب ﷺ (١٠) .

٤) ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ)

ومن المعلومات والأفكار الصوتية عند ابن جني والتي أوردها في كتابه سر صناعة الإعراب وكتابه الخصائص (خصائص اللغة العربية)

---

(١) البيان ١/ ٤٧ .
(٢) البيان ١/ ٤٨ .
(٣) البيان ١/ ٤٧ .
(٤) السابق .
(٥) البيان ١/ ٤٨ .
(٦) البيان ١/ ٤٨ .
(٧) البيان ١/ ٤٧ .
(٨) البيان ١/ ١٦ .
(٩) البيان ١/ ١٧ .
(١٠) البيان ١/ ٤٧ .

وكتابه " المنصف في شرح تصريف أبى عثمان المازني " .

أولاً : من حديثه عن الحركات وأحرف المد واللين .

الحركات من فتحة وضمة وكسرة أبعاض حرف اللين من ألف وواو وياء ومدية (١) ومن متقدمي النحاة من كان يسمى الضمة الواو الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والفتحة الألف الصغيرة (٢) (فأصوات وحروف المد تامة طويلة) والحركات من فتحة وضمة وكسرة تسمى الأصوات الناقصة (٣) والأصوات الصغيرة القصيرة (٤) والألف والواو والياء الحركات المشبعة أو الأصوات المشبعة (سر الصناعة ١/ ٢٠ ، ٢٧) .

وإذا مَطَلْتَ الفتحة (٥) وأشبعتها وزيد فيها نشأ ألف (٦) .

وإذا مطلت الكسرة (٧) وأشبعتها وزيد فيها نشأ عنها ياء (٨) .

وإذا مطلت الضمة (٩) وأشبعتها وزيد فيها نشأ عنها واو (١٠) .

وهذه الحركات تُمْطَل عن التذكر كما في قمتَ (أي أنت) وقمتُ (أي أنا) وقمت (أي أنت) (١١) . وتمطل أيضًا حركة هاء الضمير في الوصل نحو " كأنه " يقال فيها " كأنهو " (١٢) فإنك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفًا من جنسها (١٣) وتَمَّت وَوَفَت (١٤) .

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩ ــ ٢٠ ، ٣٠ والخصائص ٢/ ١٦ ، ٣٢٧ ، ٣/ ١٢٧ .

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩ ــ ٢٠ والخصائص ٢/ ٣٣٥ ، ٣/ ١٢٨ والمنصف ١/ ٢١٣ .

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٣ .

(٤) الخصائص ٢/ ٤٩٤ .

(٥) الخصائص ٣/ ١٢٢ .

(٦) الخصائص ٣/ ١٢١ .

(٧) الخصائص ٣/ ١٢٣ ، ١٣١ .

(٨) الخصائص ٣/ ١٣٦ .

(٩) الخصائص ٣/ ١٢٢ ــ ١٢٣ ، ١٣١ .

(١٠) الخصائص ٣/ ١٢٤ ، ١٣٢ .

(١١) الخصائص ٣/ ١٢٩ ــ ١٣٠ .

(١٢) الخصائص ٢/ ٣٥٨ .

(١٣) الخصائص ٢/ ٣١٥ .

(١٤) الخصائص ٢/ ٣١٦ .

وهذه الحروف من ألف وواو وياء مدية تسمى الحروف المصوتة [١]. والحروف الممطولة [٢] والحروف المشبعة [٣] والحروف المستطيلة [٤] والأحرف الطويلة [٥] ، والممتدة [٦] واللينة [٧] والممدودة [٨] والمدات [٩] وحروف المد[١٠] . والأحرف التامة[١١] والوافية[١٢] والتوام [١٣] والكوامل[١٤] ولهذه الحروف من ألف وواو وياء مدية صوتها أكثر من الحركات [١٥] والمد فيها عوض عن الحركة [١٦] والحركة التي قبلها كأنما هي في نفس الحرف [١٧] .

وأصل المد وأقواه وأعلاه وأنعمه وأنداه إنما هو للألف وأما الياء والواو في ذلك محمولان عليها وملحقان في الحكم بها [١٨] . والواو والياء إذا ما تحركتا لحقتا بالحروف الصحاح [١٩] . وهذه الأحرف من ألف وواو وياء مدية يشبع مطلها [٢٠] ويطول صوتها وتتمكن مدتها إذا جاء بعدها الهمز أو

---

(١) الخصائص ٣/ ١٢٤ ــ ١٢٥ .
(٢) الخصائص ٢/ ٣١٥ ــ ٣١٦ ، ٤٩٥ ، ٣/ ١٢٤ ، ١٢٨ ــ ١٣٠ ، ١٥٥ .
(٣) الخصائص ٢/ ٣١٥ ــ ٣١٦ ، ٣/ ١٣٠ .
(٤) الخصائص ٣/ ١٢٥ وسر الصناعة ١/ ٨ ، ٣٦ ، ٧١ .
(٥) الخصائص ٣/ ١٢٤ . ٢/ ٣٩٥ ، ٣/ ١٢٥ ــ ١٢٦ ، ١٢٩ .
(٦) الخصائص ٣/ ١٢٤ . ٣/ ١٢٤ وسر الصناعة ١/ ٨ .
(٧) الخصائص ٣/ ١٢٤ .
(٨) الخصائص ٣/ ١٢٥ ــ ١٢٦ ، ١٢٨ .
(٩) الخصائص ٣/ ١٥٤ وسر الصناعة ١/ ٣١ والمنصف ١/ ٢١٣ .
(١٠) سر الصناعة ١/ ٧١ .
(١١) الخصائص ٢/ ٣١٦ ، ٤٩٤ ، ٣/ ١٢٦ .
(١٢) الخصائص ٢/ ٣١٦ ، ٤٩٤ ، ٣/ ١٢٥ ــ ١٢٦ .
(١٣) سر الصناعة ١/ ٢٠ ، ٣٤ .
(١٤) سر الصناعة ١/ ٢٠ ، ٣٠ .
(١٥) الخصائص ٢/ ١٢٦ .
(١٦) الخصائص ٣/ ١٢٦ .
(١٧) الخصائص ٢/ ٣١٨ ، ٣/ ١٤٧ ، ١٥٨ .
(١٨) الخصائص ٣/ ١٢٧ .
(١٩) سر الصناعة ١/ ٢٢ ــ ٢٣ .
(٢٠) الخصائص ٢/ ٤٩٥ .

الحرف المشدد أو وُقف عليها عند التَّذَكُّر [١] ، وللندبة [٢] . وبذا تصير للمد (أي في المد) أضعاف الفتحة والضمة والكسرة [٣] . وبين الواو والياء قربا ونسبا ليس بينها وبين الألف وكذلك بين الكسرة والضمة قربا ونسبا ليس بينها وبين الفتحة [٤] .

ومما ذكره من معلومات صوتية :

قوله في الإشمام قنعوا من الحركة أن يُومِئُوا إليها بالآلة (أي بالعضو النطقي) التي منِ عادات أن تستعمل في النطق بها من غير أن يخرجوا إلى حس السمع شيئا من حس الحركة لا مشبعة ولا مختلسة يعني إعمالهم الشفتين للإشمام في المرفوع بغير صوت يُسْمَع هناك [٥] . والإشمام في تقدير السكون [٦] . والإخفاء أبين من الإشمام وأظهر إلى الحِسّ [٧] .

ثانيًا : من كلامه وحديثه عن الحروف (أي الصامتة) :

أنه قال : كما قال الخليل بن أحمد : الحاء فيها بُحّه [٨] ز والهاء فيها هَهّة وفيها ضعف وخفاء [٩] . والتاء فيها هَتّة وخفوت [١٠] . والضاد فيها طول [١١]. والعين فيها نصاعة [١٢]. والقاف تمتاز بقوتها وصحة جرسها[١٣]. وحروف القلقلة تسمى الحروف المضغوطة [١٤] والحروف المحفوزة [١٥] .

---

(١) الخصائص ٣/ ١٢٥ .
(٢) الخصائص ٣/ ١٢٩ .
(٣) الخصائص ٢/ ٤٩٥ .
(٤) سر الصناعة ١/ ٢٣ ــ ٢٤ .
(٥) الخصائص ١/ ٧٣ .
(٦) المنصف ٢/ ١٩١ .
(٧) المنصف ٢/ ١٩١ .
(٨) سر الصناعة ١/ ٢٤٦ .
(٩) سر الصناعة ١/ ٧٤ .
(١٠) سر الصناعة ١/ ٧٥ .
(١١) سر الصناعة ١/ ٢٢٤ .
(١٢) سر الصناعة ١/ ٢٤٦ .
(١٣) سر الصناعة ١/ ٧٥ .
(١٤) سر الصناعة ١/ ٧٣٣ .
(١٥) سر الصناعة ١/ ٧٣ .

وقال اللسان ينبو عن المدغم ينوة واحدة [١] : فهو حرف واحد قد امتزج واختلط فيه الأول بالثاني وزالت الوقيفة والفترة النطقية بينهما [٢] . فالإدغام يقوم على إزالة الوقفة الفاصلة بين الصوتين . هذا في النطق والتصويت بالحرف وأمّا في التحليل البنيوي فهو كما قال : " الحرف المشدد أبدًا حرفان من جنس واحد الأول منهما ساكن " [٣] .

كما قد عرف ابن جني (ت ٣٩٢هـ) كُنْه وحقيقة ظاهرة النبر الصوتي وذَكَر ملامحها واسماها باسمها المشهور (النبرة) على نحو ما ترددة الدراسات المعاصرة كما أوضح دورها في اللغة العربية . وذلك في الجزء الأول من كتابه الخصائص ١/ ٢٩ في بيانه للمعنى الاصطلاحي للكلام وإيضاحه الفرق بينه وبين القول في معرض تدليله على أن الكلام إنما هو مصطلح للجمل التوام دون الآحاد (أي دون اللفظ الواحد المفرد) وأنه يطلق على ما كان تاما مفيدًا قائما برأسه غير محتاج إلى متمم .

فقد أكد على أن الشّجْو والطرب والاستحسان والاستغراب للحديث لا يتم بواسطة كلمة واحدة منبورة ولا بمجموعة أصوات أو كلمات مختلسة أي فيها سرعة وعدم تأنٍ وإنما يتم عن طريق النبرات المتتالية في الكلام المتصل فهذا هو الذي يكون له وقعه الصوتي المتميز في السمع والحس وأثره الحسن في النفس .

ومن خلال حديثه هذا أنبأ عن عدة أمور :

١ ــ أن الكلمة الواحدة تتضمن نبرة واحدة فمقطع واحد منها هو الذي يُنْبَر .

٢ ــ أن ما يُنْبَر هو أهم جزء أو أهم مقطع فيها فهو الذي يحدث عليه تركيز واعتماد .

٣ ــ أن النبرة (أو النبر) تتأتى بالتأني في النطق وتحسين الصوت به لا باختلاس الأصوات .

---

(١) الخصائص ٢/ ١٤٠ والمنصف ٢/ ٢١١ .
(٢) الخصائص ٢/ ١٤٠ .
(٣) المنصف ٢/ ٢٢٢ .

٤ ــ أن المنبور خلاف المُختَلَس والنبر خلاف الاختلاس الذي أساسه السرعة وعدم التأني في النطق فالأصوات المنبورة أصوات بينة محققة غير مختلسة بل تكون ذات جرس صوتي خاص أو متميز له وقعه في الحس والسمع وأثره على النفس .

٥ ــ أنه بإصغاء السمع أو الإنصات يستطيع المرء أن يميز بحسه الصوتي النبر من عدمه (أي كون اللفظ قد نبر أم لا) والمقطع المنبور من غيره .

٦ ــ أنه بالنبرة (أو النبر) يبدو الكلام على صفحات السمع ذا تعرجات أي له قمم ووديان صوتية .

٧ ــ أن توالى النبرات في الكلام المتصل هو الذي يحدث عنه الشجو والطرب والاستحسان والاستعذاب للكلام والحديث فالنبر هو الذي يمنح الكلمة مذاقًا صوتيًا خاصًا ويُضفي عليها ملاحة وعذوبة صوتية واستحسانًا .

٨ ــ أن هذا الكلام المتصل المنبور هو الجدير بأن يطلق عليه مصطلح كلام أو حديث أمّا مصطلح القول فإنه أعم [١] .

٥) ابن سينا (أبوعلي الحسين بن سينا ت ٤٢٨هــ) ومدرسته الصوتية

إن ابن سينا قد اسمى ووصف الأصوات الشديدة بالأصوات المفردة بمعنى الأصوات الآنية غير الممتدة في إخراجها والنطق بها .

كما اسمى ووصف الأصوات الرَّخوة بالأصوات المركبة بمعنى الزمانية المتمادية والممتدة أي الممتد زمان نطقها بالنسبة للأصوات الشديدة[٢] . وتابعه على ذلك فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هــ) [٣] وأضاف أن الأصوات الرخوة أصوات مستمرة [٤] .

وكذا السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هــ) في شرحه لمواقف عضد الدين الإيجي في علم أصول الكلام [٥] تابع ابن سينا . ومن كلام الفخر

(١) انظر الخصائص ١/ ٢٩ .
(٢) انظر أسباب حدوث الحروف ص١١ .
(٣) راجع التفسير الكبير ١/ ١٦ .
(٤) التفسير الكبير ١/ ١٦ .
(٥) انظر شرح المواقف ص ٢٦٢ ، ٢٦٤ .

الرازي أن الحركات من فتحة ومن ضمة وكسرة أبعاض المصوتات أي أبعاض حروف المد واللين [١] .

كما ذكر ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) أن الواو المدية واو مصوتة والياء المدية ياء مصوتة والألف صوت مُصَوِّت [٢] . وأما الواو المتحركة فهي واو صامتة والياء المتحركة ياء صامتة [٣] (مصطلح المصوت وُجد عند أبي العباس محمد بم يزيد المبرد ت ٢٨٥هـ) . وردد ذلك أيضًا فخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ) [٤] والسيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) [٥] فهما قد تأثر بفخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ مصوتات مقصورة (الفتحة والضمة والكسرة) ومصوتات ممدودة (الألف والواو والياء) .

ومن قبلَ فخر الدين الرازي عرف ذلك المصطلح أعني مصطلح مُصَوِّت المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ) [٦] . غير أن هذا المصطلح كان أوضح وأكمل عند كل من فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) والسيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) منه عند ابن سينا فابن سينا قد استعمله في إطار ونطاق ضيق وهو الحركات أو حروف المد واللين وحرفا اللين .

أمّا فخر الدين الرازي والسيد الشريف الجرجاني فقد قسما الحروف والأصوات بصفة عامة (أي بما فيها حروف المد وحروف اللين) إلى أصوات مصوتة وأصوات صامتة [٧] .

كما لاحظ ابن سينا التغيرات النطقية التي طرأت على بعض الأصوات كالقاف فذكر أنها كانت تنطق كالكاف وأسمى القاف التي تنطق كالكاف

---

(١) الفخر الرازي ١/ ١٦ .
(٢) انظر أسباب حدوث الحروف ص ٢١ .
(٣) السابق .
(٤) راجع التفسير الكبير لفخر الدين الرازي ١/ ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٥٤ .
(٥) انظر شرح المواقف ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .
(٦) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي ١/ ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٥٤ .
(٧) وشرح المواقف للسيد الشريف الجرجاني ص ٢٦٥ .

بالقاف الخفيفة (١) . كما رصد ما أسماه بالضاد الشديدة أو الضاد المفردة الآنية غير الممتدة (٢) ، كما ذكر أنها تتصف بالاستطالة لامتداد وطول مخرجها (٣) . بينما الضاد في النطق القرآني الصحيح والنطق العربي العتيق رخوة متمادية ولكنها قليلة الرخاوة كما قرر ذلك لغويو العرب (٤) إلاّ ما اسماه سيبويه الضاد الضعيفة (٥) وهي على خلاف الضاد الشديدة أي المحضة الشدة التي رصدها ابن سينا .

كما رصد ما اسماه الجيم الصادية أي الصَّلْدَة أو الصلبة (الجافة غير المشربة شيئًا) . وما اسماه الجيم السينية وهي الصلحاء الملساء . وما اسماه الجيم الزايية أي الزّيْزاء وهي التي لها أزيز (٦) . وكذلك رصد ما اسماه اللام المطبقة وذكر أنها لام يفعلها إطباق متمثل في انطباق سطح اللسان على سطح الحنك والمنخر والحبس معها يقع بجزء أقل منه في اللام الأصلية ولكن مثله في الشدة (٧) . كما رصد الراء الغينية وهي التي تنطق كالغين . والميم الأنفية والنون التي هي محض أنفية وأُبْطِل عمل الفم معها (٨) .

وفضلاً عن هذا قد عرفَ ابن سينا وظيفة الحنجرة وما لها من دور فَعَّال في إصدار الأصوات وذكر أنه يتحكم فيها ثلاثة غضاريف وأن هناك عضلات موسعة لها وعضلات غالقة وعضلات فاتحة (٩) .

كما عرض تشريح اللسان بصفته العضو الفَعَّال في إصدار الأصوات وذكر أن هناك عضلات معرضة للسان تقوم بمده عرضًا أو إلى الجانبين وعضلات مطوِّلة له تجعله يمتد وينجذب إلى الأمام وعضلات مُوَرِّبَة تعمل

---

(١) انظر أسباب حدوث الحروف ص ١٧ .
(٢) السابق ص ١٨ وراجع ص ١٠ .
(٣) المرجع السابق ص ١٨ .
(٥) انظر الكتاب ٤/ ٤٣٤ ــ ٤٣٥ وسر الصناعة ١/ ٦٩ .
(٦) الكتاب ٤/
(٧) أسباب حدوث الحروف ص ٢٣ ــ ٢٥ .
(٨) انظر أسباب حدوث الحروف ص ٢٥ وراجع به ص ١٩ ــ ٢٠ .
(٩) السابق من ٢٣ ــ ٢٥ .
(١٠) المرجع السابق ص

على توريبه وعضلات تعمل على بطحه وافتراشه بأسفل الحنك مع أخذه لشكل شبه مقوس وعضلات مميلة له إلى فوق وداخل [١] . كما قدّم ابن سينا وصفا في غاية الدقة لحدوث الحروف ونطقها وعلى نحو ما تقرره الدراسات الصوتية المعاصرة .

عارضا لكل حرف أو صوت على حدة وقد جاء ترتيبه الصوتي إياها على النحو التالي :

الهمزة والهاء ـــ والعين والحاء ـــ والخاء والقاف ـــ والغين والكاف ـــ والجيم والشين والضاد ـــ والصاد والسين والزاي ـــ والطاء والتاء والدال ـــ والثاء والظاء والذال ـــ واللام والراء ـــ والفاء والباء ـــ والميم والنون[٢].

وفيها نص على أن الهمزة والهاء يخرجان من الحنجرة [٣] ، وأن العين والحاء تخرجان مما فوق الحنجرة (أي من الحلق بمعناه الدقيق) [٤] ، وأن الغين والخاء تخرجان مما بين اللهاة والحنك الأعلى [٥] (أي من منطقة القاف وبعيدها فهي أقصى حنكية ، كما وقف على الخاصية النطقية أو الصوتية للجيم وفطن إلى عنصر التركيب أو الازدواج فيها [٦] .

كما أبان عن بعض الخواص الفيزيائية للصوت كالحدة والثقل وأن الصوت الحادث يحدث عن ضيق الحنجرة وأما الصوت الثقيل أو السميك والغليظ فإنه يحدث عن اتساع الحنجرة والصوت الحاد يكون معه التموج متصلاً ومتلاصق الأجزاء بخلاف الثقيل . ويدرك السمع المضادة والفرق بينهما كما يدرك المضادة بين الصوت الخافت والجهير وبين الصوت الصلب والأملس ـــ وبين الصوت المتخلخل والمتكاثف [٧] . كما ذكر بعض المعلومات التي هي من علم الأصوات المقارن فذكر بعض الفروق الدقيقة

---

(١) السابق ص ١٥ .
(٢) أسباب حدوث الحروف ص ١٦ ـــ ٢١ .
(٣) السابق ص ١٦ .
(٤) السابق ص ١٦ .
(٥) السابق ص ١٦ ، ١٧ .
(٦) السابق ص ١٧ ـــ ١٨ .
(٧) انظر أسباب حدوث الحروف ص ١٧ ، ٢٣ .

بين أصوات اللغة العربية وبين ما يشبهها من أصوات قد سمعها في اللغات الأخرى [١] .

وإن كان الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) هو أول من ولج هذا الباب أعنى باب علم الأصوات المقارن حين قال : " وليس في شيء من الألسن ضادٌ غير العربية ولا من لسان إلا التنور فيه تنور " [٢] وهذا القول وذلك النص هو الذي قد صدرت عنه تسمية العربية " لغة الضاد " وبذا يكون ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) قد وضع أسس علم الأصوات العربي الحديث أو قَدّم له .

ومن هذا كله يمكن القول بأن الفكر الصوتي عند كل من ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) وفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) والسيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) يأتي في فلك وإطار واحد من حيث المصطلحات والتقسيمات فلم يكن الأمر في شيء من المصطلحات والتقسيمات والتفسيرات والتحليل على نحو ما عهد عند الخليل وسيبويه وابن جني وإنما كان من نوع آخر .

كما يمكن القول بأن عمل هؤلاء الثلاثة وعلى رأسهم ابن سينا يمثل خطوة متقدمة من خطوات تطور علم الأصوات العربي أو الدرس الصوتي عند العرب وأنه يستأهل الثناء ويستحق كل فخر وإشادة وإعجاب وإكبار .

وذكر ابن سينا أن الألف والواو والياء المدية هوائية ، وأما الواو المتحركة فهي شفوية والياء المتحركة تحدث من حيث تحدث السين والزاي ، والواو يكون اللسان معها مرتفعًا فيخرج هواؤها من أعلى والياء يكون اللسان معها منخفضًا فيخرج هواؤها من أسفل [٣] .

كما ذكر أن الفتحة تشارك الألف في خاصتها النطقية وفي نقطة خروجها وأن الضمة تشارك الواو والكسرة تشارك الياء [٤] . ومن حيث الزمن أي مدة النطق الألف فتحة مضاعفة أي قد تضاعف زمنها والواو المدية ضمة مضاعفة والياء المدية كسرة مضاعفة أي قد ضوعف زمن

---

(١) السابق ص

(٢) العين ١/ (المقدمة) وقد كُتبت في الكتاب المحقق ظاء مشالة وهو محقق من عراقيين والتحقيق " ضاد " .

(٣) أسباب حدوث الحروف ص ٢١ ــ ٢٢ .

(٤) السابق ص ٢١ ــ ٢٢ .

نطقها .

فهذه بالنظر إلى تفاوت زمن المد أو النطق بها طولاً وقِصرًا تنقسم إلى قصيرة وطويلة .

ومما قاله ابن سينا أن الألف وواو المد وياء المد أصوات مضاعفة أي قد تضاعف زمن النطق بالفتحة وبالضمة وبالكسرة ، وأن الفتحة تشارك الألف في خصائصها النطقية ، والضمة تشارك الواو المدية والكسرة تشارك الياء المدية (١) .

ومما ذكره السيد الشريف الجرجاني ت ٨١٦هـ وهو من علماء أصول الكلام أن الفتحة والضمة والكسرة مصوتات مقصورة والألف وواو المد وياء المد مصوتات ممدودة (أي ممطولة) (٢) .

ومن هنا يتبين أن تقسيم الأصوات إلى صوامت وحركات من جهة ثم تقسيم الحركات إلى مقصورة وممدودة (أو ممطولة) وقد كان جليا واضحًا لدى ابن سينا والفخر الرازي ٦٠٦هـ والسيد الشريف الجرجاني ٨١٦هـ كما هو عليه في البحث الصوتي الحديث تمامًا بتمام . وذلك مستنبط ومستفاد مما جاء في تراث ابن جني وخاصة في كتابه سر صناعة الإعراب والخصائص والمنصف في شرح تصريف المازني (٣) .

ومما جاء في تراث رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٨هـ) :

ــ القلقلة صوت كصوت روم الحركة يتبع الحرف في حالة سكونه(٤).

ــ الواو والياء الساكنة بعد الفتح تمد مدًا مختلطًا أي يختلط صوتهما بصوت الفتحة قبلهما (٥) (الحركات المركبة أو المزدوجة صوت اللين

---

(١) أسباب حدوث الحروف ص ٢١ ــ ٢٢ .

(٢) شرح المواقف ص ٢٦٦ .

(٣) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي ١/ ١٥ ــ ١٦ ، ٢٤ ــ ٢٥ ، ٣٣ ، ٥٤ ، وأسباب حدوث الحروف ص ٢١ ــ ٢٢ ، وشرح المواقف للجرجاني ص ٢٦٦ .

(٤) شرح الشافية ٣/ ٢٦٣ ، وراجع الكتاب ٤/ ١٧٤ وشرح السيرافي ٦/ ٥٥٥ (خ) وانظر النشر ١/ ٢٠٣ والرعاية لمكي ص ١٠٠ .

(٥) شرح الشافية ٢/ ٢١١ ــ ٢١٢ وراجع الخصائص ٢/ ٣٢٧ .

المركب) خلاف صوت اللين البسيط .

ـ الحرف المُشدّد (المدغم) حرف واحد الاعتماد معه في مخرجه قوي أي أقوى وأشد من الاعتماد مع نظير غير المشدد (١) . (الحرف المشدد أو المدغم أبدًا حرفان الأول منهما ساكن والثاني متحرك) زمانه أطول من زمان الحرف الواحد وأقصر من زمان الحرفين (٢) وعند المحدثين صوت واحد ممطول (٣) .

ـ همزة التوصل (الساكن الابتدائي) همزة مكسورة في غاية الخفاء حتى كأنها من جملة حديث النفس فلا يدركها السامع (همزة التوصل مجرد صويت بين الفتحة والكسرة) (٤) .

ـ في نحو بكْرْ في الوقف أول الساكنين محرك بكسرة مختلسة غير مشبعة (٥) .

ـ التنوين علامة التمام وليس يسقط مع الإضافة والتنوين في عامة مواضعه علم التنكير ولذا يسقط مع لام التعريف (٦) .

ثالثًا : مخارج الأصوات وأحيازها وخصائصها الصوتية :

هذا ومخارج الأصوات كما رصدها سيبويه في كتابه بلفظه :

" ولحروف العربية ستة عشر مخرجًا : فللحلق منها ثلاثة فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والألف ، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء ، وأدناها مخرجا من الفم الغين والخاء ، ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل من موقع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف ، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط

---

(١) شرح الشافية ٣/ ٢٣٥ .

(٢) شرح الشافية للجار بردي ١/ ٢٣٧ ، ٢/ ٣٢٧ .

(٣) اللغة لفندريس ص ٤٩ ، التطور النحوي ص ٥٣ ، والمدخل إلى علم اللغة ، د/ رمضان عبد التواب ص ٩٧ .

(٤) شرح الشافية ٢/ ٢١٠ ـ ٢١١ .

(٥) شرح الشافية ٢/ ٢١٠ ـ ٢١١ ، ٣/ ٢٦٣ .

(٦) شرح الرضي على الكافية ١/ ٣١ ، وراجع الإيضاح في علل النحو الزجاجي ص ٩٨ ، وانظر الخصائص ٣/ ٢٤٠ ، وشرح ابن يعيش ٤/ ١٤٥ .

الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء ، ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد ، ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام ، وما فويق الثنايا مخرج النون ، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء ، ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء ، ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد ، ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء ، ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء ، ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو ، ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة " [1] (ت النون الخَفِيّة) والنون والميم لهما اعتماد في الفم وفي الخياشيم تصير فيهما عنه والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفسك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أدخل بهما [2] .

وأما الخليل فقال عن مخارج الحروف :

" د ل ن " تخرج من ذلق اللسان وطرف غار الفم ، ف ب م مخرجها من بين الشفتين لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلاّ في هذه الأحرف الثلاثة فقط ولا ينطق اللسان إلا بالراء واللام والنون وأما سائر الحروف فإنها ارتفعت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان ليس للسان فيهن عمل أكثر من تحريك الطبقتين بهن ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون . وأما مخرج الجيم (مثل القاهرية) والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم . وأما مخرج العين والحاء والهاء والخاء والغين فالحلق وأما الهمزة (المحققة) فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رُفه عنها لانت وصارت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقه الحروف الصحاح [3] .

---

(١) الكتاب ، لسيبويه ٤/ ٤٣٣ ، ط الثانية القاهرة .
(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٤ .
(٣) راجع العين ١/ ٥١ ــ ٥٢ (المقدمة) .

وقال : " والألف في اسحنك واقشعر واسْحَنْقَر واسبكر ليست من أصل البناء وإنما أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عمادًا وسلما إلى حرف البناء لأن اللسان لا ينطلق بالساكن من الحروف فيحتاج إلى ألف وصل " (١) .

وقال عن أحياز الحروف وألقابها المخرجية : " في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحا حالها أحياز ومدارج وأربعة أحرف جوف وهي الواو والياء والألف اللينة (أي بطبعها) والهمزة (أي المُلَيَّنة أو المخففة) وسميت جُوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة ، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تُنسَب إليه إلا الجوف وكان يقول كثيرًا الألف اللينة (أي بذاتها وطبعها – ألف المد) والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء .

فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ثم الهاء ولولا هَهّه أو هَتّة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء . فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض ، ثم الخاء والغين في حيز واحد كلهن حلقية (وهذه حلقية لأن مبدأها من الحلق) ، ثم القاف والكاف لهويتان والكاف أرفع (لأن مبدأهما من اللهاة) ، ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد (وهذه شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم) ، ثم الصاد والسين والزاي في حيز واحد (وهذه أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان) ، ثم الطاء والدال والتاء في حيز واحد (وهذه نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى)، ثم الظاء والذال والثاء في حيز واحد (وهذه لثوية لأن مبدأها من اللثة) ، ثم الراء واللام والنون في حيز واحد (وهذه ذلقية لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفه) ، ثم الألف والواو والياء في حيز واحد والهمزة (المخففة أو المُلَيَّنة) في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه . وجمعيها هوائية لأنها لا يتعلق بها شيء " (٢) .

---

(١) انظر العين ١/ ٤٩ (المقدمة) .

(٢) راجع العين ١/ ٥٧ ــ ٥٨ (المقدمة) بتصرف ، وانظر الكتاب لسيبويه ٤/ ٤٦٤ .

وقال الخليل : الميم مُطْبِقة لأنها تطبق الفم إذا نُطِق بها [١] . وحروف الذلق ر ل ن م [٢] ، والشفوية ف ، ب ، م [٣]، وما عداها الحروف الصتم[٤] " وليس في شيء من الألسن ضاد غير العربية " [٥] ، " والقاف أطلق الحروف وأضخمها جرسا " [٦] ، والدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء [٧] والسين بين الصاد والزاي كذلك .

وقال سيبويه :

المجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضي الاعتماد ويجرى الصوت والمجهورة تسعة عشر حرفا ء ا ، ع غ ، ق ، ج ، ي ، ض ، ل ، ن ، ر ، ط ، د ، ز ، ظ ، ذ ، ب ، م ، والواو .

والمهموس حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه والمهموسة عشر أحرف هـ ، ح ، خ ، ك ، ش ، س ، ت ، ص ، ث ، ف[٨] .

والشديد وهو الذي يمنع الصوت أن يجرى فيه وحروفها ء ، ق ، ك ، ج ، ط ، ت ، د ، ب .

والرخو هو الذي يجرى فيه الصوت وحروفها ء ، ح ، غ ، خ ، ش ، ص ، ض ، ز ، س ، ظ ، ث ، ذ ، ف .

وأمّا العين فبين الرخوة والشديدة تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء.

---

(١) العين ١/ ٥٨ (المقدمة) وهناك الأصوات الطبقية وهي خ غ ق لأنها تنطق من الطبق في أقصى الحنك .
(٢) السابق ١/ ٥١ ـــ ٥٢ .
(٣) السابق .
(٤) العين ١/ ٥٤ .
(٥) العين ١/ ٥٣ .
(٦) العين ١/ ٥٣ .
(٧) العين ١/ ٥٣ ـــ ٥٤ .
(٨) الكتاب ٤/ ٤٣٤ .

والمنحرف اللام لأن طرف اللسان معها لا يتجافى عن موضعه فليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك .

والنون والميم يخرج معها صوت من الأنف واللسان لازم لموضع الحرف .

والمكرر الراء وهو حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام فتجافى للصوت كالرخوة .

واللينة الواو والياء لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما .

والهاوي الألف (وأختاها) إذ قد اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الواو والياء اللينة [١] .

والمطبقة الصاد والضاد والطاء والظاء لأن الصوت معها يكون محصورًا فيما بين اللسان والحنك (إذ يصير كالطبق على الحنك الأعلى) والمنفتحة ما عداها .

فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان (المخرج والتفخيم) وقد بُيّن ذلك بحصر الصوت ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً ، والصاد سينا ، والظاء ذالاً ، ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيءٌ من موضعها غيرُها [٢] .

وحرف المد حرف ممطول[٣]. والواو والياء كالألف في المد والمطل[٤]. والحروف منها المتقاربة وهي التي من مخرج واحد ومنها المتباعدة [٥] وهذه يلزم فيها البيان ، والنون الساكنة فيها الإخفاء والإظهار والإدغام [٦] . وتقلب النون (الساكنة) ميمًا في لفظ العنْبر [٧]. وفي الشين

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٥ ــ ٤٣٦ (بتصرف) .
(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٦ .
(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٨ .
(٤) الكتاب ٤/ ٤٤٧ .
(٥) الكتاب ٤/ ٤٤٥ .
(٦) الكتاب ٤/ ٤٤٣ ، ٤٥١ .
(٧) الكتاب ٤/ ٤٤٧ ، ٤٥٣ .

نَفَشٌ وقد اتصال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء [١] والألثغ بالراء يجعلها ياء وكذلك الألثغ باللام [٢]. والحرف الخفي مخرجه من الخياشيم [٣] . والضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام [٤] . والمخرج النقطة التي ينطلق منها صوت الحرف . والصفة ما يكتسبه الحرف عن طريق تكيف مخرجه أو تكيف مجراه بكيفية معينة أو خاصة .

هذا ـــ والحاء لحيمة وفيها بُحّة ، والهاء فيها هَهّة أي خفة (والتاء فيها هَتّة) ، والغين فيها غمغمة ، والقاف عميقة عتيقة ضخمة فخمة وفيها قَعْقعة ، والكاف مُستَطْرَقة ، والصاد ناصعة وفيها صفاء ، وفي الطاء طَنين ، والزاي فيها أزيز ، وفي السين سلاسة ، وفي اللام ليونة كالعظم اللامي ، والعين كالتهوع والهمزة كالتأوّه ، وفي الميم انطباق صوتي وفي الباء تَسَطُّح ، وفي الفاء تأفيف كالفوفة وهي القشرة التي للنواة وهَفهَفَة والأسلية فيها سلاسة ويتحدب اللسان معها حتى يصير كالأسلة (لسان العقرب) والذلقية فيها زلاجة صوتية إذ تنطق من المنطقة المتزلجة ومع اللثوية اللسان يَتَلَسّن مثل يتحدب بامتداده إلى أمام وقُدّام .

ومما ينبغي التأكيد عليه بهذا الصدد :

١ ـــ نسبة الهمزة إلى الجوف أو إلى أقصى الحلق غير دقيق .

٢ ـــ صوت العين صوت رخو وأقل الأصوات احتكاكًا وليس صوتًا متوسطًا بين الشدة والرخاوة [٥] .

٣ ـــ اللام والنون والميم أشباه لأصوات اللين [٦] .

٤ ـــ الجيم صوت مركب وليس صوتًا (بسيطًا) شديدًا محضا [٧] كما

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٤٨ .

(٢) الكتاب ٤/ ٤٥٣ .

(٣) الكتاب ٤/ ٤٥٧ .

(٤) الكتاب ٤/ ٤٥٤ .

(٥) علم اللغة العام (القسم الثاني) الأصوات د / بشر ص ١٥٧ .

(٦) الأصوات اللغوية د / أنيس ص ٢٣٨ ، ٢٧ ، ٦٣ ـــ ٦٤ ، ١٨٥ ـــ ١٨٦ ، ٢٤٠ ، واللغة لفندريس ص ٥٢ .

(٧) علم اللغة العام (الأصوات) د / بشر ص ١٦٢ .

عرف ذلك ابن سينا (١) .

٥ ــ الضاد العتيقة صوت رخو وليست صوتًا شديدًا كما هي عليه الآن (٢) .

٦ ــ الطاء والقاف العتيقة صوت مهموز أي يمازجه صوت الهمز (أو صوت لا مجهور ولا مهموس) .

٧ ــ القلقلة حركة قصيرة جدًا تتبع الحرف حفاظا على صفة الجهر فيه (٣) .

٨ ــ الواو تخرج من أقصى اللسان لا من الشفتين والياء من طرف اللسان والألف من وسط اللسان .

٩ ــ ليست هنالك حركات لا سابقة ولا لاحقة لحروف المد واللين إذ هي حركات طويلة (حركات صرفة) وليست حروفًا ساكنة .

١٠ ــ إذ الفرق بين الفتحة والألف ... فرق كمية لا أكثر .

١١ ــ زمن النطق بالحركة المخفاة أقصر منه مع الحركة المختلسة التي يُسْرِع ويَعْجل الناطق بها وإخفاء الحركة خفوت (٤) بمعنى إضعاف الصوت بالحركة حتى يكاد يذهب حسُّها وجرسها بالكلية فالحركة المخفاة حركة ضعيفة يتم خفض الصوت بها فصوتها خافت جدًا باهت ، فهي حركة قصيرة للغاية (٥) . والإشمام إشراب صوت حركة صوت حركة أخرى والروم تهيئة الأعضاء للنطق بالحركة دون تصويت بها أي دون أن يخرج أو يسمع حس أو جرس لها والمخذ١سة فوقهما سوى استدارة الشفتين .

١٢ ــ هذا زَيْدُو ومررت بِزَيْدِي في الوقف على هذا زيدون ومررت

---

(١) أسباب حدوث الحروف ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) علم اللغة العام (الأصوات) د / بشر ص ١٣٣ .

(٣) انظر الأصوات اللغوية للدكتور / إبراهيم أنيس ص ٤٥ ، ١٥٦ ، ١٧٩ ، ومناهج البحث في اللغة ص ١٦٩ .

(٤) التحديد للداني ص وإبراز المعاني لأبى شامة ص ٣٢٦ وهمع الهوامع ٢ / ٢٠٧ ، وشرح المفصل ٩ / ٦٧ .

(٥) دروس كانتينو ص ١٤٦ ، ١٤٩ .

بزيدين في لغة أزد السراة وقف بالحركة الطويلة وكذا رأيت زيدا (بالألف) في رأيت زيدًا ، ولنسفعا واضربا (بالألف) في الوقف على لنسفعَنْ واضربَنْ[١] .

هذا والضاد العتيقة هي الضاد التي نطق بها العرب الأقحاح وليس شيء من موضعها غيرها [٢] وفيها الجهر والإطباق ونوع رخاوة وهي أصعب الحروف تكلفا في المخرج وأشدها صعوبة على اللافظ [٣] ومن أجله كنى الخليل بن أحمد العربية لغة الضاد [٤] . إذ قد انفردت أو تفردت العربية بها من بين جميع اللغات البشرية مخرجا وصفة ، وفي الموصل تنطق قريبة من وصف سيبويه وكذا [٥] لهجة منطقة ظفار فالضاد العتيقة جانبية شديدة الجهر مستطيلة قليلة الرخاوة وهي تنطق من نصف الصاحن الأول ومما يلي الطاحنين إلى الضاحك باعتماد ما يحاذيه من اللسان عليه اعتمادا غير شديد.

وقد نُسب إلى المصطفى حديث " أنا أفصح من نطقَ بالضاد بَيْدَ أنى من قريش وربيت في بني سعد " [٦] .

أي ذلك أني وخاصة أني من قريش ورُبِّيت في بني سعد أي ومما زاد تمكني في باب الفصاحة والنطق العتيق أني من قريش ورُبِّيتُ في بني سعد فهذا قد مكن من الفصاحة لدى إلى حد بعيد وكبير .

وقد أخذ نطق الضاد الصور التالية :

١ ـــ الضاد الظائية وهي التي تُنطَق لثوية كالظاء كما في المملكة

---

(١) راجع الكتاب ٤/ ١٦٣ ، وشرح ابن لعيش للمفصل ٩/ ٨٤ ، وشرح الرضي للشافية ٢/ ٢٩٤ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٤/

(٣) الرعاية لمكي ص

(٤) العين ١/ (المقدمة) .

(٥) معنى القول المأثور لغة الضاد د/ أنيس ١٢٨ ، مجلة مجمع اللغة الدورة ٣٣ سنة ٦٦ ـــ ١٩٦٧م .

(٦) مغني اللبيب ١/ ١١٤ ، صبح الأعشى ١/ ٢٠١ ، حاشية الطيبي على الكشاف ٤/ ٢٩٠ ، ابن كثير ١/ ٣٠ ، والنشر ١/ ٢٢٠ ، الفائق للزمخشري ١/ ١٤١ ، والنهاية لابن الأثير ١/ ١٧١ ، والمزهر ١/ ٢٠٩ .

السعودية وخاصة لهجة القصيم وفي العراق وفي الكويت وقطر وهذا الخلط كثير وعميم حتى أنه تسلل إلى القرآن فهو لحن جلي .

٢ ـــ الضاد الطائية وهي التي تُنْطقَ نطعية كالطاء كما هو في مصر والشام وغرب السودان وبيروت وتونس .

٣ ـــ الضاد اللامية وهي التي تُنْطق كاللام المفخمة وهو أقربها إلى النطق العتيق كما هو في لهجة حضر موت .

٤ ـــ الضاد الزايية وهي التي تنطق كالظاء ثم كالزاي كما هو الحال في بعض أرجاء اليمن .

والضاد الضعيفة وهي كل صورة نطقية برز فيها صوت الضاد مشوبا بصوت آخر أو أبدله الناطق بصوت آخر عيًا عن النطق بالضاد على طريقة العرب الأقحاح .

__هذا وقد ورد في اللغة__ : إدغام الضاد في الشين [١] قال تعالى: ﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ (النور : ٦٢) وذلك عن أبى عمرو بن العلاء . وعن أب شعيب السوسي (ت ٢٦١هـــ) عن اليزيدي وبه قرأ الداني . وذلك في هذا الموضع خاصة من القرآن دون قوله سبحانه : ﴿ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا ﴾ (النحل: ٧٣) و﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ (عبس: ٢٦) كما ورد عن أبى عمرو إدغام الضاد في الذال [٢] في قوله سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ (الملك : ١٥) كما روى هذا عن اليزيدي .

وحكي سيبويه أن بعض العرب أدغم الضاد في الطاء فقالوا مطّجع في مضطجع [٣] وقد ورد هذا عن بعض القراء ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ﴾ (البقرة : ١٢٦) قرأ ابن محيض ثم اطّره بإدغام الضاد في الطاء [٤] .

---

(١) البحر المحيط ١/ ٣٨٧ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠/ ١٤٠ ، والنشر ١/ ٢٩٣ .

(٢) البحر المحيط ١/ ٣٨٦ ، وشرح المفصل ١/ ١٤٠ .

(٣) الكتاب ٤/ ، والمقرب لابن عصفور ٢/ ٢٢ .

(٤) البحر المحيط ١/ ٣٨٦ .

<u>ومن حيث الإبدال</u> : ورد في اللغة كثير من الكلمات بالضاد وبالظاء فقالوا فاضت روحه وفاظت [١] كما أبدلت الضاد لامًا فقالوا " تقيض أباه وتَقَيَّله إذا نزع إليه في الشبه [٢] والطجع في اضطَجع " [٣] .

وجاء وَخَضَه الشيب ووَخَطَه (بالطاء) [٤] إذا خالطه وقوس ضروح وطَروح إذا كانت شديدة الدفع والحفز للسهم [٥] والتنضل والتنطل الداهية [٦] والغمض والغمط المطمئن من الأرض [٧] ويقال رجل شمّخر وضمّخر إذا كان متكبرا [٨] ، والطاء يدانيها الدال ويداني الدال الجيم ، والظاء يدانيها الذال والثاء ، قال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ (التكوير: ٢٤) قرئ بالظاء [٩].

والقاف ينطق بها كالكاف أو كأنها جيم في الكوفة وبغداد تقال برتقال أي كافا صمّاء بتعبير ان الجزري [١٠] وبعض القبائل العربية تقول الحجيجة (بالجيم) بدل الحقيقة . كما أن أبا حيان ذكر " القاف المعقودة " [١١] ولعله يمثل النطق العتيق للقاف فهي فخمة ضخمة عتيقة محضة خالصة الصوت من الكاف تمامًا ، وذكر ابن سينا ما يسمى " القاف الخفيفة " [١٢] وهو نطق القاف كالكاف وذلك بتقدم مخرجها إلى الخارج وتقليل شدتها وهي قاف العَجْز والضرورة كما قال الفيروز أبادي ويُنطق بالقاف كالغين في السودان

(١) الإبدال لأبى الطيب ٢/ ٢٧٠ .
(٢) الإبدال لأبى الطيب ٢/ ٢٧٧ .
(٣) الخصائص ١/ ٢٦٣ ، ٣/ ١٦٣ ، ٢٦٦
(٤) لسان العرب (وخط) .
(٥) الإبدال لأبى الطيب ٢/ ٢٦٥ .
(٦) الإبدال لأبى الطيب ٢/ ٢٦٦ .
(٧) لسان العرب (غمط وغمض) .
(٨) الإبدال لأبى الطيب ٢/ ٢٢٣ .
(٩) الكشاف ٤/ ٥٧٠ ، تفسير ابن كثير ٤/ ٤٨٠ ، شرح الشاطبية لأبى شامة ص ٤٩٢ ، وفتح القدير للشوكاني ص ٣٨٠ ، والخازن ٤/ ٤٦٩ .
(١٠) لطائف الإشارات ١/ ٢٢٤ .
(١١) ارتشاف الضرب ص ع ، والتذييل والتكميل والإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ٢/ ٤٨٤ ، ولطائف الإشارات ١/ ١٨٥ .
(١٢) أسباب حدوث الحروف ص ١٧ .

وجنوب العراق كما في لفظ الديمقراطية ، كما قد يُنطق بها في اللهجة الدارجة بمصر والشام همزة ، والقاف العتيقة عميقة غائرة ضخمة فخمة كما في القَوْل ــ وقُلوب ــ ومقاليد ــ وأقطار ــ القيامة ــ القَصَص ــ والياقوت ــ وقَدْر ــ وقَضَى ــ وقال ــ وقَاب .

والجيم في أصلها صوت مجهور الشدة (مركب) فيحدث معها غلق يتبعه انفصال بطئ وهي صوت معطش أي جيم يخالطه ويمازجه صوت الشين وفيها جلادة .

والجيم قد نُطق بها في عصر سيبويه كالكاف فقالوا في جمل كمل وفي رَجُل رَكُل في لغة اليمن (١) وعوام بغداد (٢) وفي البحرين (٣) .

كما نُطق بها في عصره أيضًا كالشين وخاصة إذا سكنت وجاء بعدها الدال نحو الأَجْدَر تنطق الأَشْدَر واجْتَمَعُوا تنطق اشْتَمَعُوا (٤) .

وهذه الجيم عند أهل الشام والمغرب وفي لبنان وفي إقليم ساحل مريوط شين مجهورة (٥) أي قد بُولغ في تعطيشها للغاية ، وفي لهجة القاهرة وعند أهل عَدَن كاف مجهورة صماء خالية من التعطيش (٦) .وفي لهجات الصعيد تُنطق دالاً يقولون في جمل دَمل . وفي جَيْش دَيْش وفي جِرْجَا دِرْدَا (بالدال) وفي عبد الموجود عبد المودود .

كما تنطق في البصرة وفي الكويت وفي مناطق الخليج العربي ياءً (٧). فيقولون في جمال يمال وفي جَمَل يَمَل . هذا والجيم العتيقة عاجية الصوت في ليونة أي يمازجها ويخالطها صوت الشين كما في " جنات " و " الجودي"

---

(١) جمهرة اللغة ١/ ٥ .

(٢) الكافي على متن الهادي ٣/ ٧١٧ ، وشرح المفصل ١٠/ ١٢٧ ، والطائف الإشارات ١/ ١٨٥ .

(٣) شرح الشافية للرضي ٣/ ٢٥٧ .

(٤) الكتاب ٤/ ، وشرح سيبويه للسيرافي .

(٥) المدخل إلى علم اللغة للدكتور / رمضان عبد التواب ص ٥١ .

(٦) علم اللغة (الأصوات) د / بشر ص ١٦٣ ، والأصوات اللغوية د / أنيس ص ٧٧ .

(٧) أسس علم اللغة د / حجازي ص ٢٥ .

وأجنة ــ وجَمَال .

فالجيم الشينية (الكثيرة الرخاوة أو المبالغ في تعطيشها) والجيم الدالية والجيم اليائية وكذا الجيم التي كالكاف خلاف الجيم العتيقة ذات التعطيش القليل .

الكاف نُطق بها كالجيم فلفظة كَافِر نُطِق بها جَافِر وكمال نُطق بها مثل جمال وهي فرع عن الكاف الخالصة (١) .

والطاء تسمع مهموزة في بعض لهات الصعيد وفي نطق بعض السودانيين وقد حذر القراء من النطق بالطاء كالتاء (وهي في النطق العتيق مهموزة أو لا مجهورة ولا مهموسة (٢) كما قد حذروا من النطق بالظاء كالثاء .

الصوامت والصوائت (= المصوتات)

لقد قسم المحدثون الأصوات كما قد قسمها ابن سينا (ت ٤٢٨هــ) إلى صوامت وصوائت أو مصوتات .

فالصوائت والمصوتات هي أصوات المد واللين وكذا الفتحة والضمة والكسرة وما عداها صوامت .

وصامتة أي جامدة لا يتأتى النطق بها بدون حركة ومصوتات أي تمنح الحرف صفة التصويت وتجعل له صوتًا وحسًا وجَرْسًا .

وهذا التقسيم تم بالنظر إلى خلو طريق الهواء من عائق (أو وجود عائق طفيف) من وجود عائق في طريق ذلك الهواء فالصوامت يعترض طريقها عائق بخلاف الصوائت كما أن نسبة الوضوح السمعي للصوائت أكثر أو أعلى وأبيَن .

الحركات الطويلة (= حروف المد واللين)

قسم المحدثون الحركات كما قسمها ابن سينا (ت ٤٢٨هــ) إلى طويلة

---

(١) شرح الرضي ٣/ ٢٥٧ المقرب لابن عصفور ١/ ٣٢٦ ، والطائف الإشارات ١/ ١٨٥ .

(٢) راجع علم اللغة العام (القسم الثاني الأصوات) وكمال بشر ص ١٣١ ، ومناهج البحث في اللغة د / تمام حسان ص ١٢٣ .

وقصيرة أو تامة كاملة ومُبَعَضَّة

فالألف وواو المد وياء المد حركات طويلة والفتحة والضمة والكسرة حركات قصيرة وذلك لقصر زمن النطق بها بالنسبة للألف وواو المد وياء المد . فالألف تنطق كما تنطق الفتحة تمامًا بتمام ولا فرق بينهما إلاّ في المُدّة الزمنية فزمن النطق بالألف أطول من زمن النطق بالفتحة . وكذا واو المد تنطق كما تنطق الضمة ولا فرق بينهما إلا في زمن النطق فزمن النطق بالواو أطول من زمن النطق بالضمة . وكذا ياء المد تنطق كما تنطق الكسرة ولا فرق بينهما إلاّ في زمن النطق فزمن النطق بالياء أطول من زمن النطق بالكسرة . ومخرج الفتحة وكذا الألف مركز اللسان وسط اللسان فإن وسط اللسان يرتفع ارتفاعًا طفيفًا معهما وتُمّنح تفخيما بارتفاع عكدة اللسان (أصل جذر اللسان) أي حيث تنطق الواو والضمة . وتصير ممالة بارتفاع طرف اللسان تجاه مخرج الكسرة وذلك مع انفتاح الشفتين . ومخرج الواو والضمة أقصى اللسان (عكدة اللسان أصل جذر اللسان) مع وجود فراغ يسمح للهواء بالخروج دون إحداث حفيف وذلك مع انضمام واستدارة الشفتين وإذا ما حدث هناك حفيف تخرج الواو اللينة (المتحركة) كما في وَعَد — وفوق ذلك حيز الصوامت (الحروف الصامتة) ومخرج الياء والكسرة من طرف اللسان مع انفراج الشفتين .

فعمل أعضاء النطق مع الألف وواو المد وياء المد كما هو مع الفتحة والضمة والكسرة (على الترتيب) بدون أية فرق إلاّ في عنصر الزمن .

ولقد حاول بعض الغربيين (دانيال جونز) عمل ما يسمى بالحركات المعيارية لجميع اللغات البشرية فأبان عن حيز الحركات في الفم على رسم لساني — هذا ومقتضى كون الألف وواو المد وياء المد حركات أن الحرف يحرك بها كما يحرك بالفتحة والضمة والكسرة تمامًا بتمام فليس قبل واو المد ضمة ولا قبل ياء المد كسرة ولا قبل الألف فتحة كما ظن القدماء وإنما هي ذاتها حركات محضة أو صرفة كما في قام — ويقوم — ويبيع ، فالقاف في قام محركة بالألف (الفتحة الطويلة) ، والقاف في يقوم محركة بالواو (الضمة الطويلة) ، والباء من يبيع محركة بالياء (الكسرة الطويلة) فليس قبل أصوات المد هذه ولا بعدها حركات قصيرة .

ويمكن إجمال صنوف وضروب أصوات اللين فيما يلي :

١ ـــ حركات قصيرة للغاية وهي ما يعبر عنه بالروم (تهيئة الأعضاء للنطق بالحركة بدون الإتيان بصوت) . وبالإشمام وهو إشراب صوت حركة صوت حركة أخرى . وإخفاء الحركة بمعنى خفض الصوت بها وهو الإتيان بها باهتة خافتة ، واختلاس الحركة بمعنى الإسراع في نطقها (حركة مخطوفة) .

٢ ـــ حركات قصيرة عادية وهي الفتحة والضمة والكسرة المعروفة .

٣ ـــ حركات طويلة عادية وهي الألف وواو المد وياء المد .

٤ ـــ حركات طويلة للغاية وهي الألف والواو والياء إذا جاء بعدها حرف مشدد أو همز أو حرف ساكن كما في الضالّين ـــ دابّة ويشاء ويسوء ويَجِئ .

٥ ـــ صوامت وهي الواو والياء المتحركة كما في وَعَد ويَعِد .

٦ ـــ أشباه صوائت (أشباه حركات) وهي ل ن ر م (الحروف الذلقية) فهذه أخوات للواو والياء .

٧ ـــ حركة مركبة أو مزدوجة وهي الواو والياء الساكنة بعد فتح كما في بَيْت ويَوْم ولَوْ ولَيْس ولَيْت فهذه تنطق مع الفتحة قبلها بعملية نطقية واحدة .

٨ ـــ نصف حركة وهي ذات ونفس هذه الواو والياء الساكنة [١] .

ظاهرة المضارعة والمقاربة الصوتية (باب الإبدال السياقي)

يقصد سيبويه بالمضارعة الصوتية :

تقريب الحرف من الحرف أو تقريب الصوت من الصوت لتتجانس وتتساوق الأصوات المتتابعة في الكلمة .

---

(١) راجع وقارن الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ومناهج البحث في اللغة للدكتور / تمام حسان ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني ـــ الأصوات) ، وكمال بشر ودروس في علم أصوات العربية لجان كانتينيو ، وفقه اللغات السامية لبروكلمان ، والتطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر .

ومن صور المضارعة الصوتية :

١ ــ إبدال الصاد الساكنة قبل الدال زايا : ففي نحو مَصْدَر والتَّصْدِير (الصاد الساكنة قبل الدال) تتم المضارعة فيها بقلب الصاد الساكنة زايا لتضارع الدال بعدها .

٢ ــ إبدال السين التي قبل الطاء صادًا ، ففي نحو السراط قالوا الصراط (بالصاد) .

٣ ــ إبدال السين التي قبل القاف صادًا ، ففي نحو السَّقْر يقال الصَّقْر والزَّقْر وفي السَّقَل بمعنى الثِّقَل والسطل يقال الصَّقَل والسَّقْب وهو ولد الناقة الأنوق المسكوب الجسد يقال الصَّقْب (بالصاد لأجل القاف بعدها)(١) ، والخاء والغين في ذلك بمنزلة القاف فإنه يتم قلب السين قبلهما صاد للاستعلاء والتفخيم .

٤ ــ النون الساكنة قبل الباء تُنْطق ميما لتجانس الباء بعدها نحو العَنْبر تنطق العَمْبر ــ شَنْباء تنطق شمباء ــ الشَّنْبانزَى تنطق الشمبانزي . وقوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾(النمل : ٨) تنطق أَمْ بُورك وأنبئهم تنطق أَمْبئهم (بالميم) وانبعاثهم تُنْطق امْبعاثهم (بالميم) وسُنْبُلات خضْر تنطق سُمْبُلات (بالميم) وهكذا وذلك لتجانس الباء بعدها في الجرس والصوت .

ظاهرة المخالفة الصوتية

المخالفة الصوتية إبدال ثاني الحرفين المثلين أو المُضَعَّفَين ياء تخفيفا من توالي الأمثال .

" المثلين " اللذين هما من جنس واحد نونين أو راءين وذلك كما في تَظَنَّنْت وتظنيت وتقصصت وتَقَصَّيْت ــ وتَسَنَّن وتَسَنَّى ــ وتَسَرَّر وتَسَرَّى ــ ودسَّسَها ودسَّاها ــ وتقضض البازي وتَقَضَّى (٢) . فاللغة تبدل ثاني المِثْلَين حرفا مغايرا أو مخالفا لمجاوره وذلك للتخلص من ثقل توالي المثلين

(١) انظر الكتاب لسيبويه ٤/ ٤٧٧ ــ ٤٧٨ والعين للخليل ٥/ ٧٥ ، (سقر) ٥/ ٧٨ ، (سقل) ٥/ ٨٤ ، (سقب) وراجع مقدمة جمهرة اللغة لابن دريد .

(٢) راجع المزهر ١/ ٤٧٣ (نقلا عن الصحاح وأمالي ثعلب) .

في النطق .

ومن حديث المصطفى " ليس منا من لم يَتَغَنَّى بالقرآن " (١) أي يَتَغَنَّن (بنونين أي بالنون المضعفة) فأبدل ثاني المثلين ياء تخفيفا بمعنى يَتَنَغَم ويترنم ويملأ دماغه ويتمالكه الإحساس به ويُشَعْشِع في قلبه ودماغه ويستشعر معانيه استشعارًا قويا فهذا طريقه التجاوب معه وشدة الإحساس به على نحو يخالط ويمازج صوته القلب والعقل والروح والوجدان .

ومن باب المماثلة التي هي عكس المخالفة الصوتية .

قوله ﷺ أن الأرض قد دُحَّت من تحت الكعبة (٢) ودُحِيَت (بحاء وياء) أي بُسطت بسطا واقْتُضِبَت اقْتِضَابًا ونُفِخَ فيها من روحه . فهنا ماثل بين الصوتَين المتخالفين (الحاء والياء) وجعلهما حاء مضاعفة .

وقوله ﷺ إذا زَوَّقتم (بواو مضاعفة) وزَوْرَقتم (بواو وراء) مساجدكم وحليتم مصاحفكم (أي بدون الالتزام الفعلي) فالدَّبار عليكم (٣) أي فإن الدائرة ستدور عليكم وانقضى وولى عهد ريادتكم وقيامكم الحق بأمر الملة والدين وبأمر الله رب العالمين ، إذ يتضمن ذلك معنى الاستنكار . فهنا قد ماثل بين الصوتين المتخالفين (الواو والراء) وجعلهما واوًا مضاعفة .

وهناك مخالفة صوتية طريقها حذف ثاني المضعفين وإسكان الأول إذ قد جاء أَحَسْتُ في أَحْسَسْتُ ومَسْتُ في مَسَسْتُ وظَلْتُ في ظَلِلْتُ وظَنْتُ في ظَنَنْتُ (٤) .

المقطع الصوتي والنبر والتنغيم

المقطع حزمة أو مجموعة صوتية مترابطة لا يكاد الحس يشعر بإمتياز بعضها عن بعض لشدة ترابطها وتلاحمها .ويظهر هذا بوضوح في حالة التهجي الإملائي العادي فالمتكلم في هذه الحالة يجد نفسه مقسما الكلمة إلى عدة حزم أو مجموعات صوتية تعرف كل حزمة بالمقطع الصوتي —

---

(١) البحر المحيط ١٠/ ٤٣٥ .
(٢) راجع النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/ ١٠٣ .
(٣) السابق ٢/ ٩٨ .
(٤) راجع المحتسب لابن جني ٢/ ١٥٠ .

والنسيج المقطعي للغة العربية يتمثل في :

١ ـــ ص (صامت) + لين طويل .

٢ ـــ ص + لين قصير .

٣ ـــ ص + لين قصير + ص .

٤ ـــ ص + لين طويل + ص .

٥ ـــ ص + لين قصير + صامتان (٦) (١) ص + لين طويل + صامتان .

فالمقطع في العربية لا يبتدأ بحركة وإنما يبتدأ بصامت أي بحرف والحرف المشدد عبارة عن حرفين أولهما ساكن والثاني متحرك الساكن منهما عنصر من عناصر المقطع السابق ـــ والمتحرك منهما يمثل مقطعا قائما بذاته .

والمرء في تقسيمه للكلمة إلى مقاطع يركز على أحد هذه المقاطع ويهتم بها بصفة خاصة ويعرف ذلك بالنبر .

فالنبر الصوتي تخصيص أو إيثار أحد مقاطع الكلمة بقدر زائد من التأني في النطق والوضوح في السمع وهذا هو نبر الكلمة أو النبر المقطعي.

أمّا نبر الجملة فإنه يكون بأن يعمد الناطق إلى إبراز مقطع إحدى الكلمات التي تتألف منها الجملة فوق بقية المقاطع في الكلمات الأخرى أي يركز اهتمامه الأكثر والأشد على إحدى كلمات الجملة ليؤكد على أمرها ويلفت الأنظار إليها .

وهذا النبر يتم تحديد موقعه من الكلمة بأن يُنْظَر إلى المقطع الأخير من الكلمة فإذا كان من النوعين الرابع أو الخامس فإن النبر يكون عليه وذلك يكون في حالة الوقف نحو نسعين والمستقرّ ، وإذا كان المقطع الأخير من غير هذين النوعين يكون النبر على المقطع قبل الأخير بشرطين ألا يكون هذا المقطع من النوع الأول وألا يكون مسبوقًا بمثله من النوع الأول .

وإمّا إذا ما كان المقطع الأخير ليس من النوعين الرابع والخامس وكان

---

(١) راجع الأصوات اللغوية للدكتور / إبراهيم أنيس ص .

المقطع قبل الأخير من النوع الأول ومسبوقا بمثله من النوع الأول كان النبر على المقطع الثالث من الآخر ، وأما إذا كانت المقاطع الثلاثة قبل الآخر من النوع الأول كان النبر على المقطع الرابع من الآخر (١) .

وأمّا التنغيم (= النبر الموسيقي) فهو نمط صوتي لأداء الجمل والعبارات مُعَبِّر ومرتبط بالمقام .

فالجملة الخبرية لفظا ومعنى لها أداؤها وقالبها الصوتي الأدائي والخبرية لفظا الإنشائية معنى (الخبر الاستفهامي بالاستفهام الضمني) لها أداؤها والإنشائية لفظا الخبرية معنى (الاستفهام الخبري) لها أداؤها وأسلوب ونمط تأديتها . ومقام التعجب والاستنكار يخالف مقام الإعجاب والإشادة والإكبار .

والأداء الصوتي الصحيح هو الذي يُلْقِى في نَفْس المستمع وفي قلبه ويَعزز في وجدانه المعنى المقصود أو المراد ويحمل بنبراته الصوتية إليه كافة الأبعاد الدلالية لهذا التركيب أو ذاك في شفافية ووضوح ويكشف له عن مضامينها ويجلي له مغزاها ومضامينها (٢) .

رابعًا : علم الأصوات التجويدي .

هذا ومن المعلومات الصوتية التجويدية أن النون الساكنة لها أربع صور أو حالات نطقية وذلك تبعا لطبيعة الحروف التي تجئ بعدها ومدى تأثيرها عليها وتأثرها هي بها من عدمه .

١ ـــ ينطق بها بينة مُظْهَرة كما هي مفردة (الإظهار) إذ لا تقوى حروف الحلق على تأثيرها عليها وهي لا تتأثر بها لبعدها صوتيا عنها وهذا ما يسمى الإظهار (إظهار حلقي) وحروف الحلق الستة هي أ هـ ـــ ع ح ـــ غ خ ، وورد عن بعض القراء إخفاؤها مع " غ خ " .

٢ ـــ تنطق بلفظ ما بعدها وتدعم فيه (الإدغام) وذلك لأن حروف الذلق (ل م ن ر) وأختيها (و ي) حروف (يرملون) ذات قوة كبيرة عليها . وهي تتأثر بها للغاية لشدة قربها منها واللام والراء لاحظ لهما في الغنة بخلاف

---

(١) راجع الأصوات اللغوية للدكتور / إبراهيم أنيس ص .

(٢) راجع ص من هذا الكتاب .

غيرهما حروف (ينمو) .

٣ ـــ تخفى بمعنى يخفى عمل الفم معها أو لا يكون معها عمل من الفم فتكون مجرد غنة خيشومية باهتة ذات ترنم (الإخفاء) وذلك لأن حروف الفم الخمسة عشر ذات تأثير محدود عليها ـــ وهي تتأثر بها إلى حد "ما" لقربها منها نوعا "ما" . ولحروف الفم لهوية (ق ك) وشجرية (ج ش ض) ونطعية (ط د ت) وأسلية (ص ز س) ولثوية (ظ ذ ث) ـــ والفاء وهي حروف أوائل كلمات :

صف ذا ثناكم جاد شخص قد سما   دم طيبا زد في تقي ضع ظالمًا

وهذا الخفاء ذو مراتب أعلاه مع النطعية وأدناه مع اللهوية ووسط مع باقي الأحرف .

٤ ـــ تنطق ميما لِتُجانِس الباء بعدها (الإقلاب) الأمثلة :

أ) مَنْ آمن ومِن هادٍ ـــ ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت: ٤٦ ، والجاثية: ١٥) ـــ ﴿ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢) ـــ ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (الأعراف : ٣٢) ـــ ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا ﴾ (الحجر : ٤٧) ـــ ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٢٧٢) ـــ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات : ٤٠ – ٤١) .

ب) فإن لم تفعلوا ـــ من مالٍ ـــ عن نفس ـــ مِن ربهم ـــ من والٍ ـــ من يقول ـــ من نعمة . (تنوين) وجوهٌ يومئذ ـــ رؤوفٌ رحيم .

ج) من زكّاها ـــ مِنْ سوء ـــ وتَنْسَون ـــ أندادًا ومَنْ دَسّاها ـــ يومًا ثقيلا ـــ من ظلم ـــ من جاء بالحسنة .

٤ ـــ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة : ٣٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾ (يوسف : ٤٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ — ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ (النمل: ٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ (الشمس : ١٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ ﴾ (الشمس: ١٤).

(تنوين) ﴿ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ .

الميم الساكنة :

إنه نظرًا لأن الميم صوتٌ شفوي يُوصَف الإخفاءُ ومعها بأنه إخفاء شفوي (إخفاء عمل الشفتين — إبطال عمل الشفتين) أي ينطق بالميم من الخيشوم بدون إطباق الشفتين معها .

ويوصف الإظهار لها بأنه إظهار شفوي (إظهار عمل الشفتين — الإبقاء على عمل الشفتين) .

والإخفاء الشفوي إذا جاء بعدها الباء ، والإظهار الشفوي مع اللَّهوية والشجرية والنطعية والأسلية واللثوية وكذا الفاء والهمزة ويشتد ويتأكد إظهارها مع الواو والفاء لئلا يداخلها خفاء .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ (الشمس : ١٤ — ١٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَمْتَرُونَ ﴾ (الحجر : ٦٣ ، مريم ٣٤) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾ (الشعراء : ١٧٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (الزخرف : ٥٢) .

وإذا شُدِّدَت النون أو الميم فهي حرف غنة مشدد " إنَّ " — " فإمَّا " وهذا يتحصل ويُكتَسَبُ بطريق التدريب والتمرين والممارسة والمزاولة والمشافهة والتلقين على يد متقن للتلاوة .

(ا ، و ، ى — وتأثرها بما بعدها وطبيعة المدّ لها)

إن حروف المد تتأثر بما بعدها في تفخيمها وترقيقها أو إمالتها كما في الصلاة والزكاة — وعالِم وعابِد .

كما تتأثر بما بعدها في مدِّها ومن المصطلحات في هذا الباب :

ــ مد أصلي أو طبيعي وهو بمقدار حركتين .

ــ ومد فرعي أو زائد أو غير طبيعي وهو بمقدار ثلاث إلى ست حركات (٣ ــ ٦ حركات) كما في دابّة وشاء وجاء ويسوء .

ــ ومد مُثقّل كما في دابّة ولا جانٌّ ولا الضالّين ، ومد مخفف .

ــ ومد لازم أي لسبب لازم كما في قافْ وصادْ ونونْ (اسماء حروف) للزوم السكون .

ــ ومد عارض أي لسبب عارض كالوقف العبادْ ــ الحسابْ أو للإدغام العارض " الرحمن الرحيم مالك " .

ــ ومد كلمي ومد حرفي .

ــ ومد همزي متصل ومد همزي منفصل كما في قوله سبحانه : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (المائدة : ٤٥) .

وذلك للمحافظة على ما فيها من مد من جهة ولتمكن المرء من تهيئة الأعضاء للنطق بذلك الحرف المشدد (أو الساكن) أو الهمز التالي لها . ومن الأسباب المعنوية التعظيم في لفظ الجلالة لا إلهَ إلا اللهُ أي لا إلهَ في الكون والوجود والحياة ولا إله في الأجواء والآفاق ولا إله في الأرض ولا إلهَ في السماء إلا الله المشهود المعهود .

<u>وهناك تحقيق وترتيل وتجويد</u> :

والتحقيق بمعنى تمحيص وتخليص الحرف مما يشوبه والترتيل بمعنى ترسيخ الحرف وإعطاؤه وزنَه وثقله وفيه تتابع الأصوات في رُسُوّ ورسوخ دون التخفيف من وَزْنه وثقله ورسوخه في تكتل واعتماد وترطيل اللسان في النطق باللفظ .

والتجويد بمعنى نطق الحرف نطقا عتيقا لحيما مع نوع تفتيق لأجوائه والعمل على كمال وتمام الصفة دون بخس ونقصان [1] وفي القراءة عتق

---

(١) راجع وقارن التحديد في الإتقان لأبي عمرو الداني ، والرعاية لتجويد القراءة لمكي بن أبي طالب ، والمستطاب في التجويد للقسطلاني ، وغنية المريد لابن مفلح القلقيلي ، والتمهيد في علم التجويد لابن الجزري ، ونهاية القول المفيد لمحمد مكي نصر الجريسي ، وشرح المقدمة الجزرية لعلي القاري .

مُخَفَّف وانفتاح لأجوائه .

لام التعريف :

(لام أل : نحو الشمس والقمر)

تدغم لام التعريف في أربعةَ عشرَ حرفًا :

ش ، ض (الشجرية ماعدا الجيم) .

والذَّلَقية ل — ن — ر .

والنَّطْعيَّة ط — د — ت .

والأسلية س — ز — س .

واللثوية ظ — ذ — ث .

وتكون فيما عدا ذلك مظهرة (لامًا قمرية مظهرة) نحو القمر — الكتاب — جَمَالٌ — المجيد — الباعث — (أربعة عشر حرفا) .

واللام التي هي خلاف لام التعريف (= لام الفعل الأمر أي اللام التي تكن في الفعل لا في الاسم) تدغم في مثلها للتماثل ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سبأ : ٣٠) ، كما تدغم في الراء لقوة وشدة التقارب ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ ﴾(المؤمنون: ١١٨)﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه:١١٤) وذلك متى كانت ساكنة بخلاف المتحركة ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴾ (الشمس : ١٣) وتكون مظهرة فيما عدا ذلك .

والمد هو إطالة الصوت بحرف المد أكثر من حركتين عند ملاقاته لهمز أو لمشدّد (أي لمُدْغَم) مثل : " السماءَ " — ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ (الشمس : ١١ – ١٢) — الضالّين — دابّة .

والمد الطبيعي أو الأصلي يتمثل في المحافظة على ما في حرف المَدّ من مَدّ لا تقوم ذات الحرف إلا به ومقداره حركتان أي مقدار قبض الإصبع وبسطها كما في " بسم الله الرحمن الرحيم " وهذا ثابت له لغة وذاتا وطبيعة وكيانا أي في أصل طبيعته اللغوية . والزائد من ثلاث حركات إلى ست حركات والمتوسط أربع حركات والطويل ست حركات . ومن المد الهمزي المُنْفَصل ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾(البقرة : ٢٨٥) ، ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا

تُبۡصِرُونَ ﴾ (الذاريات : ٢١) ، وهذا مع الوصل يكون زائدا ومع السكت يكون طبيعيا . والمتصل مثل " سواء " و " دعاؤكم " حيث إن الهمزة متصلة بحرف المد في كلمتها . فهذا هو المنفصل والمتصل .

والمد مع المُشَدّد (أو المدغم) مُثَقّل كما في الضالّين ومع غير المشدد مُخَفّف مثل " ءآلآنْ " .

وهذا كما يكون في الكلمة يكون في الحرف (أي في لفظ اسماء الحروف في أوائل السور) وذلك مثل " ألمّ " (= ألف لام ميم) فالميم مدغمة في الميم و " طسم " (= طاسين ميم) فالنون مدغمة في الميم وهذا مثقل والمخفف منه مثل " ق " (قافْ) و " آلر " (= ألف لام راء) .

وهذا هو المثقل والمخفف في الكلمة وفي الحرف . وهو في الكلمة كَلمي وفي الحرف حرفي . ومن المد الزائد ما يكون عارضا لأجل الوقف أي لسكون الوقف كما في " نستعينْ " و " الرحيمْ " .

والمد الزائد العارض خلاف اللازم وهو الذي يكون سكون ما بعده ثابتا وصلا ووقفا أي ليس سكون ما بعده سكونا طارئا لأجل الوقف .

واللازم ما كان سكون ما بعده سكونا متأصلا وليس سكونا طارئا لأجل الوقف .

التفخيم تضخيم صوت الحرف حتى يمتلئ الفم بصداه .

والتفخيم ثابت لحروف الاستعلاء طبعا وذاتًا (خص ضَغْط قظ) وهي حروف الإطباق والحروف الطبقية خ غ ق .

والألف المدية تتبع ما قبلها تفخيما كما في الصلاة والزكاة ــ وخاب ــ ويخاف ــ وأمّا في ضحا ــ تلا ــ جلا ــ يغشى ــ بنا ــ طحا ــ سوى فهي مرققة لوقوعها بعد حرف مرقق .

ولام لفظ الجلالة في ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ و ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ مفخمة لوقوعها بعد ضم و فتح . وفي بسم الله مرققة لوقوعها بعد كسر .

والراء تفخم لمجاورتها لأحد حروف الاستعلاء فهي مفخمة في ﴿قِرْطَاسٍ﴾(الأنعام:٧)﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾(البقرة:٦١)﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾(الزخرف:٥١)

﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ (الكهف : ٩٦) ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾ (سبأ : ١٢).

كما تفخم في القمر — والأرض — فعقروها — فجورَها — ورَسول ربهم . وترقق في مثل فرعون — والنهار . فهذا تفخيم سياقي فالكسر يجذبها إلى الترقيق والضم والفتح والاستعلاء يأخذها إلى التفخيم .

هذا والوقف بمعنى السكت على مقطع الجُمَل قد يكون بإسكان الحرف الأخير (الوقف بالسكون) وقد يكون بهاء السكت (كما في ماليَه وكتابيَه) وقد يكون بنقل الحركة إلى ما قبلها وقد يكون بالتضعيف للحرف الأخير أي تشديده كما هو في لغة بعض بنى أسد من تميم — وبالنطق بالهاء في موضع تاء التأنيث كما في طلحة وحمزة . وقد يكون الوقف بالرّوم وهو تهيئة أعضاء النطق للنطق بالحركة دون إخراج صوت أي استدارة الشفتين للإعلام بالضم وانفراج الشفتين للإعلام بالكسر وقد يكون بالإشمام وهو إشراب صوت حركة صوت حركة أخرى مع تقصير زمن النطق بها أي تقصير زمن النطق بالحركة القصيرة وفقدانها صفة الجهر (حركة قصيرة للغاية) . وبإبدال التنوين ألفا (أي الوقف بالفتحة الطويلة) رأيت زيدا وبقلب الهمزة حرفا من جنس حركتها المنقولة إلى الساكن قبلها كما يقال هذا أفْعَى (فتحة طويلة) وهذا أفْعَوْ (مزدوج) .

القسم الثانى

ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم

(الفصل الصوتى - اللفظة والجملة المركزية
الاستفهام الخبرى - الخبر الاستفهامى
ظاهرة استحضار الصورة

الباب الأول

ظاهرة الفصل الصوتى (الوقفة الخفيفة) (١) .

إن الفصل الصوتى يقوم على وضع حدود وفواصل بين التراكيب والألفاظ منعا لتداخل المعانى أو اختلاطها والتباسها بعضها ببعض .

ولذا يعمد الناطق إلى صنع سكتات خفيفة لطيفة بين جنبات التركيب فى أدائه إياه .

"فصل أول"

من أمثلة ونماذج هذه الظاهرة فى القرآن الكريم

مبحث أول

* قال سبحانه ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ ﴾ (الأعراف: ١٢)

أى مامنعك من أن تسجد

وما لك ألاَّ تسجد أى ومالك قد تأبيت من أن وعن أن تسجد "إذ أمرتك" أى بمجرد أن أمرتك وإنما تراخيت وتقاعست وتباطأت فى تكبر وتعال فى إباء ولم تسجد فَوْر أن أمرتك .

ثم سجدت فى كبر وعتوه وغرور مرغما أى رغم أنفك فهو لم يتمالك أمام أمر رب العالمين إلا الاستجابة ولكن فى تباطؤ وفى استنكار وكبر وغرور (٢) .

* ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ — إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (ص: ٧٣ – ٧٤) أى فسجد الملائكة لكهم أجمعون كما سجد الشياطين والجن إلا إبليس وقد كان حاضراً على رأس جماعته من الجن فإنه قد أبى السجود من فوره أى تراخى فى سجوده كما أنه سجد سجوداً فيه استنكار وتطاول وتَأَبٍّ وعدم شكر وعرفان وعدم طواعية (٣) . فليس إبليس بسبب

---

(١) هذا مصطلح وتعبير ابن جنى عنه فى كتابه المحتسب راجع٢/٢٠٠،٩/١٩٧.

(٢) راجع وقارن الزجاج ٣٢٢/٢ – ٣٢٣ .

(٣) راجع وقارن البحر ١٧٤/٩ .

إلى الملائكة ولا هو منهم فى شئ فهنا نوع فصل صوتى خفيف ولطيف .

﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾(الأعراف: ١١) أى لم يكن من الساجدين على نحو فيه تطامن وتواضع لله رب العالمين وشكر له سبحانه وإذعان تام له تعالى .

وإنما قد سجد في استنكار وكبر وتعال وتطاول واشمئزاز فهو قد سجد مُكْرَهًا مُرْغما مضطراً مُجْبَراً بدلالة قوله سبحانه "إذ أمرتك " أى بمجرد أن أمرتك ولكنك تراخيت وتباطأت [١] .

• ﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾(البقرة: ١٤٨) أى لكل حزب من أحزاب أهل الكتاب وِجْهَة مثل قبلة هو موليها أى متوليها ومُخْتلقها ومبتدعها من عنده ومن قِبل ذاته ونفسه (وذكر اللغويون هو موليها وَجْهه)[٢].

فأعرضوا عنهم ولا تغتروا بما هم عليه واستبقوا فيما بينكم الخيرات معتصمين بهدى وقبلة ربكم التى أملاها عليكم وهى شطر المسجد الحرام فإن ذلك هو الحق المعتمد والمعتبر شرعاً فلا تزوغوا عنه [٣] .

وهذا الشاهد يمثل أصلا لهذا البا أعنى باب الفصل الصوتى .

• ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾(البقرة: ١٤٣)

أى ليذهب بصلاتكم وبأعمالكم سدى ويبطلها ويفوت عليكم ثوابها فما كان الله يملى غير الحق .

﴿ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ ﴾ (الزمر: ٧) وإنما يدعوهم إلى الإسلام الحق القويم ويحثهم عليه .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف ولطيف .

• ﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ۝ ﴾ (ق: ٤١ -٤٢) واستمع أى صيحة الاعلام بقرب الساعة وصَيْحة

---

(١) راجع وقارن الفراء١/ ٣٥٠، ٣٧٤، ٣/ ١٣٧– ٢٣٨ والبحر ٧/ ٣٧٤ – ٣٧٥ .

(٢) راجع الزجاج ١ / ٢٢٥ .

(٣) راجع وقارن البحر ٢ / ٣٨ والفراء ١ / ٨٥ والزجاج ١ / ٢٢٥ .

المنادى للخروج أى صفارة الإنذار والتى قد أطلقت فى الأجواء وتتردد فى الآفاق ولكنها تحتاج إلى إرهاف سمع .

وإنها لتسمع على أشد مايكون وعن قرب وقتما يأتى الأجل أى حينه وساعته فإنها تسمع بقوة إعلاماً بالحق أى بما هو الوعد الحق .

فالصيحة قد صدرت وأُطلِقت عن بُعد وهى فى طريق الوصول إليكم وصكها القَوِى والأشد لسمعكم .

فالوعد قد شارف على نهايته وانتهائه أى وقته وحينه.

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف

فلتضع سمعك الآن لتتعظ وتعتبر من فورك فإنها إنذارات أى صفارات إنذار مبكرة لتدارك مافات [١] .

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ ـــ زِلْزَالَهَا ﴾ (الزلزلة: ١)

إن إذا زلزلت الأرض تهالك وتهاوى وتحطم كل شئ وبتدد وتلاشى كل شئ فما أشد زلزالها وما أقوى وما أعتى زلزالها [٢] .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ـــ تَرَوْنَهَا ﴾ (الرعد: ٢)

أى بغير عمد ألبتة أو نهائياً "ترونها" أى ألستم ترونها – كما ترونها هل هناك أعمدة ـــ كلا [٣] .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

وبدون ذلك يكون المعنى أن هناك عمداً ولكنكم لا ترونها .

ومثله قوله سبحانه فى موضوع آخر .

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ـــ تَرَوْنَهَا ﴾ (لقمان:١٠)

أى كما ترونها.

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ٥٤٢ – ٥٤٣ والفراء ٣ / ٨١ والزجاج ٥ / ٥٠ .

(٢) راجع وقارن البحرالمحيط ١٠ / ٥٢١– ٥٢٢ والفراء ٣ / ٢٨٣ .

(٣) راجع وقارن البحر ٦ / ٣٤٥– ٣٤٦ والفراء ٢ / ٥٧ .

خلق فهى كذلك فى أصل الخِلْقة بغير عمداً لبتة [١] .

بدلاً قوله سبحانه: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ــ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ (الحج: ٦٥)

• ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ ــ هُوَ ﴾ (النمل: ٤٢)

أى قالت كأنه ــ إنه هُوْ وفى هذا استدراك وتحقيق وجزم بعد أن كانت على شك وفى تردد وعدم تحقق .

أى إنه لهو هو أى هو هو بكل تأكيد .

وذلك بعد شدة تأمل وقوة تفحص وتثبت [٢] فهى تتمتع بذكاء خارق وتوقد ذهن وقوة ورجاحة عقل فهى من طراز معين أو خاص وليست كأى أمرأة .

فهنا نوع فصل صوتىّ خفيف لطيف .

• ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ ــ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (السجدة: ٢)

أى وأنه قد تنزل من رب العالمين فهو سبحانه هو مُنزله على عبده ورسوله .

"تنزيل الكتاب لا ريب فيه" أى لا شائبة فيه بمعنى لا شك فى أنه تنزيل – أى كونه تنزيلاً أمر مفروغ منه ومسألة منتهية [٣] فلتستيقنوا أنه تنزيل سماوى .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

• ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا ــ لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الزخرف: ٤)

أى وإنه فى أم الكتاب لدينا بلفظه ونصه وترتيب آياته وسُوَرِه .

---

(١) راجع وقارن البحر ٦ / ٣٤٤ والفراء ٢ / ٥٧ .
والعين للخليل ٢ / ٥٩ عمد باب الثلاثى من حرف العين .
(٢) راجع وقارن البحر ٢٤٢/٨ – ٢٤٣ والفراء ٢٩٤/٢ – والزجاج ١٢١/٤ .
(٣) راجع وقارن البحر ٤٢٨/٨ – ٤٢٩ والزجاج ٢٠٣/٤ .

وإنه لعلى حكيم [١] ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (البروج ٢١-٢٢) فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا — وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ — أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ ﴾ (الشورى: ١٣)

أى والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى لهو من مشكاة واحدة .

فقوله والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى كأنه كلام مستأنف فهوموضوع آخر فما شرع لكم من الدين هوهو الذى قد وصينا به نوحا .

لذا فإنا نؤكد عليكم أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .

ولنؤكد على القوم من حولك وعلى عباد الله المتقين وعلى جماعات الإسلام أن أقيموا الدين أى حق القيام وحققوا التوحيد الصدوق والخالص لله على أرض الواقع كل التحقيق "ولا تتفرقوا فيه " أى ولا تختلفوا فى تفهم منازعه وقاصده[٢] فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف كما قال سبحانه .

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (الأنفال: ٤٦)

وإنه ليلقى إليكم وليظل يلقى عليكم هذا البيان وذلك المبدأ فهو مبدأ ثابت وبيان صروح صدوق فلتأخذوا أنفسكم به .

* ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ — ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ (فصلت: ٤٤) أى ولو أنزلناه بلغة أعجمية أى أجنبية لقالوا لولا أى هلا فصلت آياته أى فُسِّرت لنا وترجمت بالعربية لنتفهمه ولو أنا فعلنا ذلك استجابة لمطالبهم لقالوا أأعجمى وعربى أى أأصل وكتاب أعجمى وتفسير عربى وذلك ليعفوا أنفسهم من الأخذ والالتزام به [٣]

---

(١) راجع وقارن البحر ٤٢٨/٨ - ٤٢٩ والزجاج ٢٠٣/٤ .

(٢) راجع وقارن البحر ٣٢٨/٩ - ٣٢٩ والزجاج ٣٩٥/٤ - ٣٩٦ .

(٣) راجع وقارن البحر ٣١٢/٩ والفراء ٣ / ١٩ والزجاج ٤ / ٣٨٩ .

فهنا نو ع فصل صوتى خفيف ولطيف .

وفى هذا دليل على جواز ترجمة معانى وتفسير القرآن الكريم شرعاً .

* ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ (يس: ٣٧)

هذا مضمونه وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مبصرون وآية لهم النهار نسلخ منه الليل فإذاهم مظلمون .

ونسلخُ منه بمعنى نَبْعثُ منه ونَنْفذُ من بين أجوائه وطياته وجنباته النهار(١) وهذا الشاهد من أصول هذا الباب .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف مراعاة لهذا المتضمن .

* ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(القصص: ٥٨)

أى من قرية طاغية آثمة

ذلك أنها قد بطرت معيشتها أى بغضتها ونَفَرت منها ولم ترتضها وعزَفت عن الحلال إلى الحرام فانتهكت الحرمات وعاثت فى الأرض فساداً وعبثاً وفسوقاً .

"فتلك مساكنهم " أى كما تراها والتى تراها رأى العين .

"لم تسكن من بعدهم الا قليلا" أى وإنها لم ولن تسكن من بعدهم إلا قليلاً .

فهنا نوع فصل صوتى أو فواصل صوتية مُخفّفة (٢)

* ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾ (النمل: ٥١ - ٥٢)

أى ذلك أنا دمرناهم ودمرنا قومَهم وحَطّمنا قومَهم أجمعين .

فتلك بيوتهم " كما تتراءى لك وكما تراها

قد صارت خاوية بما ظلموا(٣)

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ٦٦ والفراء ٢ / ٣٧٨ والزجاج ٤ / ٢٨٧.
(٢) راجع وقارن البحر ٣١٦/٨ والفراء ٣٠٨/٢ والزجاج ٤ / ١٥٠ .
(٣) راجع وقارن البحر ٢٥٤/٨ والفراء ٣٩٦/٢ والزجاج ١٢٥/٤ .

* ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴾ (القلم: ٢٨ — ٣٠)

فقوله " قال أوسطهم ألم أقل لكم " أى من قَبْل وعندما أردتم القدوم على هذا الأمر أن من يَحْرِم الفقراء والمساكين من رزق الله ومن فضله وزاده يَحْرِمْه الله .

فقالوا له ما الحل وماذا نصنع الآن وقد وقع المحذور قال "لولا تسبحون " فألهمهم الله الرشاد وأوقفهم على رشدهم وتكشفت لهم الحقائق وعرّفهم بما يجب أى فاقوا من غفلتهم وضلالتهم ومن استحواذ الشيطان عليهم فصاروا يتباكون ويتلاومون ثم قال الله مذكرا "كذلك العذاب" أى بمثل ذلك وعلى هذا النحو نعذب من يركب هذه الموجه (١) ويتوجه هذا التوجه .

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ : (الأنعام: ٤٣)

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ (الكهف:٤٢) وذلك جزاء غروره وتطاوله واستكباره .

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ (محمد: ١٥) أى مَثَلُ الجنة التى وعد المتقون أعزُّ مثَل وأكرم مثَل وأطيب مثل وأحق وأصدق مثل واسمى مثل . إنها فيها أنهار (٢)

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ (الرعد: ٣٥) .

أى مَثَلُ الجنة التى وُعد المتقون أعزُّ مثَل وأكرم مثل وأطيب مثل .

إنها تجرى وإنه تجرى من تحتها الأنهار ولتجرى من تحتها الأنهار

(١) راجع وقارن البحر ٢٤٢/١٠ - ٢٤٣ والفراء ١٧٥/٢ - ١٧٦ والزجاج ٢٠٨/٥ - ٢٠٩ .

(٢) راجع وقارن البحر ٩ / ٤٦٧ والفراء ٦٠/٢ والزجاج ٩/٥ .

ولتظل تجرى [١]

* ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ـــ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ (العنكبوت: ٤١) أى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ما أهونه من مثل ولهو أخس مثل وأردى وأخزى مثل إنهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً [٢].

وإنه مثل حقيقي وصدوق فى بابه كما قال سبحانه :

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ (الأعراف: ١٧٧)

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (النحل: ٦٠)

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ـــ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ﴾ (النور: ٣٩ ـ ٤٠)

أى والذين كفروا ما أسوأهم وما أشرهم وما أطغاهم وما أشد خداعهم ومكرهم وكيدهم وتآمرهم ـــ أعمالهم فإنهم أعمالهم أى وعودهم وتدخلاتهم ومواقفهم من المسلمين وقضاياهم الحقة والعادلة لا تخرج عن أمريين أن تكون سراباً خادعاً لا قيمة ولا أثر له وأن تكون تآمراً شديداً مستوراً كامناً [٣].

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف

* ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ـــ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ـــ ﴾ (إبراهيم: ١٨)

أى مثل الذى كفروا بربهم أسوأ مثل وأقبح مثل وأشر مثل وأخس ومثل وأرد مثل ...

---

(١) راجع وقارن البحر ٦ / ٣٩٥ والفراء ٦٥/٢ والزجاج ٣ / ١٤٩– ١٥٠ .

(٢) راجع وقارن البحر ٨ / ٣٥٧ والفراء ٣١٧/٢ والزجاج ١٦٩/٤ .

(٣) راجع وقارن البحر ٨ / ٥١ والفراء ٢٥٤/٢– ٢٥٥ .

"أعمالهم" أى فإنهم أعمالهم الآثمة الفاحشة فهم يعملون على إشاعة وترويج المنكرات والفواحش فى المجتمعات الإسلامية كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف " أى اشتدت به الريح فهى ذات حُرقة فى أعين الأبرار وعباد الله المتقين الأطهار كما أنها قد راجت وانتشرت فى كل أرجاء البلاد على نحو قوى وشديد [1] .

﴿ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (فاطر: ١٠) إى مايلبث أن يضحل وينمحى ويتلاشى .

* ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ — أُنثَىٰ ﴾ (آل عمران: ٣٦)

"إنى وضعتها" قالت ذلك وهى تمتلئ فرحة وسعادة وبهجة واستبشاراً وَضَعَتُها بسلامة الله وبكل طيب نفس وخاطر .

"أنثى" أى وإنها أنثى" أى من خير وأعز وأطيب مايكون ما أكرمها وما أعزها من أنثى فما أسعدنى وما أحظانى بها .

وكم كان أمَلِى ورجاوتى أن تكون ذكراً ليقوم بأجَلِّ الأعمال وبكل الخدمات وأشدها علَى النفس خدمة ويتحمل المشاق .

فليس طريق هذا التأزم والإنكار والتحسر والتندم كما يُظَنّ ولكنه الفرح والبهجة والاستبشار والحظوة والحفاوة والسعادة والإعجاب كل السعادة [2] فإنها امرأة عمران وأهل بيت النبوة .

محرراً من كل سلطان عليه .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف إنى وضعتها – وإنها أنثى أى من أعز وأكرم مايكون .

* ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ — أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي — وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ — وَيْلَكَ — ءَامِنْ — إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ (الأحقاف: ١٧)

أى إنه ما أسوأ وما أشر الذى قال لوالديه أف لكما وما أصدقهما وما أكرمهما وما أطيبهما وهما يستغيثان الله ثم يتجهان لولدهما بالتحذير قائلَيْن

---

(١) راجع وقارن البحر ٦ / ٤٢٢ والفراء ٢/٧٢– ٧٣ والزجاج ١٥٧/٣.

(٢) راجع وقارن البحر ٣ / ١١٦ – ١١٨ ، ١٥١/٤ – ١٥٢ والزجاج ٤٠١/١.

"وَيْلَك" أى ياويلك إن العذاب كل العذاب لك ثم يطلبان منه الإيمان قائلَيْن "آمن – إن وعد الله حق " فلتعلموا ذلك حق العلم ولتأخذوا أنفسكم بتقوى الله إن وعد الله حق .

فهنا فصل صوتى "ويلك – آمن " عما قبله(١)

"إف لكما " أى بعداً لكما ونَفْياً لكما والهوان لكما .

"وهما يستغيثان الله " أى يستجيران به ويسترحمانه ويَستمهلانه ويسترققانه بشأن ولدهما .

* وقال عز وجل فى مخاطبة نوح عليه السلام بشأن ابنه

﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (هود: ٤٦)

مثَل إنى أُنبّهك وأُطلعك على الحقائق الحقة وأُثَبّت قلبك على الحق وأطمأنهَ به فاحذر ان يغرر الشيطان بك إلى أن تكون من الجاهلين أى من غير أهل اليقين بعدالة الله ونفاذ قضائه وإبرامه أمره ولكنها الشفقة والتعطف والرحمة الإنسانية التى هى طبع فى الإنسان (٢)

فأنى لك أن تكون من الجاهلين وأنْتَ مَنْ أنْت فى الاستيقان بعدالة رب العالمين ونفاذ ما أبرمه من قضاء

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ (التوبة: ٣) ورسوله (بالرفع) أى ورسولُه برئ منهم

أى وقد كان رسولُه برئ منهم(٣) أى على غاية التبرؤ منهم

فهنا نوع فصل صوتى خفيف

فهذا إعلام عام على رؤوس الأشهاد ألقاه ويلقيه الله رب العالمين إلى الناس فى اليوم الأكبر من أيام الحج وهو يوم عرفة كما قال سبحانه :

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ٤٤٢ والفراء ٥٣/٣ – ٥٤ والزجاج ٤٤٣/٤.
(٢) راجع وقارن البحر ٧ / ١٦٣.
(٣) راجع وقارن البحر ٥ / ٣٦٧.

﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (التوبة: ١)

﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ ـ فِينَا وَلِيدًا ﴾ (الشعراء: ١٨) أى وظللت زمنا طويلا فينا وليداً ونشأت فينا وليداً [١].

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ـ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ـ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ـ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ (التوبة:١٠٠) أى السابقون هم الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعون هم الذين اتبعوهم باحسان

إنه قد عزّ وكَرُم الأولون من المهاجرين والأنصار

وما أعز وما أكرم الذين اتبعوهم بإحسان فإنه قد رضى الله عنهم ورضوا عنه [٢].

* ﴿ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ـ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (الرعد: ٣١)

أى أفلم ييأس الذين آمنوا من ايمان بعض من هديناهم للإيمان وجعلناهم نبراساً وأئمة وأعلاما وقادة للإسلام ونبراساً للمسلمين.

فليعلموا وليوقنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً [٣].

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف.

* ﴿ سَنُعِيدُهَا ـ سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ (طه: ٢١) أى اطمئن ولا تقلق فإنا سنعيدُها أى نسلب منها ما نفيث فيها من الروح والحياة آخراً (تركيز واعتماد وتأكيد).

انظر أليست هذه سيرتَها الأولى أى حالتها الأولى فما أعز وما ألطف سيرتها الأولى بما فيها من أسرار كامنة [٤]

أى فإنا سنعيدها – ونُعيد إليها سيرتها الأولى أى أسرارها.

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف.

---

(١) راجع وقارن البحر ٨ / ١٤٦.

(٢) راجع وقارن البحر ٥ / ٤٩٥.

(٣) راجع وقارن البحر ٦ / ٣٨٩-٣٩١.

(٤) راجع وقارن البحر ٧ / ٣٢٤.

* ومن هذا الباب قوله سبحانه :

﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ (مريم: ٦٩)

فهذا مضمونه ثم لننزعن من كل شيعه الذى يعتقد أنه الأشد – أيكون على الرحمن عتيا [١] .

إن رحمة الرحمن هى التى قد أبقت عليه إلى أجله ليراجع نفسه فلما جاء أجله المحدد سلفاً أخذه سبحانه بعزة واقتدار فهو العزيز القوى الشديد والجبار المتعال .

"أيهم أشد" أى الأشد بمعنى الذى يعتبرون أنه الأشد والذى تعتبرونه الأشد والأقوى والأطغى والأعتى ويعتبر نفسه أنه هو الأشد .

"على الرحمن عتيا" أى أعلى الرحمن يكون عتياً وأيكون على عباد الرحمن عتيا أى أمره مستعصيا ــ كلا [٢] كما قال سبحانه :

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ (الحاقة: ٣٠ - ٣٢) فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة: ٧) أى يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله أى حق المهادنة والمواعدة لهم وهم من هم فى العدوان عليكم وفى التآمر وفى الكيد لكم والمكر والتربص بكم ولا يرقبون فى مؤمن "إلاّ" أى عهدا ولا ذمة أى ولا حق الإنسانية العامة .

لذا فإنه لا ينبغى ولا يحق أن يؤمن منهم إلا الذين عاهدتهم عند المسجد الحرام أى وفقط دون ما سواهم فهؤلاء أتمُّوا إليهم عهدهم إلى مدتهم.

وبعد ذلك تكون وتظل المعاملة بالمثل أى بالند "فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم " فهذا هو الذى يحكم ويحدد طبيعة علاقتكم بهم .

---

(١) راجع وقارن البحر ٧ / ٢٨٦-٢٨٨ والزجاج ٣/٣٣٩.
(٢) راجع وقارن البحر ٧ / ٢٨٧.

إى فمن استقام لكم منهم ومتى استقام وعلى أى وجه وبأى كيفية استقام وفى أى وقت استقام وطيلة ما استقاموا فاستقيموا لهم (١) فإن ناصبوكم العداء فاعتدوا عليهم .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ — شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ﴾ (التوبة: ١٧) أى أيكونون شاهدين على أنفسهم بالكفر

إنهم إن يعمروها أى يُشيِّدوها أو يَرتَادوها يكونوا شاهدين على أنفسهم بالكفر .

ذلك لأن إعمار مساجد الله يكون من منطلق التوحيد الصدوق والخالص لله رب العالمين وأنه وحده الجدير بالولاء والطاعة .

وهؤلاء فى واقع حياتهم مشركون بالله باحتكامهم إلى الطاغوت وإكبارهم وإعظامهم له وتحالفهم معه وولائهم له وإلقائهم إليه بالمودة وإسرارهم إليه بها . فهم قد اتخذوا من دون الله ورسوله وليجة

إن من عمروها منهم قد صاروا شاهدين على أنفسهم بالكفر (٢) .

* ﴿ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ — كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ — يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ — هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ — قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ (المنافقون: ٤)

أى وإن يتكلموا يأخذ صوتهم بألباب سمعك وقلبك وما إن تتأمل وتتفقد وتتفهم فحوى ومضمون كلامهم لا ترى له مضمونا إنهم كأنهم خشب مسندة مثل حيوانات ويرابيع وضباع محتشدة قد أخذها فزع وهلع ونكوص وتهالك شديد يحسبون كل صيحة عليهم أى واقعة بهم وأنها تقصدهم .

هؤلاء "هم العدو" وأولئك هم العدو الألد والأشد الحقيقى والبغيض الحقود.

فاحذرهم قاتلهم الله (٣) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٥ / ٣٧٦ والفراء ٤٢٣/١ — ٤٣٤ والزجاج ٤٣٢/٢.

(٢) راجع وقارن البحر ٥ / ٣٨٥ — ٣٨٦ والفراء ١ / ٤٢٦ .

(٣) راجع وقارن البحر ١٠ / ١٨١-١٨٢ والفراء ٣ / ١٥٨ والزجاج ١٧٦/٥.

فهذا يتطلب أداؤه سكتات خفيفة لطيفة متلاحقة متتابعة للفصل والتمييز بين المعانى .

* ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا — ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ ﴾ (الأنعام:٢٢)

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا — ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ﴾ (يونس : ٢٨)

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ — كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾ يونس: ٤٥

أى يوم نحشرهم (وإنا لنحشرهم جميعاً) يسيطر عليهم الذل والهوان والذهول والدهشة والفزع وتتقبض قلوبهم وتتأزم نفوسهم وتتكسر أجنحتهم ويعلوهم التحسر ويذهب عنهم أثر كل نعيم فإنه يوم ما أقساه وما أشده من يوم ثم إنا نقول أى ثم أنا نواجههم بالحقائق الحقة [١] .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

ومثله قوله سبحانه ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ — وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ (النبأ: ٤٠)

أى لم أكن ولم أوجَد .

* وقوله سبحانه ﴿ يَوْمَ يَأْتِ — لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ (هود: ١٠٥)

أى مهما عزّ أمرها فى قومها ومهما تطاول وتعالى فى الأجواء صيتُها[٢]. إذ يخيم على الناس الصمت والسكون التام .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ — وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (النساء: ٤٢)

أى ولتعلموا أنه وأنهم لا يكتمون الله حديثاً مع علمهم بشدة ما ينتظرهم من عقوبة ومن عذاب موجع مؤلم شديد وبيل .

فليس فى امكانهم ومقدورهم ولا سبيل لهم الى انكار شئ مما قد كان منهم[٣] ومايسرون به من سوء القول وقبح الصنيع ومن شرك ومن تآمر على

---

(١) راجع وقارن البحر ٤ /٤٦٣.

(٢) راجع وقارن البحر ٦ /٢٠٩ – ٢١٠.

(٣) راجع وقارن البحر ٣ /٦٤٥ والفراء ٢٦٩/١ – ٢٧٠ والزجاج ٥٤/٢.

الاسلام والمسلمين ومكرهم وتآمر عليهم وكيد لهم .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف كما قال سبحانه

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ ﴾ (آل عمران:٧٧)

﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ﴾ (البقرة: ٢١٠) ﴿ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾: (الأعراف ٤٦)

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ (المطففين: ١٥)

* ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ ﴾ (الأنعام: ١٠٠)

أى وجعلوا لله شركاءَ كثيرين وعدّة وخاصة الجن كيف يكون هذا وهو سبحانه قد خلقهم أى خلق هؤلاء وهؤلاء وخلق الجن كما قد خلق الإنسان(١).

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴾ (المؤمنون: ١١٢ – ١١٣)

أى ألستم قد لبثتم ومكثتم عدد سنين حقا كما تتوهمون وتدّعون أى عمراً مديداً وأمداً ودهراً طويلاً .

وعلى أية حال إن كنتم قد لبثتم ومهما لبثتم ما كنتم لتؤمنوا وإن مااستكثرتموه واغتررتم به لقد كان فى حقيقته قليلاً

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف (٢).

* ﴿ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ ﴾ (يونس: ٢٧) أى حتى صارت أو حتى أنك قد صرت تراها قطعا من الليل وصرت ترى صاحبها مظلما أى كسواد الليل أو غرابا فاحماً أو شيئاً قطرانيا أو جسما قطرانيا.

كأنما أغشيت وجوههم أى صارت كالغشاوة من غشاوة الليل (٣).

---

(١) راجع وقارن البحر ٤ /٦٠٢ والفراء ٣٤٨/١ والزجاج ٢٧٧/٢.

(٢) راجع وقارن البحر ٧ /٥٨٨ والزجاج ٢٥/٤.

(٣) راجع وقارن البحر ٦ /٤٨ والفراء ١ / ٤٦٢ والزجاج ١٦/٣.

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ — وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ — وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ (البقرة: ٧)

أى وضرب على سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة وإنه لعلى أبصارهم غشاوة فهنا نوع فواصل صوتية مخففة [١] . وسكتات لطيفة .

* ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا — فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾(يس: ٩)

أى وأمطرناهم بما أمطرناهم به فأغشيناهم .

وأمطرناهم بوابل من الحصى والتراب منهم لايبصرون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سَدًا فلا يستطعون التقدم للأمام ولا التأخر للخلف[٢] .

* ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ — فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ (الأنعام: ٦١)

أى وهو القاهر للطغاة والجبابرة والظالمين والماكرين المتآمرين المتحزبين .

الكائن والقائم فوق عباده بالأمن والتأمين والطمأنة والتمكين وإنه لفوق عباده يعلم مايجرى على الأرض من تآمر عليهم وانه يرسل وليرسل وليظل يرسل عليكم حفظة [٣] .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

وكذا وهو القاهر أى المستنير العزيز فوق عباده

* ﴿ قَالَ ٱللَّهُ — هَٰذَا يَوْمُ — يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ المائدة: ١١٩

إن هذا يومٌ إحقاق الحق وإبطال الباطل وإنه لينفع الصادقين صدقهم أى مصداقيتهم [٤] . ووفاؤهم بعهود ربهم كما قال سبحانه .

---

(١) راجع وقارن البحر ١ /٨٠-٨١ والفراء ١ / ١٣ والزجاج ٨٢/١.
(٢) راجع وقارن البحر ٩ /٤٩ – ٥٠ والزجاج ٢٨٠/٤.
(٣) راجع وقارن البحر ٤ / ٥٣٨.
(٤) راجع وقارن البحر ٤ / ٤٢٢ والزجاج ٢٢٤/٢.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٩)

* ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (فاطر: ٣)

أى هل هناك أىّ خالق غير الله أليس هو الذى يرزقكم من السماء والأرض وهل هناك من يرزقكم من السماء والأرض غير الله وهل من أحد يرزقكم من السماء والأرض إلاّ الله .

إن الله هو خالقكم وهو الذى يرزقكم من السماء والأرض[1] .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف كما قال سبحانه .

﴿ * قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ﴾ (سبأ: ٢٤) أى قل من يرزقكم من السماء والأرض آلله أم أحد غيره سبحانه ثم لقنه سبحانه الاجابة وأعلنها على لسانه على رؤوس الأشهاد قل الله أى إنه الله أى بكل قوة وعزة وبكل ثقة ويقين وبكل ثبات وطمأنينة وبدون أدنى تفكير [2] أو تردد .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴾ (النساء: ٧٨) إى أنهم لا يكادون يفقهون شيئاً على نحو حق قويم ولايحسنون حديثاً .

وكذا فمالهم من حق وما لهم من شأن ومكانة .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف [3] .

* وقال عز وجل عن الفقراء من المسلمين الأعزاء

﴿ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ ﴾ (البقرة: ٢٧٣)

أى لايسألون الناس شيئاً "إلحافاً" أى عزه نفسى منهم وإباءً وتقشفاً طبيعيا فيهم وثقة بما هو عند الله .

فهذا طريقة الإشادة بهم والإكبار والتمجيد لهم [1] .

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ١٣ والزجاج ٢٦٢/٤.
(٢) راجع وقارن البحر ٨ / ٥٤٦.
(٣) راجع وقارن البحر ٣ / ٧١٨.

فهنا نو ع فصل صوتي خفيف لطيف وقبله

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ (البقرة: ٢٧٣) أي للفقراء الذين أحصروا وكانوا مرابطين ومجاهدين في سبيل الله (٢) .

* ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس: ٥٨) أي قل بفضل الله وبرحمته يحيون في دعة وسكينة وأمن واستقرار وطمأنينة ورخاء وعزة وتتوفر لهم حياة طيبة كريمة ففي هذا اعزاز وإكبار.

فبذلك فيفرحوا فإنه خير ولهو خير مما يجمعون يحشدون ويكتزون من الأموال (٣) ففي

فهنا نو ع فصل صوتي خفيف لطيف .

* ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (الحشر: ١٣) أي لأنتم على أشد ما يكون في إرهابهم ولرهبتهم منكم على أشد ما يكون ولأنتم من أنتم في أرهابهم إرجافهم "من الله" وياويلهم من الله .

وسيظلون على ذلك ما داموا يتنصلون من الله أي من الولاء له سبحانه ومن تعاليمه تعالى ويوالون الطاغوت "في صدورهم" فهي رهبة حقيقة كامنة تمتلئ بها الصدور ومكتنة في أعماق القلوب (٤) .

فهنا نو ع فصل صوتي خفيف لطيف .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ (القصص: ٨٠)

وقال الذين اوتو العلم لأهل الدنيا وزخرفها وزينتها والذين فتنوا بها أي الويل كل الويل لكم بمعنى العذاب الأشد والأقسى لكم لثواب الله خير وإنه لا يكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً (٥) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٨ / ٥٤٦.
(٢) راجع البحر ٢ / ٦٩٩-٧٠٠ والزجاج ٣٥٦/١.
(٣) راجع وقارن البحر ٦ / ٧٥ والفراء ٤٦٩/١ .
(٤) راجع وقارن البحر ١٠ / ١٤٥ – ١٤٦ والفراء ١٤٦/٣ .
(٥) راجع وقارن البحر ٨ / ٣٢٨ .

فهنا فواصل وسكتات خفيفة لطيفة .

* ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر: ١٠)

ولا تجعل فى قلوبنا غلا ألبتة لأى أحد وخاصة للذين آمنوا بل املأ قلوبنا حبا واعزازاً للذين آمنوا [١] كما قال سبحانه

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا ﴾ (الحجر: ٤٧)

أى ولذا قد صاروا إخوانا وتراهم إخوانا.

فليس فى صدورهم شئ من غلٍ للمؤمنين لا فى حياتهم الدنيا ولا فى الآخرة [٢] . فالغل و الحقد والحسد والضغينة أمراض لا تخالط قلب المؤمن التقى بحال

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ (الأعراف: ٤٣) أى من كلّ غل أى من ذلك المرض العام والعارم وتلك البلوى التى قد ابتلى بها عامة الناس وهذه الآفة الخطيرة[٣] .

* ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ (القلم: ٣) أى لأجراً عظيما جزيلاً عزيزاً وإنه ليكون غير ممنون أى طريقة الإعزاز والحظوة والتكريم والتقدير لك وليس طريقة المنّ عليك والاستضعاف لك .

وكذا لايكاد يحد بنطاق [٤] .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ (الكهف: ١٢)

أى فإنهم لبثوا أمداً مديداً طويلاً [٥] .

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ (الكهف: ٢٥)

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ١٤٤ .
(٢) راجع وقارن البحر ٦ / ٤٨٢ والزجاج ١٨٠/٣ .
(٣) راجع وقارن البحر ٥ / ٥٣ .
(٤) راجع وقارن البحر ١٠ / ٢٣٦ والفراء ١٧٢/٣والزجاج ٢٠٤/٥ .
(٥) راجع وقارن البحر ٧ / ١٤٦ والزجاج ٢٧١/٣ .

وهى مدة البحث عنهم بعد رؤيتهم للتعرف عليهم والوقوف عليهم فلم يعثر القوم عليهم إلا بعد تسع سنوات كما هو مفاد النص القرآنى (١) .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ﴾ (الإنسان: ٢٦)

أى وسبحه تسبيحا حقا قويما طيبا كريما مطمئنا .

"ليلاً طويلاً " أى فإنا قد منحناكم وقدرنا لكم ليلاً طويلاً فهو كاف للراحة ولعبادة رب العالمين من سجود وتسبيح .

بمعنى أنه كاف للراحة الجسدية وكاف للترويح عن النفس بالعبادة ولشكر نعمه سبحانه والإنابه اليه فى آنائه وبين أحنائه وجنباته (٢) .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ (القدر: ٥)

أى هى سلام بمعنى كلها موادعة وهدوء وأمن وأنس وطمأنينة وهى ما هى فى كل ذلك وفى باب العظمة .

وإنها لتستمر حتى مطلع الفجر أى إلى نهاية طلوع الفجر وليس إلى ابتداء الطلوع فأمرها ذلك لا يتوقف عند ابتداء طلوع الفجر ولكن سيستمر إلى آخر مطلعه وإلى نهايته (٣) .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ (النازعات: ٢٧ - ٣٠)

أى فإنه قد بناها (٤)أى بناءً حقا .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

---

(١) راجع وقارن البحر ٧ / ١٥٩ والفراء ١٣٦/٢ .
(٢) راجع وقارن البحر ١٠ / ٣٦٩ .
(٣) راجع وقارن البحر ١٠ / ٥١٥ والفراء ٢٨٠/٣ والزجاج ٥/ ٣٤٨ .
(٤) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤٠٠ والفراء ٢٣٣/٣ والزجاج ٥/ ٢٨٠ .

"والأرض بعد ذلك دحاها " أى بعد أن بنى السماء وبهذا تم الخَلْقُ عاد فأجرى على الأرض اختباراً عمليا بأن أخرج ماءها وأنبت زروعها وثمارها. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ (البقرة: ٢٩)

فالأرض قد خلقت فى أصلها أولاً ثم تم خلق سبحانه السماء [١] .

إذ قد خلق سبحانه الأرض فى يومين وقَدَّر فيها أقواتها فى يومين آخرين فصار المجموع أربعة أيام ثم خلق السماوات وأوحى فى كل سماء أمرها فى يومين فصار مجموع ومدة الخلق للأرض وللسماوات سبعة أيام[٢] كما نص سبحانه على ذلك فى سورة فصلت .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (ص: ٢٧) أى أيخلق وهل يخلق الله شيئاً باطلاً كا يُدَّعى .

إن ذلك الافتراء والاختلاق والظن والوهم لهو ظن الذين كفروا أى إنه ما يركب هذه الموجه ولا يردد هذا الافتراء ولا يعتقد صحة ذلك الاعاء إلا الذين كفروا فهذا الظن معلم على الكفر وسمة من سماته .

فلفظ ذلك مشار به الى الكلام المضمر والمتضمن لا إلى هذا الكلام المذكور [٣]

﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٠٣)

إى فمن تعجل وجاء رميه فى يومين (فهذا شرط) فلا إثم عليه ومن تصبر وتأخر فلا إثم عليه .

"لمن اتقى" أى ذلك لمن اتقى فالمعول عليه فى الأمرين جميعاً هو التقوى فالتقوى هى مداد الظفر بالأجر على ذلك فيها أى فى الحالين ولا تخص أحدهما دون صاحبه [٤]

(١) راجع وقارن البحر ١ / ٢١٩ والزجاج ١/ ١٠٧ .
(٢) راجع وقارن البحر ١٠ / ٢٨٧ والزجاج ٤/ ٣٨٠ - ٣٨١ .
(٣) راجع وقارن البحر ٩ / ١٥٢ والزجاج ٤/ ٣٢٩ .
(٤) راجع وقارن البحر ٢ / ٣١٩ والفراء ١/١٢٣والزجاج ١/ ٢٧٥ .

فهنا نوع فصل صوتي خفيف لطيف .

أي واذكروا الله في أيام معلومات ولتكن معدودات أي محصاة بكل دقة وحكمة في حزم وعزم وقوة إرادة دون أدنى تساهل منكم في عدها أي أحصاها وتعدادها كما أمر الله وكما أراد الله تعالى

فالمتعجل لا بد وأن يَجِئ رميه في يومين حتى يكون حَجُّه صحيحا وحتى يكون قد وَفّى بما يجب والمتأخر أي وغير المتعجل يجئ رميه في ثلاثة أيام اليوم منها هو اليوم كما حدده الله عز وجل لا يختلط اليوم بغيره ولا يدخل فيه أي ولا مجال لإدخال ودمج يوم في يوم فاليوم له ابتداؤه وله انتهاؤه وحدوده المعروفة فالبُراع ذلك وليؤخذ في الحسبان دون تجاوز أو تساهل بشأنه أوتجوز بخصوصه .

* ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا ـ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الزخرف: ٣٥)

أي وإن كل ذلك لَماَّ يأت أمر ربك يتلاشى ويتبدد مهما بلغ كمه وقدره أي لما يأت أجل ربك وموعد ربك وتزلزل الأرض على نحو مكثف ومضاعف يتحطم ويتهالك .

فإنه متاع الحياة الدنيا فهو عرض زائل لابقاء له ولا قيمة حقيقة له وعلى هذا فإن هنا نوع فصل صوتي مخفف وقد ذكر اللغويون أن "لمّا" بمعنى إلاّ [(١)] أي وإن كل ذلك إلاّ متاع الحياة الدنيا .

* ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ـ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ (البقرة: ٢٧٥) أي البيع والربا سيان .

ثم عقب رب العالمين على مقولتهم " وأحل الله البيع وحَرَّم الربا" فهـذا من تعقيب وتقرير رب العالمين الذي يجب أن يُمتثل ويؤخذ به .

ذلك بدلالة قوله بعد ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٥)

أي ومن عاد فينقم الله منه ومن عاد ثانية فإنه يخلف في جهنم

فهنا نوع فصل صوتي وسكت مخفف لتتمايز الحدود والفواصل وتتضح الدلالات والمقاصد[(٢)]

---

(١) راجع البحر ٩ / ٢٧٣ والزجاج ٤/ ٤١١ .

(٢) راجع وقارن البحر ٢ / ٧٠٧ - ٧٠٨ .

* ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ (المؤمنون: ٢٦)

أى قال رب انصرنى نصراً عزيزاً مؤذراً عاجلاً قوياً .

فإنى لا أجد مبرراً لتكذيبهم وخذهم وعاقبهم بما كذبون أى بإيذائهم الشديد لى والتماسهم الأسباب لذلك كل الالتماس وبشتى الطرق والحيل[١].

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا — فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾ (النازعات: ٤٢ – ٤٣)

أى فقل لهم وله أى لكبيرهم ورئيسهم فى أى شئ أنت من تذكرها واستفسارك عنها وإلام يصير بك الأمر من استذكارك لها .

ففى هذا معنى التبكيت له والتنديد به .

إنك لفى غفلة وفى باطل وضلالة وبغى وعبث وفسوق [٢]

"آيان مرساها" أى متى قيامها وأين مكانها وكيف حالها .

وقد ذكر اللغويون أن المعنى متى وقوعها وقيامها أى للزمان .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ — فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ — أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (الأنبياء:٩٧)

أى واقترب الوعد الحق وما إن تأت ساعة الصفر له تصدر الأمر لها بالمثول فإذا بالقيامة والساعة شاخصة أى من فورها أى قائمة ماثلة مرأى العين وإنه لتخطف أبصارُ الذين كفروا .

وكذا واقترب الوعد الحق وما إن تمثل القيامة على الساحة فإذا هى خاطفة أبصار أى لابصار الذين كفروا [٣].

وإنه ليأخذهم فزع وعويل وصراخ قائلين ياويلنا وتلج ألسنتهم ياويلنا

* ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا — وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ (النساء: ٢٩ - ٣٠)

(١) راجع وقارن البحر ٧ / ٥٥٧ .

(٢) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤٠٢ والفراء ٢٣٤/٣ والزجاج ٢٨١/٥ .

(٣) راجع وقارن البحر ٧ / ٤٦٨ والفراء ٢١١/٢-٢١٢ والزجاج ٤٠٥/٣ .

أى ولا تقتلوا أنفسكم أى ولا تلقوا بها فى عالم الشهادة أو الاستشهاد وأنتم فى حل عن ذلك وفى استطاعتكم صدّ ورد العدوان بدون ذلك وفى سعة وفسحة من ذلك

ومن يفعل ذلك أى يقتل نفسه دون أمر قهرى شرعاً فسوف نصليه ناراً أى قاسية حارقة شديدة الغليان [١].كما قال سبحانه

﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ (آل عمران: ١٤٠)

أى للحالات الحرجة والظروف القاسية والضرورية الصعبة والعصيبة والعَصيّة والقصوى للغاية .

* ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ـــ سَبْعِينَ رَجُلًا ـــ لِّمِيقَٰتِنَا ﴾ (الأعراف: ١٥٥)

أى واستعرض موسى قومه استعراضا فى اختيار وانتقاء لهم فإذا بــه قد اصطفى سبعين رجلاً أى منهم وإذا به قد جاء بهم لميقاتنا [٢].

فهنا فواصل وسكتات لطيفة خفيفة .

* ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ -أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾
(آل عمران:١٣٠)

أى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أى ألبتة أوفى شئ وها أنتم أى إنا نقول لكم ذلك ونؤكد عليكم بصدده وها أنتم تأكلونه أضعافاً مضاعفة وكــأنكم فى حالة عناد مع تعاليم رب العالمين أو انكار ودحض لها[٣].

فهنا نوع فصل صوتى مخفف .

فقوله سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ـــٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾

معناه إنا نقول لكم لا تأكلوا الربا أى فى شئ نقول لكم ذلك وهــا أنــتم تأكلونه أضعافاً مضاعفة أى بأقصى ما فى جهدكم وطــاقتكم دن تــورع أى تبلغون فى الإثم والجرم أقصاه دون توقف عند حد فأكل الربا غير جــائز لا

---

(١) راجع وقارن البحر ٣ / ٦١١ والزجاج ٢/٤٤ .
(٢) راجع وقارن البحر ٥ / ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩ والفراء ١/٣٩٥والزجاج ٢/٣٧٩- ٣٨٠ .
(٣) راجع وقارن البحر المحيط ٣ /٣٣٩ – ٣٤٠ .

فى قليل ولا فى كثير أى وها أنتم تصرون على مخالفة توجيه رب العـالمين بل وتتمادون وتستغرقون فى المخالفة وفى ارتكاب المآثم[١].

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ (البقرة: ٢٧٥) أى جميعه وكله قليله وكثيره بكافة وجميع صوره وضروبه .

* ومثله قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٦)

أى إنا نقول لك لا تبذر أى فى شئ ولا فى قليل ولا فى كثيـر وهـا أنت تُبَذِّر تبذيراً أى على أشدّه .

والتبذير الانفاق فيما لا يباح ولايحل شرعا بخـلاف الاسـراف فإنـه مبالغة وإفراط فيما هو حلال شرعاً أى فى اقتناء الكماليات ونحو ذلك وفيمـا لا ضرورة إليه وما يمكن الاستغناء عنه [٢].

فهنا نوع فصل صوتى خفيف ولطيف .

* ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فصلت: ١١)

أى فقال لها وللأرض ائتيا (بلفظ الأمر) أتأتيا طوعا أو كرها بمعنى هل تأتيان طوعا أو كرها أى أم كرها فلفظ هل للعرض عليها ولتعلما أنه لأمر كما وشأنكما من الاتيان والطواعية والانصياع لا سبيل لرده والامتناع عنه قالتا أتينا طائعين [٣].

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف بين لفظ ائتيا وبين ما بعده .

﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ (القمر: ٥٢)

أى وكُلُّ جرم ومنكر قد ارتكبوه وكل ذنب قد اقترفوه ولم يدعوا شيئاً من المآثم لم يأتوه فهم قد لَجُوا فى جميع أبواب وضروب المآثم والإجرام .

"فى الزُبر" وإنه لهو مدون فى الزُبر أى فى الكتب على نحو دقيق

---

(١) راجع وقارن الزجاج ١ /٤٦٨ .
(٢) راجع وقارن البحر٧ / ٤٠ والزجاج ٣ /٢٣٥ .
(٣) راجع وقارن البحر٩ / ٢٨٨ والزجاج ٤ /٣٨١ .

محكم وسيحاسبون عليه حساباً عسيراً [١] ففى كتب العهود الإلهية عهد بالطهارة وعدم ارتكاب المآثم .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ـ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا ـ أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ـ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ (البقرة: ٩٠) أى بئسما اشتروا به أنفسهم لأنهم قد ارتكبوا عدة آثام أى وأنى لهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً ظلما وعدوانا وتطاولا واستكباراً واتباعا للشهوات دون داع أو حاجة ضرورية وملحة وفى هذا معنى التنديد بهم والتبكيت لهم .

ومنكرين معترضين على أن ينزل الله من فضله حاقدين على من يشاء من عباده أى على مَنْ أكرمه الله بالنبوة كيف له ذلك [٢].

* ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ـ قَالَ أَـ وَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٨)

أى أنعود فى ملتكم بمعنى أترغموننا على العودة فى ملتكم ولوكنا كارهين أى متضجرين على غاية البغض لها والتبرؤ منها أى أتعيدوننا فى ملتكم رغم أنوفنا .

فلفظ " أ " استفهام إنكارى فيه مواجهة ومجابهة أى أيكون ويحدث منكم معنا هذا مها كنا متضجرين ما هذا العتو وما ذاك الطغيان والغرور الذى تمتلئ به جنياتكم .

فلفظة " أ " لفظه مستقلة قائمة بذاتها ونفسها [٣] فهى للاستفهام .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف ووقف مخفف تُفْصَل به عما بعدها .

* ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾(الواقعة: ٤٧ ـ ٤٨) أى أنحن وآباؤنا الأولون

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤٩ .
(٢) راجع وقارن البحر ١ / ٤٨٨ والفراء ١ / ٥٦ – ٥٨والزجاج ١ /١٧٢ .
(٣) راجع وقارن البحر ٥ / ١١٢ – ١١٣ والزجاج ٢ /٣٥٥ .

بمعنى أنحن فضلاً عن آبائنا الأولين وفى هذا مبالغة فى الانكار والاستغراب والاستبعاد .

فلفظ " أ " لفظه قائمة بذاتها فهى همزة استفهام أو ألف الانكار (١).

ويشير إلى هذا قوله سبحانه :

﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ (النمل:٦٧– ٦٨) وهذا طريقه مزج عدة تراكيب فى تركيب واحد (٢).

● ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ قَالَ أَ— وَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء: ٢٩ - ٣٠)

أى أتسجنونى (للاستفهام) أو أ أكون من المسجونيين ولو جئتكم بشئ مبين أى بدليل بيّن واضح على أننى مرسل إليك من لدن رب العالمين وأن رب العالمين هو الإله فى هذا الكون وذلك الوجود وتلك الحياة وأنه ربُكم ورَبّ آبائكم الأولين (٣).

ومن هذا الباب قوله سبحانه "

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ –أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ (طه: ١٥)

فهذا مضمونه أن الساعة لآتية أكاد أظهرها غير أنى أخفيها لتجزى كل نفس ما تسعى (٤).

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

● ومن هذا الباب ﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ — مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان: ٣٤)

أولئك شر أى محض وأسوأ مكانا (٥).

﴿ هَٰذَا يَوْمُ— لَا يَنطِقُونَ — وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ— فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (المرسلات: ٣٥ - ٣٦)أى

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٨٦ والفراء ١ / ٩٨ .

(٢) راجع فى هذه المسألة اللغوية كتابنا من أبواب البلاغة النحوية والدلالية فى القرآن الكريم .

(٣) راجع وقارن البحر ٨ / ١٥٢ .

(٤) راجع وقارن البحر ٧ / ٣١٨ – ٣٢٠ والفراء ١٧٦/٢ والزجاج ٣٥٢/٣ .

(٥) راجع وقارن البحر ٨ / ١٠٤ – ١٠٥ والزجاج ٤ / ٦٧ .

فكيف يعتذرون إذ لايؤذن لهم بمجرد النبس بكلمة واحدة ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (المؤمنون: ١٠٨) "هذا يوم" إحقاق الحق وابطال الباطل وقمع وإذلال الطاغين والانتقام منهم فى سيطرة تامة عليهم وكبتٍ لهم ولذا تراهم لا ينطقون [١] ولا يؤذون لهم فى الاعتذار ولا فى مجرد النّبس بكلمة واحدة فكيف يعتذرون وقد أقيمت عليهم الحجة وأخذوا حظهم من الوقت للإنابة ولكن دون جدوى .

فهنا نوع فاصل أو فواصل صوتية مخففة لتتمايز بذلك المعانى ويكون بينها حدود وفواصل.

* ومن هذا الباب قوله سبحانه

﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾(النساء: ١٧٦) أى فأنى لكم أن تضلوا فاحذروا أن تضلوا بعزوفكم عما بيّن الله لكم وعدم أخذكم أنفسكم به وذكر اللغويون أن هناك "لا" مضمرة [٢] .

* ﴿ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٨) أى ولايزنون فإن الزنا فاحشة وجرم كبير فيجب على الناس أن يجتنبوه ومن يلتزم بذلك يأخذ بهذا التوجيه نفسه يحظ بمكرمة ومثوبة الله وبطيب الحياة .

ومن يرتكب ذلك الجرم يلق آثاما [٣] وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (يونس: ١٨)

أى قل أتنبئون الله بما لايعلم – إنه ما من شئ فى السماوات ولا فى

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٣٧٨ والفراء ٢٢٦/٣ والزجاج ٥ / ٢٦٨ .
(٢) راجع وقارن البحر ٤ / ١٥٢ – ١٥٣ والزجاج ٢ / ١٣٦ – ١٣٧ .
(٣) راجع وقارن البحر ٨ / ١٣٠ والزجاج ٤ / ٧٢ .

الأرض إلا ويعلمه سبحانه وإنه لا يغيب عنه شئ فى السماوات ولا فى الأرض وهو سبحانه وحده القائم عليهما وبأمرهما سبحانه وتعالى عما يشركون (١).

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ — ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ (الزمر: ٣٠ - ٣١) أى إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم أيها المعاندون الشاكسون لميتون وإنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون أى تتغابنن وتتشاكسون (٢).

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ — أَسِحْرٌ هَـٰذَا — وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴾ (يونس: ٧٧) أى أتقولون للحق لما جاءكم إنه سحر وأن الرسول ساحر أسحرٌ هذا ؟ وأهذا ساحر؟ حقا كما تدّعون

إنها آيات رب العالمين وإنه رسول رب العالمين وكيف يتسنى أن يكون هذا سحر (وهو فلاح) فى الوقت الذى فيه لا يفلح الساحرون إنهم يقولون ذلك وهم يعلمون أنه لا يفلح الساحرون(٣).

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ — مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت: ٥٢) أى قل أرأيتم أن كان من عند الله ولهو من عند الله ثم كفرتم به أى بعد أن تعقلتموه ودرستموه هل تظنون أنه سبحانه سيترككم وشأنكم وعلى ما أنتم عليه وفيما أنتم فيه من باطل وضلاله وشقاق ومحادة آمنين مطمئنين دون أن يصب عليكم عذابه ويُنزل بكم غضبه وعقابه وسخطه (٤).

---

(١) راجع وقارن البحر ٦ / ٢٧ – ٢٨ .
(٢) راجع وقارن البحر ٩ / ١٩٨ – ١٩٩ .
(٣) راجع وقارن البحر ٦ / ٩١ والزجاج ٣ / ٢٩ والفراء ٤٧٤/١ .
(٤) راجع وقارن البحر ٩ / ٣١٦ .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ (فصلت: ٣٤) أى و لا تستوى الحسنة بل إنها متفاوتة فى ذاتها ونفسها و لا تستوى السيئةُ بل إنها لمتفاوتة فى طبيعتها وسُوئها .

و لا تأتى السيئةُ مع الحسنة فى شئ [١].

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ ﴾ (غافر: ٥٨) أى وما يستوى الأعمى ولا البصير ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ .

وكذا وما يستوى الأعمى والبصير فذلك درجات ومراتب .

ولا يستوى الذين لم يؤمنوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يستوى المسئ والمُحْسِن أى لا يستوى هذا مع ذاك [٢].

* ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الزمر: ٢٢) أى وويل لليائسين من ذكر الله وللعابثين بذكر الله وللاهين والغافلين عن ذكر الله .

وأنى للإنسان أن ييأس من ذكر الله [٣].

* ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: ٣) أى إن ذلك الصنيع قد كبر مقتاً أى عظم عند الله فأنى لكم أن تقولوا مالا تفعلون .

فهذا أشدّ ما يبغضه سبحانه

فلْترتفعوا بأنفسكم عن أن تقولوا ولتحذروا من أن تقولوا ما لا تفعلون أى أن تقولوا الحق وتفعلوا خلافه [٤]وأن تقولوا للناس مالا ترضونه لأنفسكم.

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ٣٠٦ .
(٢) راجع وقارن البحر ٩ / ٢٦٨ .
(٣) راجع وقارن البحر ٩ / ١٩٤ .
(٤) راجع وقارن البحر ١٠ / ١٦٤ .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (غافر: ٣٥) أى ساء وضعاً.

● ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (النور: ١٧) أى فأنى لكم أن تعودوا لمثله أبداً أى أبد الدهر ومدى الحياة فاحذروا أن تعودوا لمثله فى أى وقت من الأوقات إلى الأبد إن كنتم مؤمنين صادقين وإن تطلعتم إلى الإيمان الصدوق النافع .

"ويربا بكم عن أن تعودوا لمثله" فهو سبحانه يربأ بهم عن هذا فلتحذروا أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين أى أصحاب ثقة ويقين فى شرف وطهارة عرْضِ أهلِ بيت النبوة [(١)].

"يعظكم الله " أى يرسخ من أقدامكم فى باب اليقين ويطمئن من قلوبكم ويوقظكم لمواجهة الفتن ويزكيكم ويطهركم .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

● ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩٦) أى فما أسوأ وما أبغض السيئة وعلى رأسها الشرك [(٢)].

﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة: ٢٧٥) أى ومن عاد فينتقم الله منه (كما فى المائدة /٩٥) ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

فهذا مبدأ شرعى فى باب المؤاخذة والمجازاة [(٣)]وفى هذا تنديد بالسيئة وبأصحابها .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (الحجر: ٧)

---

(١) راجع وقارن البحر ٨/ ٢٣ .

(٢) راجع وقارن البحر ٧/ ٥٨٣ .

(٣) راجع وقارن البحر ٢ / ٧٠٨ – ٧٠٩ والبحر ٤ /٣٦٨.

هذا مضمونه أى لو أنك تأتينا بالملائكة أى رسلاً — إنك إن كنت أى لو كنت من الصادقين لتأتينا بالملائكة

أنك ماتكاد لتأتينا بالملائكة

وإنه لَوْ أنك ما تأتينا بالملائكة أى كرسل عذاب باطشين بنا لَصَمَّمْنا على رأينا وثبتنا عليه من لزوم الاتيان بهم لكى نصدقك ولم نؤمن إلا بالاستجابة لمطلبنا (١).

وعلى هذا فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف كما أنه من باب مزج عدة تراكيب فى تركيب واحد .

• ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ — إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ (النساء: ١٤٨)

أى فلا يحق لأحد شرعا أن يجهر بما هو سوء من القول إلا مَنْ ظُلم أى من أنتهكت حرمته ولم يَجِدْ بُداً من الإعلام له إلا بذلك .

• ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ — فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (القصص:٧٤) أى ويوم يناديهم يسيطر عليهم الخزى والذل والهوان وتعلوهم الكآبة ويومَ يناديهم ما أشده وما أقساه من يوم ويومَ يناديهم إذ بهم يحضرون بين يديه سبحانه فإذا به سبحانه يقول لهم أين شركائى (٢).

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

• ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ — لِمَن يَرَىٰ ﴾ (النازعات: ٣٦) أى وإنها لعبرة وموعظة وذكرى لمن يرى (٣).

• ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥ — أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ (النساء: ١٧١) سبحانه أى ما أنزهه تعالى وما أبرأه وما أطهر ساحته تعالى فما أبعده وما أبرأه عن أن يكون له ولد .

---

(١) راجع وقارن البحر ٦ / ٤٦٧ .
(٢) راجع وقارن البحر ٨ / ٣٢٢ .
(٣) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤٠١ .

فأنى يُظَنُّ أن يكون له ولد (١).

• ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ (البقرة: ٢٠٦) أخذته العزة أى الأنفه وامتلأ عُنْفاً وكبراً استبد به الإثم .

"بالإثم" أى وهمّ بالإثم أى على مرأى ومسمع من القوم وأصر على الإثم وتمادى فى الإثم واستغرق فيه (٢).

واشتد تَشَبُّثه بالإثم وتلبسه به كما قال سبحانه " ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ (عبس: ٤٢)

• ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ﴾ (يوسف: ١٠٠)

أى فهوسبحانه يتلطف لما يشاء ويصل لما يشاء ويهيئ الأجواء لما يشاء (٣).

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ (الأعراف: ١٦٢) أى فبدل الذين ظلموا ما قيل لهم وافتروا قولاً وقالوا قولاً من عند أنفسهم غير الذى قيل لهم (٤).

وأنى لهم أن يقولوا قولا غير الذى قيل لهم .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

• ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ﴾ (الحج: ٦٧)

أى لكل أمة جعلنا منسكا سويا حقا قويما طاهراً طيباً كريماً عزيزاً وأما ما عليه هؤلاء أى هذا الجيل من أهل الكتاب من يهود ونصارى فإنهم هم ناسكوه أى مُبْتَدعوه ومُخْتَلقوه من عند أنفسهم فلا تغتر بما هم عليه أى

---

(١) راجع وقارن البحر ١ / ٢٩٦ .
(٢) راجع وقارن البحر ٢ / ٣٣٢ - ٣٣٣ .
(٣) راجع وقارن البحر ٦ / ٣٢٩ .
(٤) راجع وقارن البحر / .

بإقامتهم عليه فإنهم على باطل وضلاله فهو عادة وليس تعبدا شرعياً بدلالة السياق (١).

وهذا الشاهد يمثل أصلا أصيلا لهذا الباب أعني باب الفصل الصوتي.

* ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا ــ عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ﴾ (الأعراف: ١٦٦) أي فلما عتوا أي تجبروا وتكبروا في فظاظة وغلظة ولم يقلعوا ولم يرتدعوا عما نهوا عنه وتمالكهم ما تمالككم من شدة التشبث بالمأثم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فكانوا (٢).

* ﴿ إِنَّهُمْ ــ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة: ٩) أي إنهم ما أسوأهم وإنهم لعلى أسوأ وأرذل ما يكون وإنه قد ساء ما كانوا يعملون (٣) فإنه قد ساء ما كانوا يعملون .

فهنا نوع فصل صوتي خفيف لطيف .

* ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ــ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (الزمر: ٧) أي وإنما يدعوهم إلى الإسلام وإن تشكروا يرضه لكم (٤) أي يُرَوِّضه لكم ويحببه إلى نفوسكم .

فهنا نوع فصل صوتي خفيف لطيف .

* ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا ــ قَلِيلًا ــ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ (البقرة: ٤١) فإنه مهما تعاظم وعلا أمره يكن قليلا وستجدونه قليلاً

فهنا نوع فصل صوتي خفيف لطيف .

وإياي فاتقون" أي أنا وحدي صاحب الملك والسلطان فاعبدون واحذروا عزة جانبي وإباء نفسي وقوة بطشي إذا ما أشركتم بي فإني أن الرزاق المتين والمجير المغيث والغالب الناصر .

---

(١) راجع وقارن البحر ٧ / ٥٣٤ والفراء ٢ /٢٣٠ .
(٢) راجع وقارن البحر ٥ / ٩٦ .
(٣) راجع وقارن البحر ٥ / ٣٧٨ .
(٤) راجع البحر ٩ / ١٨٦ – ١٨٧ والفراء ٢ /٤١٥ .

"ولا تشتروا بآياتى ثمنا " أى ولا تتنازلوا عن تعاليم آياتى ولا تتخلوا عن تعاليم آياتى فى مقابل هذا الثمن الذى مهما عظم فى أعينكم ثمن بخيس خسيس كما قال سبحانه [١].

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ (البقرة: ٨٦)

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٦)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٧٧) أى وتخلوا عن الإيمان

﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ (البقرة: ٩٠) أى ما أسوأ ما باعوا به أنفسهم إنه ثمن بخس زهيد خسيس .

* ﴿ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ (الأنعام: ٩٤)

أى مطرحا وراء ظهوركم

وها هو مطرح وراء ظهوركم هل تقدرون منه على شئ أو على حوزته فى شئ .

* ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾(المائدة: ٧٧)

أى لا تقولوا ولا تُرَدِّدوا غير الحق ولا تتبعوا غير الحق ولا تعتقدوا غيرَ الحق إنكم تقولون غيرَ الحق .

وأنى لكم أن تقولوا غيرَ الحق [٢] الثابت والمقرر شرعا .

---

(١) راجع وقارن البحر ١ / ٢٨٨ وراجع البحر ١ / ٢٨٤ والزجاج ١ / ١٢١ والفراء ١/٣٠ .

(٢) راجع وقارن البحر ٤ / ٣٣٥ .

"لا تغلوا" أى لا تغالوا و لا تبالغوا فى طغيان وفظاظة وغلظة .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

وفى موضع آخر قال سبحانه

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ (النساء: ١٧١)

* ﴿ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾ (المائدة: ٤٩) ولتحذرهم من أن يفتنوك عن بعض ما أنزل إليك وأنى لهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل إليك والله رقيب وحفيظ .

ويفتنوك أى يلفتوك .

* ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ (النساء: ٦٤) أى وإنه ليطاع ممن كرمهم الله ورضى عنهم بإذن الله

* ﴿ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ ﴾ (آل عمران: ١١١) أى لن يضروكم أى فى شئ ولن يصل إليكم منهم إلا أذى ولن ينالكم منهم إلا أذى أى أمر عرضى أى دون أن تحدث لكم فجيعة .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ (المزمل: ٢٠) تجدوه هو أى ذاته ونفسه

"خيراً " أى وليكون خيرا ولترونه خيرا وقد ازداده خيراً أى وافرا كثيراً عميقا غامراً فالله قد نمّاه وصار أعظم أجراً .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف . [1].

* ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ (النساء: ٤٨) أى إن الله لا يغفر ذلك ويأبى أن يشرك به وكذا إن الله لا يغفرُ وهو يأبى ويبغض أن يشرك به وكذا فأنى أن يشرك به.

---

(١) راجع وقارن البحر ١ / ٥٦٠ .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف " إن الله لا يغفر "

وقوله أن يشرك به فيه معنى التنديد .

● ﴿ وجعلنى مباركاً – أينما كُنت ﴾ (مريم ٧١)

أى وحفظنى وأمّننى أينما كُنت أى مهما أحدقت بى الأخطار والشرور والمكر والإحتيال ورزقنى رزقا طيبا أينما كُنت أى مهما كان ما حولى مُجْدِبًا أو غنًّا أو مُغلَق المنافذ والأبواب .

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ — عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ (العلق: ٩ - ١٠) .

أرأيت الذى ينهى عن المنكر كيف يصنع وكيف يتصرف وكيف يلهو فى صلاته ألا يُجْدِر به أن يكون عَبْداً حقيقياً خاشعاً خاضعاً لله ربّ العالمين إذا صلّى .

وهذا المعنى لا يتأتى إلاّ بالفصل الصوتى كما يلاحظ فى ألسنة بعض القراء فى الإذاعة .

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ —لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ (النحل: ٧٨) أى والله هو الذى قد أخرجكم فعملية إخراج الأطفال فى حد ذاتها آية من آيات الله ترتبط بالقدرة والحكمة الإلهية (وإن شاء حَبَسكُم هناك ولم يخرجكم من بطون أمهاتكم وكظم أنفاسكم) .

وعملية الانتقال بهم إلى حالة التأمل والتفهم والمعايشة والاستجابة وتفتيق أجواء القلوب والحواس لتمارس دورها فى الحياة آية أخرى .

وقد كنتم لا تفقهون شيئاً ولا تعلمون شيئاً أى بُلَهاء لا تعقلون ولا تستوعبون شيئاً فإذا به يمنحكم العلم والفقه (وإن شاء ختم على قلوبكم) .

وهو الذى جعل لكم السمع والأبصار وإن شاء عطّل حواسكم [١].

● ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ — ءَانِفًا ﴾ (محمد:١٦)

---

(١) راجع وقارن البحر ٦ / ٥٧٤ .

أي قالوا للذين أوتو العلم ماذا قال بمعنى أى شئ قال (إنكار واستخفاف)

إنه قال ماقال آنفا أى سابقا وقبل ذلك فهو كلام مكرر ولم يأت بجديد وكذا وأنه قد قال قولا آنفا أى يبعث على الأنفة أى الاشمئزاز والغضب والاستياء وفيه تعنيف لنا .

فهنا نوع فصل صوتي خفيف لطيف .

وذكر اللغويون أنه نصب على الحال [١] أو على الظرف .

* ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (المزمل: ٢٠)

هذه الآية يتأتى فيها كون هنالك فاصل صوتي خفيف لطيف أى تجدوه عند الله هو .

كما يتأتى فيها كونها مركزية أى مشتركة بين ما تقدمها وما تأخر عنها .

أى وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو — ثم يقرأ خيراً وأعظم أجراً ثم يعاد تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً .

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ٤٦٧ – ٤٦٨ .

مبحث " لا " التى قيل بزيادتها فى القرآن الكريم[١]

* ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (الأنبياء: ٩٥) أى وحُرِّم على قرية أهلكناها أن تعود وترجع إلى الحياة ثانية فلتعلموا ولتوقنوا أنهم لا يرجعون فإنهم قد حُبِسُوا لدينا وحُجِر عليهم عندنا .

وكذا حُرِّم على قرية أى طاغية ظالمة أو آثمة باغية قد أتى عليها - الرجوع والعود للحياة ثانية .

فإنا قد أهلكناها أى الاهلاك الأكبر والأشد بموعد وبأجل سابق قد قُضِيَ أمرُه من أول الزمان ولا سبيل للعودة والرجوع فيه .

فلتعلموا ولتوقنوا أنهم لا يرجعون .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف وليست لا زائدة أو صلة كما يظن[٢].

* ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠٩) هذا مضمونه وما يشعركم أنها إذا جاءت أنهم يؤمنون إنهم لايؤمنون[٣].

وهذا يتضمن معنى الاشادة بأهل الحس الإيمانى المرهف أى وما أشْعَرَكم وما أعلمكم بأمرهم وشأنهم ومواقفهم إنهم حقا لا يؤمنون (فهؤلاء فى تفهم الأمر وحال القوم على طوائف) .

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الأنعام: ١١٠) فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

---

(١) هذا مبحث أصيل فى باب الفصل الصوتى .

(٢) راجع وقارن البحر ٧ / ٤٦٥ - ٤٦٦ والفراء ٣٥٠/١ ، ٣٧٤ ، ٢١١/٢ والفراء ٣ / ١٣٧ - ١٣٨ .

(٣) راجع وقارن البحر ٦١٣/٤ - ٦١٦ والفراء٣٥٠/١، ٣٧٤، ١٣٧/٣- ١٣٨ .

وإنا لنذرهم فى طغيانهم يعمهون حتى يصادفهم أجلهم الأكبر والعام

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٤)

أى أولو كان آباؤهم كما يعتقدون ويتوهمون أنهم يعقلون شيئا أو يهتدون إنهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف وليست "لا" زائدة أو صلة كما يظن [١].

وكذا أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون فهذا وجه آخر فالهمزة للاستفهام الإنكارى .

وذلك كما فى قوله سبحانه

﴿ أ ــ وَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٨) أى أ- ولو كنا فى غاية الضجر والضيق والاشمئزاز والإنكار كما قال سبحانه .

﴿ أَوِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ (الواقعة: ٤٧ ــ٤٨) أى أنحن وآباؤنا الأولون (بالاستفهام) .

* ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ــ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (الحديد: ٢٩)

أى لئلا يعلم أهل الكتاب أنهم يقدرون على شئ من فضل الله .

بمعنى إنا قد اصطفينا الرسول الخاتم من العرب الأميين كما كرمنا أهلَ إبراهيم مكرمة لهم ولئلا يعلم أهل الكتاب أنهم شَعْب الله المختار كما يَدَّعون وأنهم يحظرون على فضل الله دون أن يصل إلى غيرهم أو تكون النبوة فى غيرهم.

فليعلموا وليوقنوا ولتستوثقوا ألاَّ يقدرون أى أنهم لا يقدرون أى لم ولن يقدروا وأنه لا يقدرون على شئ من فضل الله أى لا يحذرون عليه مهما كثفوا من قدراتهم وطاقاتهم وعزمهم وتصميمهم وقويت إرادتهم واشتد تشبثهم

(١) راجع وقارن البحر ٤ / ٣٨٦ .

بأفكارهم والعمل بها والقيام عليها ومهما كانت ادعاءاتهم وتقولاتهم فإنها مكذوبة على الله .

فلتستوثوا من أن الفضل بيدى الله وحده .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

وليست " لا" من لفظ لئلا زائدة كما يظن [١] أو لمجرد التوكيد

فهذا فيه كَبْت لهؤلاء الضالين ودحض لمزاعمهم وافتراءاتهم الكاذبة .

وفيه إلقاء باليقين فى قلوب العرب الأميين هم ومن حولهم فى أن الله وحده هو المُقَدِّر للأمور وهو صاحب كل فضل ونعمة ومكرمة وأن ليس لهؤلاء من منزلة أو مكانة خاصة عند الله كما يَدَّعُون كما قال سبحانه .

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(البقرة: ١٠٥)

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾(البقرة: ١٠٩)

﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(آل عمران: ١١٩)

• ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾(الزمر: ٤٣)

أى اتخذوا من دونه شفعاء (أأ أحباراً ورهبانا)

قل أَوَلو كانوا يملكون شيئاً أو يعقلون .

إنهم أى فى حقيقة ونفس الأمر لا يملكون شيئاً ولا يعقلون .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

وليست " لا " زائدة كما يظن وإنما هى متأصلة ومن بِنْية التركيب وصميم الكلام [٢] والقول .

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ١١٧ والفراء ١/٣٧٤، ٣/١٣٧ – ١٣٨ والمحتسب ١/ ١١٦ والزجاج ٢/ ١٣٧ .

(٢) راجع وقارن البحر ٩ / ٢٠٧ – ٢٠٨ .

وكذا أيتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون فهذا تشدد وعنت وتعصب أعمى .

الهمزة فيه للاستفهام وبعدها لفظ "ولو" هكذا (أ - ولَوْ) .

* ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (الواقعة: ٧٥ - ٧٦) أى فلا أقسم لأن الأمر لا يحتاج فى التأكيد عليه إلى قسم .

ولكنى أقسم حتى لا أدع مجالاً للمراوغة يومَ الدين بين يدى الحساب ولإقامة الحجة الدامغة على القوم .

فليست لا زائدة أو صلة كما يظن(١) أو لمجرد التوكيد .

كما قال سبحانه ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (الرحمن: ٣٩)

ثم قال : ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ (الصافات: ٢٤)

فهو يُسأل سؤال تبكيت وتقريع وإذلال وامتهان ولا يُسأل سؤال تَعَرُّف واستفسار .

﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص: ٧٨)

﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ ﴾ (هود: ٥)

* ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (لقمان: ٢١)

أى أو لو كان الشيطان يأمرهم بخير أو يملى عليهم خيراً أو يدعوهم إلى خير أو ما هو برّ ومعروف وإحسان وطهارة أو ما هو محمدة كلا إنه فى حقيقة ونفس الأمر يدعوهم إلى عذاب السعير أيضا .

ومع ذلك يتبعون خطواته .

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٩٠ - ٩٢ والفراء ١٢٩/٣ والزجاج ١١٥/٥ والزجاج ١٣٧/٢ .

فهنا نوع فصل صوتي خفيف لطيف .

إنه لو كان الشيطان يدعوهم أى يؤكد لهم على أنه يدعوهم إلى عذاب السعير لاتبعوه لأيضا .

ولو كان النبى يدعوهم أى يؤكد لهم على أنه يدعوهم إلى ما فيه بّر ورحمة ومغفرة لعصوه وتمردوا عليه ورفضوا اتباعه وأبو إلا عصيانه كما قال سبحانه (١)

﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ﴾(الأعراف : ١٤٦)

﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (التوبة: ٦٧)

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (البقرة: ١١)

* ﴿ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (فاطر: ٦)

أى إنما يدعو حزبه إلى الفحشاء والمنكر واللهو واللعب ليكونوا من أصحاب السعير .

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ ﴾ (فاطر: ٦) "عدو" أى حقيقيا وعدو لدودا فاتخذوه عدوا " أى بحق ولا تتخذوه صديقاً فكونوا له بالمرصاد وفى أشد الحذر منه .

﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ ﴾(النور: ٢١)

أى فاليعلم ذلك من نفسه علم اليقين وأن مصيره السعير ومن يتبع خطوات الشيطان أى يورده اليحموم وهو فى طريقه إلى الجحيم لا محالة فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر .

وكذا أيتبعونه ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير بمعنى حتى

---

(١) راجع وقارن البحر ٨ / ٤١٨ .

ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير إنه أمر يدعو إلى الدهشة والغرابة ولا يكون من ذى لب أو عقل فى شئ .

* ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ـ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ـ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (البقرة: ١٥٨) فلا جناح عليه أى فلا صدقة ملزمة أو إتاوة عليه مقابل أن يطوف بهما وقد أراد أن يطوف بهما ومن تطوع أى بذل صدقة أى تلقاء نفسه ومن قِبَل وذاته ونفسه فهو خير له .

وكذا فلا جناح عليه أى فلا حرج ولا إثم عليه بل إنه ليلزمه ويجب عليه أن يطوف بهما فإنهما من شعائر الله ومن تطوع أى تقوى فى تطوافه فهو خير له أى قد قويت إرادته الإيمانية (١) ولله الحمد والمنة .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

* ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ـ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ ﴾ (البقرة: ١٠٢)

أى أن مردة الجن ومردة الإنس يعلمون الناس من حولهم السحر أى مافيه زيغ وباطل وضلالة وكذب وافتراء وتَعَدٍّ .

وإنه قد حَرَّفا وغيَّرا وبَدَّلا ما أُنْزِل على الملكين ببابل هاروت وماروت .

وما أعز وما أكرم وما أطيب وما أسمى ما أُنْزِل على الملكين ببابل هاروت وماروت فإنه قد تنزلت عليهما أذكار طيبة كريمة لطيفة طاهرة بريئة من كل زيغ ومن كل بغى(٢) فإنها ملائكة الله وإنه تنزيل الله الحق الطاهر الطيب العزيز الكريم .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

---

(١) راجع وقارن البحر ٢ / ٦٥ – ٦٧ والفراء ١/٩٥ والزجاج ١/٢٣٣ .
(٢) راجع وقارن البحر ١ / ٥٢٤ – ٥٢٧ والفراء ١ / ٦٤ .

وقد كانا ما يعلمان من أحد هذه الأذكار حتى يقولا إنما نحن فتنة أى سنتخذ فتنة وقد جئنا على رأس فتنة فاستمسك بهذه الأذكار كما تتلى عليك وكما تعلمتها منّا دون تحريف وَإلاّ فإنك ستزوغ وتضل .

وهذا الشاهد هو يمثل أصلا أصيلا فى هذا الباب أعنى باب الفصل الصوتى ويلقى الضوء الكاشف على عظم أهميته ومدى ضروريته .

مبحـــث ثالـــث

* ومما هو عن هذا الباب قوله عز وجل :

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾(التوبة: ٤٧)

أى ما زادوكم شيئاً أى ماكان منهم إضافة أى قوة إضافية ومدد لكم – إنكم لا ترون منهم ولا تصادفون منهم إلاّ خبالاً أى اضطراباً وتحبطا وخلخة للصفوف وعدم ثبات وعدم اتزان فلا صدق ولا إخلاص لديهم [١] ولا نبل ولا وفاء عندهم .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

إنهم ما يقاتلون إلا قتالاً خبالاً أى قتالاً فيه اختلاط وتخبط وعدم ثبات وعدم اتزان .

ولا ترى منهم إلا خبالاً .

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾
(الحجر: ٤٢)

أى إن عبادى بمعنى المؤمنين المتقين ليس لك عليهم سلطان ألبته أو فى شئ ألبته .

إنه ليس لك من سلطان الا على من اتبعك ولا يُضلّ إلاّ من اتبعك ولا نؤاخذ ولا نعاقب إلا من اتبعك فإنهم من الغاوين أى أن هذا الصنف هو الذى تجعل لك عليه سلطان[٢] وسيطرة وسبيلا ومدرجاً .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف

ذلك أن من يتبع الشيطان لا يكون إلاّ من الغاوين أى الضالين وأهل اللهو والهوى .

---

(١) راجع وقارن البحر ٥ / ٤٢٩ والزجاج ٢/ ٤٥٠ – ٤٥١ .
(٢) راجع وقارن البحر ٧ / ٨١ .

فلفظ عبادى " وعباد الرحمن " هم المؤمنون المتقون ولفظ العباد" هم عامة القوم أو الناس .

﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (يس: ٣٠)

وأما العبيد فهم العتاه المتمردون على قيم وتعاليم رب العالمين فى عتو فهؤلاء يؤاخذون على قدر ذنوبهم بدون زيادة .

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (آل عمران: ١٨٢) استبعدهم الطغيان والدنيا والنساء

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(فصلت: ٤٦)

أى أنه مع ذلك سيحاسبهم فى ضوء الحق والعدل الالهى ولن يتجنَّ عليهم كثيراً ولن يحملهم من الأثقال ما لا يستحقون أو مايكون فيه ظلم لهم فى ضوء الحق الإلهى [١] .

﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ (الحج: ١٩)

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل: ٩٩ - ١٠٠)

أى من دخلوا تحت أجنحته واستروحوا ساحته واستظلوا بظل أشجاره.

ومن يعتقدون فاعليته وأن له إرادة مع إرادة رب العالمين .

* ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (القصص:٨٦) أى وإنا ما ألقيناه إليك وما أنزلناه عليك إلا رحمة من ربك وما تحملته إلا رحمة من ربك .

فوجوده بين أيديهم وتلاوتهم له مصدر رحمة لهم أى هو رحمة فى حد ذاته [٢] .

أى وما كنت تتطلع وتسمو إلى أن تكون إماما ورسولا ونبياً وسيداً ورئيساً على القوم فى يوم ما ولكنها رحمة رب العالمين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ٣١٤ وراجع البحر ٣/٤٥٦ - ٤٥٧ .

(٢) راجع وقارن البحر ٨ / ٣٣١ والفراء ٢/٣١٣ .

ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ (القصص: ٨٥) أى جاعلك فى موقف مُشَرِّف ومشهود على رؤوس الخلائق والعالمين يوم الدين [١] .

• ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾(الكهف: ١٦)

أى وإذ اعتزلتموه لم تَسْلَموا من شرهم ومن أذاهم ومن مكرهم وكيدهم وتآمرهم .

ونبذتهم كافة ما يعبدون ولم تعظموا الا الله ولم تُقَدِّروا إلا الله ولم تعبدوا إلا الله أى واعتصمتم بالتوحيد الصدوق والخالص فياويلكم منهم فإن أردتم الأمن والعصمة والنجاة فأووا إلى الكهف [٢].

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف .

• ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (يونس: ٩٨) فولا كانت قرية كانت ظالمة عاصية وقد اجتاح العذاب ساحتها فلم تلبث أن آمنت ايمانا حقا صدوقا فإذا بنا قد رفعنا عنها العذاب فإذا بها قد نفعها أيمانها إننا لا نكاد ونرى على الساحة هذه الحالة وقوماً كذلك إلا قوم يونس ولا تكاد تتكرر هذه الحالة الفريدة [٣]

فإنا لم نكد نصادف أو نرى قوما آمنوا بحق لما جاءهم العذاب إلا قوم يونس.

فهنا سكتات وفواصل متلاحقة متتابعة .

---

(١) راجع وقارن الزجاج ٤ / ١٥٨ .
(٢) راجع وقارن البحر ٧ / ١٥٠ والفراء ٢/ ١٣٦ والزجاج ٣/٢٧٢ .
(٣) راجع وقارن البحر ٦ /١٠٧ – ١٠٨ والفراء ١/ ٤٧٩ والزجاج ٣ / ٣٤ .

مبحث رابع

ومما يراعى فيه الفصل الصوتى

" ولا – هم ينصرون "

فإنه مما يلحق بهذا الباب قال سبحانه

﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾(البقرة: ٨٦)

﴿ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾(الأنبياء: ٣٩)

﴿ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾(الدخان: ٤١)

﴿ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾(الطور: ٤٦)

﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴾(الروم: ٥٧)

﴿ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٦)

﴿ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴾(الأنبياء: ٤٣)

﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾(يس: ٢٣)

فالفصل بين "لا" النافيه ولفظ "هم" يجب أن يكون كافيا بينا متميزاً .

وذلك باعطاء الألف حقها من المد الطولى والعرْضى .

﴿ وَلَا ـــ هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾(البقرة: ١١٢)

﴿ إِذَا ـــ هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ (الروم: ٤٨)

﴿ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾(العنكبوت: ٦٥)

﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾(الروم: ٣٦)

﴿ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ (الزخرف: ٥٠)

﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾(الزمر: ٦٨)

﴿ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾(يس: ٢٩)

﴿ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ (يس: ٣٧)

فلا يصح ولا ينبغي النطق بهذا على صفة وصورة الكلمة الواحدة .

بل لا بد وأن يكون هنالك فصل صوتي على نحو بين واضح ومتميز في السمع .

ومما يتطلب فصلا صوتيا كافيا قوله عز وجل "

﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ (الذاريات: ١٣)

﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ﴾(غافر: ١٦)

فالفصل بين لفظ "يوم " ولفظ "هم" يجب أن يكون متميزاً بينا .

وكذلك لفظ "يَوْمَئِذٍ " يتطلب الفصل والتأني في نطقه وأدائه .

ومما يتطلب تمييزاً بين أصواته ووضع حدود وفواصل نطقية بينها

﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾(الانفطار: ١٦)

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾(نوح: ١٣)

﴿ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (يونس: ٣٥)

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(القلم: ٣٦)

فهذا تعجب مصحوب بالإنكار .

وكذلك قوله :

﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾(الطور: ١٦)

"أو لا " يجب فصلها على نحو متميز .

فهذا جميعه لا يصح النطق به على صورة ودفعة واحدة أو على صفة الكلمة واللفظة الواحدة .

ومما يتطلب إبانة وفصلاً صوتياً متميزاً فى أدائه وتخليصاً وعدم التباساً وعدم إضافة أو تكرير لبعض الأصوات دوما رواية .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة: ٥)

فالنون فى نعبد " نون الجمع أى جميعاً أنا وصحابتى وأهلى فيس فيه ما يسمع من العامة والمبتدئين " إياك أنا اعبد وأنا استعين " وإياك أنَعْبُدُ وأنستعين " وكأنه إنكار فهذا الا أصل له فهو خطأ ومثله

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا - تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن) يجب فصل لفظ تكذبان عما قبله أو عن لفظ " ما " قبله ولا يصح إلحاقها به .

وكذلك

﴿ وَلَوْ أَن ــــ مَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾(لقمان: ٢٧)

بفصل لفظ " ما " عن لفظ " أن "

فإنه يحب الحرص والعمل على نوع انفكاك بين الكلمتين فلا مجال ولا امكانية للنطق بلفظ أنا " هنا .

فهذا لا تسمح به اللغة وتأباه الرواية .

لذا يلزم ضبط صحة النطق بالفتحة والعمل على أن تكون قصيرة بحيث لا ينشأ عنها ألف تتصل بالنون بعدها .

فينبغى أن يكون هناك نوع سكت وفصل صوتى على الكاف من لفظ إياك " وفصلها وفصل حركتها عن النون بعدها من لفط " نعبد " .

ويمكن توجيه وتصحيح نطق المبتدئين بالوقف على الكاف بالاسكان وبذاته يتميز النطق لديهم وتمتاز هذه الكلمة عن تلك ولا تمازجها فى الصوت .

ومما يتطلب نوع فصل وتمييز وتحقيق وتمكين وعدم الخفة في أدائه .

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن)

فيجب فصل لفظ تكذبان " عن لفظ ربكما " فينطق بلفظه ربكما فى تأن وتؤده وعدم خلطه بما قبله أو مزج ما قبله به فلفظ "ما" ملحقة بلفظه فيجب إعطاء الألف من لفظ ربكما حقها فى التلفظ حتى لا يلحق لفظ ما بما بعه "رب" وليست نافيه حتى تلحق بلفظ تكذبان فيختل المعنى المراد أو يؤتى به على خلاف المقصود وهو ما تكذبان والعياذ بالله .

فلا سبيل لالصاق لفظ "ما" بلفظ "تكذبان" والنطق بها معها إذ هى من لفظ "ربكما" لا إنها نافية .

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾ (التحريم: ١١)

"ابْنِ لى" يؤدى بنوع فصل صوتى .

الباب الثانى

ظاهرة اللفظة المركزية والجملة والتركيب المركزى فى القرآن الكريم

إن الكلمة واللفظة أو الآية أى التركيب والجملة قد تكون مركزية فى سياقها وتركيبها بمعنى تكون مرتبطة بما تقدمها ومرتبطة فى الوقت ذاته بما تأخر عليها ولذا فإنه يلزم أن تُكَرَّر وتؤدى فى التلفظ والتلاوة والأداء مرتين.

مرة مع ما تقدم عليها وأخرى مع ما بعدها وذلك حتى يبرز التركيب على نحو دلالى معتدل مستقيم وكامل تام لاخلل ولا نقص ولا قصور فيه ولا بتر له وهذا ذو نمطين لفظى وتركيبى .

مبحث أول :

ومن الباب الأول أى من باب اللفظة المركزية قوله عز وجل :

﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف: ٢٦) فلفظة "ذلك" لفظة مركزية ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا " ولباس التقوى ذلك" ثم يقال : "ذلك خيرٌ " [١] أى وإنه لهو خير أى مصدر خير ومكرمة ومنحة من الله .

وفى هذا إشادة به وتمجيد وإعظام وإكبار له ولصاحبه فإنه الزّى الشرعى الذى ارتضاه رب العالمين والذى هو مكرمة ونعمة منه سبحانه لعباده المتقين وقبله قوله سبحانه :

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ (الأعراف: ٢٦) وقد أنزلنا أى قد جعلنا وقدّرنا وارتضينا "لباسا" مثل السروال العربى الذى يستر ما بين السرة والركبة وهذا هو اللباس الداخلى من الزى الشرعى للرجال .

"وريشا" أى وزيًا ولباسا خارجيا تتريشون به أى تتزينون وتتحسنون عند خروجكم من دوركم فهذا هو الزى الشرعى للرجال كما قرر رب

---

(١) راجع وقارن البحر٥ /٣٠ -٣١ والفراء١/ ٣٧٥ والزجاج٢ / ٣٢٨ - ٣٢٩ .

العالمين لا تجسيد ولا تجسيم فيه للعورة ولا كشف لها من خلاله وإنما فيه مواداة وستر كامل لها طيب كريم غير مجسد لها ولا مثير للغرائز [١] .

• ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التحريم:٧)

فلفظة "اليوم" لفظة مركزية مشتركة بين ما تقدمها وما تأخر عنها ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

" يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم "

"اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون " [٢] أى على نحو ما كنتم تعملون فإنا قد أخذنا أنفسنا بمبادئ الحق والعدل المطلق الذى لا سبيل للتسامح معه .

كما قال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (الانفطار: ٦) فلفظ "اليوم" مشترك بين ما تقدم عليه وما تأخر عنه .

وقال عز وجل ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (يوسف: ٩٢) فلفظة "اليوم" مركزية ولذا تؤدى مرتين هكذا :

"قال لا تثريب عليكم اليومَ "

أى لا تحامل عليكم ولا تضجر منكم

"اليومَ يغفرُ الله لكم "

أى اليوم وجبت وحققت لكم مغفرة الله ورحمته سبحانه فقد اعتذرتم وندمتم وثبتم إلى رشدكم [٣] .

• ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ ﴾ (الحديد: ٢٧) فلفظة "ورهبانية" لفظة مركزية ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

---

(١) راجع وقارن البحر٥ /٣٠ -٣١ والزجاج٢ / ٣٢٨ – ٣٢٩ .
(٢) راجع وقارن البحر١٠ /٢١٣.
(٣) راجع وقارن البحر٦ /٣٢١ – ٣٢٢ .

"وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية " أى رهبانية حقة قيمة كريمة مستقيمة .

" ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله " أى وقد ركبوا وارتضوا رهبانية ابتدعوها .

وإنا فى الأصل والأساس ما كتبناها أى ما كتبنا هذا التوجه عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فخرجوا بها عن إطارها الكريم السوى المستقيم إلى ما هو ابتداع واختلاق فهناك نوعان من الرهبانية .

رهبانية إيمانية أصلية طيبة كريمة مقررة من لدن رب العالمين.

ورهبانية شيطانية مبتدعة ومفتراة لا أصل لها فى دين رب العالمين[١].

وهذا الشاهد أصل وعماد هذا الباب أعنى باب اللفظة المركزية .

* ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ (الأحزاب: ٦٠ ـ ٦١) فلفظة " ملعونين " مركزية مرتبطة بما قبلها ومشتركة مع ما بعدها ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

ثم لايجاورونك فيها إلاّ قليلاً ملعونين " أى مطرودين فى لعنة وليكونون ملعونين .

"ملعونين أينما ثقفوا "

"أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا "

فكذلك لفظة وتركيب "أينما ثقفوا" مركزية [٢] .

﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ (الزمر: ١٤) فلفظة "مخلصا" مركزية ولذا

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ /١١٥ – ١١٦ والزجاج ٥ / ١٢٩ .

(٢) راجع وقارن الفراء ٢ / ٣٤٩ – ٣٥٠ البحر ٨ /٥٠٦ والزجاج٤ / ٢٣٦.

تؤدى مرتين هكذا :

"قل الله أعبدُ مخلصاً " أى ولأكن مخلصاً .

"مُخْلِصاً له دينى " أى أعبده على نحو لا يشوبه شئ من شرك (١) .

كما قال سبحانه :

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (الإسراء: ٢٣) أى أن تعبدوه وألا تعبدوا إلا إياه بمعنى وأن توحدوه فى عبادتكم له ولا تخشون إلا إياه (٢) .

• ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ـــ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ (الطور: ٢١) فلفظة " بإيمان" لفظة مركزية مشتركة بين ما تقدم عليها وما تأخر عنها ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

"والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان" أى بإيمان حق قويم معتمد ومعتبر شرعاً .

"بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم " أى جاءوا على إثرهم بتعهد يقينى منا ترون أنا ألحقنا بهم ذريتهم فلطمئنوا عليهم فإنا نحافظ عليهم ونحفظهم لهم بكل ثبات ويقين وقوة إرادة منا .

فلفظة " بإيمان " مركزية ترتبط بما تقدمها وبما تأخر عنها (٣) .

• ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا ـــ عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ (الأنعام: ١٥٤) فلفظة " تماما" لفظة مركزية مشتركة بين ما تقدمها وما تأخر عنها ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

"ثم آتينا موسى الكتاب تماما " أى على أتم وأكمل ما يكون

"تماما على الذى أحسنَ " أى وجعلناه تماماً مثل تاجاً وباقة ومظلة على

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ /١٩٠ والزجاج ٤ / ٣٤٨ .

(٢) راجع وقارن البحر ٧ /٣٣ - ٣٤ .

(٣) راجع وقارن البحر ٩ /٥٧٠ والفراء ٣/ ٩١ والزجاج ٥ / ٦٥ .

الذى أحْسَنَ [١] أى على الذى هو قد أحْسنَ .

• ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ — فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات: ٦) فلفظة "بجهالة" مكزية ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

" أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ " أى منكم وبقوة وشدة وطأة.

" بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين " أى بما كان منكم من جهالةٍ تصبحوا ما تلبثوا أن تصبحوا على ما فعلتم نادمين [٢] أى بعمهة وأنتم بحالة عمهة لم تحققوا الأمر وبضربة وبرمية جهلاء وعمياء

• ﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ — زَنِيمٍ ﴾ (القلم:١١-١٣) فلفظة " بعد ذلك " مركزية مشتركة بين ما تقدمها وما تأخر عنها ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

" عتُلٍّ بعد ذلك " أى ولهو بعد ذلك أى بعد كل ذلك التعدى ما أشدّه من عتلٍّ أى طاغية عاتها فبأى وجه بعد ذلك يكون منه هذا العتو وتلك الغطرسة وذلك التجبر .

"وبعد ذلك زنيم " أى ثم إنه بعد ذلك ما أشره وما أبغضه من زنيمٍ أى بعد كل هذه الآفات وتلك المآثم صاحب آفة كبرى وهى آفة الزنا فهو زان كما أنه ولَدُ زنا [٣] .

﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ — فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ (النحل:٥) فلفظة " لكم " مركزية ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

"والأنعام خلقها لكم " أى الله هو الذى قد خلقها وأنه قد خلقها لكم أى

(١) راجع وقارن الفراء ١ / ٣٦٥ والبحر ٤ /٦٩٢ – ٦٩٣ والزجاج٢ / ٣٠٥.
(٢) راجع وقارن البحر ٩ / ٥١٢ والزجاج ٥ / ٣٣ – ٣٤.
(٣) راجع وقارن البحر ١٠ / ٢٣٨ – ٢٣٩ والفراء ٣ /١٧٣ والزجاج٥/٢٠٥.

مكرمة لكم ولتعلموا أن الأنعام قد خلقها .

" لكم فيها دفءٌ ومنافعُ "

أى وقد قُدّر لكم فيها دفءٌ ومنافعُ (١) .

وكذا والأنعام خلقها أى أن الله هو الذى قد خلقها وقدّرها – خلقها لكم– لكم فيها دفء ومنافع .

ومثله قوله سبحانه

• ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾(النحل: ١٠) فلفظة "لكم " مركزية (٢) .

وكذا " وهو الذى أنزل من السماء ماءً " أى عذبا فُراتاً ثجاجا فالماء فى حد ذاته آية فى بابه بل إنه أقوى وأعظم آية على قدرة الله رب العالمين سبحانه .

وقال عز وجل

• ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٢) فلفظة " فيه " لفظة مركزية مشتركة بين ما تقدمها وما تأخر عنها وكل منها محتاج إليها لأداء معناه ولذا فإن هذا التركيب يؤدى هكذا :

"ذلك الكتاب لا ريب فيه " أى لا إشكال ولا لبس ولا خلل ولا قصور ولا تغيير ولا تحريف ولا تبديل ولا زيغ فيه عن الوضع الأصلى الذى تنزل عليه من لدن رب العالمين ولذا فإنه هو وحده الكتاب الحق المعتمد والمعتبر شرعا للتعرف على الدّين والملة كما أراد رب العالمين كما أنه هو دستور الحياة والمرجع الأوحد فى كل أمورها وشئونها .

وذلك بخلاف ما فى أيدى أهل الكتاب أى فى أيدى هذا الجيل من أهل

---

(١) راجع وقارن البحر ٦ / ٥٠٦ والفراء ٢ /٩٥ والزجاج ٣ /١٩٠.

(٢) راجع وقارن البحر ٦ / ٥١١.

الكتاب من الكتب فإنها محرفة ومغيرة ومبَدلة عن وضعها الأصلى أو عن أصل وضعها الذى قد تنزلت عليه من لدن رب العالمين ولذا فإنها لا تصلح دستوراً ومرجعا فى التعرف على دين رب العالمين وقيمه وتعاليمه سبحانه

"ذلك الكتاب لاريب فيه "

" فيه هدىً للمتقين "

فلفظة فيه قد قرئت مرتين لاشتراكها بين التركيبين [١] .

• ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر: ١٠) أى إليه يصعد الكلم الطيب والعملُ الصالح أى هما معاً والعمل الصالح يَرْفعه أى يزيد من قيمة ومن كيان وأجر ومنزلة الكلم الطيب [٢] .

فجملة " والعملُ الصالح" مركزية وإن الله يرفعها أى يزيد من شأنهما إذ قد تعا ضدا وتكاملا .

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ (مريم: ٤٦) فالقارئ يقرأ قال أراغب أنت عن آلهتى يإبراهيم .

ثم يقرأ " يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك " .

فلفظة " يا إبراهيم " مركزية .

• ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ (الزمر: ٢)أى وكن مُخلِصاً ولتكن مخلصاً فإن له الدينَ

فالقارئ يقرأ "فاعبدوا الله مُخلِصا" ثم يقرأ مُخلِصا له الدينَ

ومثله قوله سبحانه

﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ (الزمر: ١١)

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟

---

(١) راجع وقارن البحر١ / ٦٣ – ٦٤ والفراء ١/١٠– ١٣ والزجاج١/٦٦ –٧٠.

(٢) راجع وقارن البحر٩ / ١٨ – ١٩ والزجاج ٤/٢٦٥ والفراء ٢/٢٦٧.

مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾(سبأ: ٤٦)

"ما بصاحبكم " أى ثم تتفكروا ما ذا وأى شئ بصاحبكم وماكنه وحقيقة صاحبكم ومامهمة صاحبكم .

إنه ما بصاحبكم من جنةٍ أى كما تدعون [1] .

فلفظة " ما بصاحبكم" مركزية .

(١) راجع وقارن البحر ٨ / ٥٦٠ - ٥٦١ .

مبحث ثان

كما وردت اللفظة مركزية وردت الجملة مركزية

وهذا من الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم

* ومن هذا الباب قوله عز وجل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ﴾ (الممتحنة: ١) فجملة "أن تؤمنوا بالله ربكم" جملة مركزية ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا:

" يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم "

بمعنى ويحذرونكم من أن تؤمنوا وليردوكم عن أن تؤمنوا بالله ربكم أى إيمانا حقا صدوقا وليمنعوكم من أن وليمولون دون أن تؤمنوا .

"أن تؤمنوا بالله ربكم أن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى"

بمعنى بل إنه ليلزم أن تؤمنوا بالله ربكم حق الإيمان فى اعتصام أى أن توحدوه حق توحيد " ولا توالوا ولا توادوا أهل الكفر والطغيان إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وقصدتم وتوسمتم ابتغاء مضاتى حقا فليشتد اعتصامكم بربكم إن كنتم خرجتم جهاداً أى أن تعملوا على أن تؤمنوا بالله ربكم أى تعتصموا به سبحانه .

أى إن كنتم صادقين وتوسمتم مثوبة ومكرمة رب العالمين [١] .

وقوله سبحانه " تلقون إليهم بالمودة " أى أتلقون إليهم بالمودة فهو متضمن لمعنى الاستفهام [٢] .

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ١٥٢ - ١٥٣ والزجاج ٥ / ١٥٥ .

(٢) راجع وقارن والفراء ٣ /١٤٧ .

• ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾(القمر: ٤٩) هذا مضمونه إنَّ كل شئ خلقناه أى قد خلقناه وإنا قد خلقناه بقَدَر أى بحكمة حكيمة وبتقدير حكيم بديع عجيب .

فجملة " خلقناه " مركزية فالآية تؤدى هكذا :

"إنّ كلّ شئ خلقناه " ثم يقْرأ " خلقناه بِقَدَر " [١] .

• ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾(آل عمران: ٧) فتركيب ولفظة "والراسخون فى العلم " مركزية مشتركة بين ما تقدم عليها وما تأخر عنها ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

" وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم " أى يعلمون تأويله كما قال سبحانه

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾(العنكبوت: ٤٩)

" والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا [٢] .

• ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (البقرة:٢١٢) فلفظة وتركيب " والذين اتقوا" لفظة مركزية مشتركة بين ما تقدم عليها وما تأخر عنها ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

" ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا " ثم يقرأ

" والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة "

أى وخاصة يوم القيامة [٣] أى وهم فوقهم وخاصة يوم القيامة .

• ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (التحريم: ٨) فلفظة وتركيب " والذين آمنوا معه " مركزية مشتركة بين ما تقدمها وما تأخر عنها ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤٨ .

(٢) راجع وقارن البحر٣ / ٢٨ – ٣٠ والفراء ١٩١/١ والزجاج٣٧٨/١.

(٣) راجع وقارن البحر٢ / ٣٥٤ – ٣٥٥ والزجاج ١ / ٢٨٢ .

" يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه " أى والذين ركبوا سفينته وأتوا فى ركابه واعتصموا بسنته وقدروا أمامته ورسالته حق التقدير .

" والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم "

أى ليرى نورُهم يسعى بين أيديهم [1] أى على ومن مسافات بعيدة وعلى نحو متأجج متوقد .

* ومن هذا الباب

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (النحل: ٣٠) فهذا تقديره للذين أحسنوا فى هذه الدنيا ليكون لهم فى هذه الدنيا حسنة[2] .

فلفظة " فى هذه الدنيا " مركزية وقيد وشرط وتأكيد .

وكذلك قوله سبحانه فى موضوع آخر

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ ﴾ (الزمر: ١٠) فتركيب ولفظة "فى هذه الدنيا " مركزية مشتركة بين ما تقدمها وما تأخر عنها ومرتبطة بهما معا ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

" للذين أحسنوا فى هذه الدنيا " أى الكئيبة البائسة الشديدة الشظف والجذوبة .

" فى هذه الدنيا حسنةً " أى قُرِّر لهم فى هذه الدنيا حسنة أى بيمنحون أجراً على نحو عاجل يكفل لهم حياة طيبة كريمة [3] .

أى لتكون لهم فى هذه الحياة الدنيا حسنة

كما قال سبحانه "

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم ﴾ (النحل: ٩٧)

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٦٣ – ٢١٤ والزجاج ٥ /١٩٥ .

(٢) راجع وقارن البحر ٦ / ٥٢٦ والزجاج ٣ /١٩٦ .

(٣) راجع وقارن البحر ٩ / ١٩٠.

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ (طه: ١١٢)

أى فى هذه الحياة الدنيا قبل الآخرة

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (محمد: ٢)

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (العنكبوت: ٩)

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢)

﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(الأنعام: ٤٨)

وفى موضوع آخر

﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(الأعراف: ٣٥)

* ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾(المجادلة: ١١) فتركيب ولفظة " والذين أوتو العلم " مركزية مرتبطة بما تقدم عليها وبما تأخر عنها ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم "

" والذين أوتو العلم درجات " أى لعلى درجات وليكونون على درجات وليأتون على درجات ولنجعلهم على درجات [1]. ولهم على درجات وليتسامون درجات .

* ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ (الحديد: ١٩) فتركيب ولفظة " والشهداءُ عند ربهم " مركزية ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا : " والذين آمنوا بالله ورسله .

أولئك هم الصدّيقون والشهداءُ عند ربهم "

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ١٢٨ .

أى ولهم الشهداءُ عند ربهم

" والشهداءُ عند ربهم لهم أجرهم ونورُهم "

أى والذين استشهدوا فى سبيل الله ليكون لهم أجرُهم ونورُهم [١] .

" والصِّدِّيقون " وهم أصحاب المصداقية والصدق فى اللقاء وفى الوفاء بعهود وعقود رب العالمين .

* ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (الكهف: ٤٩)

فلفظة "لايغادر " مركزية مرتبطة بما تقدم عليها وما تأخر عنها ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

"وقالوا مالِ هذا الكتاب لايغادر " أى لا يبرح ساحتنا ولا ينفك عن أعناقنا وأراه يرنو إلى ويرمقنى وكأنه متربص بى كما قال سبحانه :

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾(الإسراء: ١٣) " لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها "

فهذا تعجب من أمره أى من أمر إحصائه العجيب لكل صغيرة وكبيرة[٢] .

* ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ (المائدة: ٤١) فقوله " قالوا آمنا " جملة مركزية مشتركة بين ما تقدم عليها وما تأخر عنها ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا " أى على نحو جزافى واعتباطى وفى غير يقين وعدم مبالاة أو إحساس بالمسؤلية وتحمل للأمانة .

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ١٠٩ والفراء ١٣٥/٣ والزجاج٥ /١٢٦ .

(٢) راجع وقارن البحر ٧ / ١٧٨.

أى إنهم قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم . إيمانهم فجرد تشدق بالكلام وليس بالعمل بمعنى ولم يأت عملهم وفقا لما يرددونه بألسنتهم وكذا ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر إنهم من الذين قالوا آمنا بأفواههم [١] .

وهذا كله من وجوه الاعجاز اللغوى للقرآن الكريم ولا يكاد يتراءى فى لغة القوم .

كما قال سبحانه فى موضوع آخر

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾(آل عمران١٧٦) فهؤلاء قد تشدقوا بالكلام واللسان دون الأفعال أى لم يكن الإيمان فى قلوبهم.

* ﴿ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾(يوسف: ٩٩) مضمونه قال ادخلوا مصر إن شاء الله – وإن شاء الله لتكونون آمنين أى وإنه إن شاء الله ستكونون آمنين [٢] .

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ (يونس: ٨٧)

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء: ١٣٨ - ١٣٩) فجملة الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين " جملة مركزية.

أى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ماذا يريدون بهذا الوصال وتلك الموالاة منهم للكافرين أيبتغون عندهم العزة [٣] وما أسوأ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين – الذين يتخذون الكافرين أولياء ينتظرهم يوم عصيب والمنافق يفعل ذلك خفية والمشرك يفعله ويأتيه جهاداً وعلانية .

" من دون المؤمنين" أى من دون إذن جماعة علماء المؤمنين الأتقياء الصالحين أصحاب المصداقية والأمانة .

---

(١) راجع وقارن البحر ٤ / ٢٥٩ – ٢٦٠ والزجاج٢/١٧٤.
(٢) راجع وقارن البحر ٦ / ٣٢٦.
(٣) راجع وقارن البحر ٤ / ١٠١.

وكذا وأمامهم المؤمنون يكفونهم أمورهم .

إنهم إن كانوا يريدون العزة بحق فليكن كل ولائهم لله

ومثله قوله سبحانه

● ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ ﴾ (المائدة: ٤١) فجملة " الذين يسارعون في الكفر" جملة مركزية

أي الذين يسارعون في الكفر هم من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم أي فهؤلاء خير فيهم ولا حاجة إليهم إذ لا مصداقية عنهم (وتأمل ما بعدها) [١] .

وهذا يدل دلالة صريحة وبينة على تعانق وتعاقد النص القرآني تعانقا وتعاقدا فريداً منقطع النظير .

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ (المائدة: ٥٥) فقوله سبحانه " والذين آمنوا " قول مركزي .

أي وإنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا –

والذين آمنوا هم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون [٢] .

● ومن هذا الباب قوله عز وجل :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ﴾(النساء: ٨٧ - ٨٨) فتركيب ولفظة " ومن أصدق الله حديثاً " مركزية مرتبطة بما قبلها وبما بعدها ولذا تؤدي مرتين هكذا :

" الله لا إله الا هو لجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق

---

(١) راجع وقارن البحر المحيط ٤ / ٢٥٩ – ٢٦٠.

(٢) راجع وقارن البحر ٤ / ٣٠٠ – ٣٠١.

من الله حديثاً "

" ومن أصدق من الله حديثاً فما لكم فى المنافقين " أى فبأى شئ لكم بعد أن صدقكم الله القول فى أمرهم وشأنهم وفى طبيعة مواقفهم وعلاقتكم بهم

أى والله قد حدثكم عنهم بكل صدق وأنبأكم عن أمرهم بكل أمانة وبالقول الحق أى الكائن والذى هم عليه فى حقيقة ونفس الأمر .

وكذا فما لكم فى المنافقين فئتين " أى صرتم فئتين أى حزبين مختلفين بشأنهم .

" فئتين والله أركسهم بما كسبوا "

أى إنهم قد كانوا فئتين حقا ولذا انقسمتم على أنفسكم بشأنهما فما أعزكم وما أشد فراستكم [١] .

فلفظة " فئتين " مركزية .

وهذا اليوم لا ريب فيه وذلك الجمع لاريب فيه

● ومن هذا الباب قوله سبحانه :

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ ﴾ (البقرة: ٧) فهذا يقرأ هكذا " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ثم يُقرأ وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة "

فلفظة " وعلى سمعهم " مشاركة لما قبلها ولما بعدها فى ذلك التوعد وهذا الإخبار المتضمن لمعنى الدعاء عليهم [٢] .

● ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ (البقرة: ٢٢٢) فجملة " فأتوهن " مركزية ولذا تقرأ هكذا :

فإذا تطهرن فأتوهن –

فأتوهن من حيث أمركم الله أى وليكن ذلك من حيث وفى حيث أمركم الله أى ولتصبوا إليهن من جهة الواجهة والأمام لا من جهة الخلف والوراء

---

(١) راجع وقارن البحر ٤ / ٦ – ٩ والفراء ٢٨٠/١ – ٢٨١ والزجاج ٨٧/٢.

(٢) راجع وقارن البحر ١ / ٧٦ والزجاج ٨٢/١ والفراء ١٣/١.

فهما أمران لا أمر واحداً (١) .

إن الله يحب التوابين أى من ثابت وسكنت نفوسهم واطمأنت ويحب المتطهرين أى الآخذين لأنفسهم بالتطهر وهو خلاف التدنس والرّجز .

﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(البقرة: ١١٠) تجدوه عند الله جملة مركزية فتقرأ هكذا :

وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله " ثم يقرأ " تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً "

أى تجدوه عند الله هو ما هو فى كونه خيراً وفى كونه أعظم أجراً أى مجازة عليه أى يجازى عليه بأعظم الأجر(٢) .

﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾(الزمر: ٢) أى ولتكن مخلصاً

فلفظة مخلصا مركزية

ثم يقرأ " مُخلصا له الدين " (٣) .

ومثله ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (غافر: ١٤)

أى فادعوا الله ولتكونوا مُخلصين – مخلصين له الدينَ "

﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (غافر: ٦٥)

وقريب منه قوله سبحانه

﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴾ (التغابن: ١٦)

(جـ) وهناك جملة مركزية فى دلالتها

ومن الجمل المركزية دلاليا أى المشتركة بين ما تقدمها وما تأخر عنها وله مع ما تقدمها دلالة ولها مع ما تأخر عنها دلالة أخرى قوله سبحانه :

---

(١) راجع وقارن البحر ٢ / ٤٢٧ – ٤٣١ والزجاج ١/ ٢٩٧.

(٢) راجع وقارن البحر ١ / ٥٦٠.

(٣) راجع وقارن الزجاج ٤ / ٣٤٣ و البحر ٩ / ١٨٢ والفراء ٢/ ٤١٤ .

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن: ١١)

فتركيب ولفظة " ومن يؤمن بالله يهد قلبه " بالنظر إلى ما قبلها بمعنى يُهَدِّئ من روعه ويطمئن من قلبه ونفسه ويمن عليه بالتصبر وعدم الجزع والفزع فالله رؤوف رحيم .

وبالنظر إلى ما بعدها بمعنى يَمْنَحه ويُلْهِمه علما وبصيرة فالله بكل شئ عليم (١) .

﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ (محمد: ٢٠ - ٢١) فتركيب ولفظة " فأولى لهمْ " مركزية مرتبطة بما تقدم عليها وما تأخر عنها ولها دلالتها الخاصة مع كل ولذا فإنها تؤدى مرتين هكذا :

"رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظر اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم" أى فالعودة فى العذاب لهمْ والويل كل الويل لهم فهذا دعاء عليهم لأن فى قلوبهم مرضاً وبغضاً وكراهية للقتال .

"فأولى لهم طاعة وقولٌ معروف "

أى فالأولى والأحق لهم والأجدر والأليق والأفضل لهم أن تكون منهم طاعة وأن يكون منهم قول معروف أى وأن يترفعوا عن النزاع وعن الزيغ والاحتيال للتفلت فلتطمئن قلوبهم بنصر الله وتأييد الله ودعم الله لهم وتأمينه إياهم (٢) .

وسورة محكمة " أى قاضية فاصلة صريحة واجبة وملزمة التنفيذ على أرض الواقع من فورها (٣) ومن فورهم .

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ١٩٠ - ١٩١ والفراء ٣/١٦١ والزجاج٥ /١٨١ .
(١) راجع وقارن البحر ٩ / ٤٧١ والزجاج٥ /١٢ .
(٢) راجع وقارن الفراء ٣ /٦٢.

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾ (الأنعام: ١٣٩) أى وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة أى خلاصة مادة وأطيب مادة فهى أوجانها خالصة لذكورنا خاصة وإنه لمحرم على أزواجنا [١].

فلفظ " خالصة" مركزية .

ومما هو بسبب الى هذا الباب

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ (البقرة: ٤١) أى ولا تشتروا بآياتى ثمنا ثم يقرأ ثمنا قليلا

فإنه مهما كان ثمنا قليلاً أى مهما تعاظم أمره فى نظركم ستجدونه قليلاً.

بمعنى ولا تتهاونوا ولاتتنازلوا من تعاليم آياتى والاعتصام والتمسك بها ولا تتخلوا عن تعاليم آياتى مهما كان المقابل فإنه خسيس بخيس وستندمون

﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾(البقرة: ١٧٥)

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾(البقرة: ٨٦)

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾(البقرة: ١٦)

---

(٣) راجع وقارن البحر ٨ / ٤٧٤ والبحر ٤ / ٦٦٠.

الباب الثالث

ظاهرة الاستفهام الخبرى

الاستفهام الخبرى يقصد به ما كان بلفظ الاستفهام ومعناه الخبر ومن نماذج الاستفهام القوى فى بابه والمتضمن لمعنى الخبر قوله عز وجل

• ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾(الإنسان: ١) أى أليس قد أتى وألم يأت على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً يُذْكَر

أنه حقا قد أتى على الانسان حين من الدهر أى أمد وقت طويل وتتابعت الأزمان لم يكن شيئاً يذكر سواء فى خلقه الأول القديم ممثلاً فى آدم عليه السلام أو فى خلقه القريب من كونه نطفة وعلقة ومضغة [1] .فهذا لفظة الاستفهام ومعناه الخبر

وهذا هو ما عبروا عنه بالاستفهام التقريرى .

أى ألم يأت على الإنسان ردح من الزمان الدهر لم يكن موجوداً على الساحة ألبته ألم يأت عليه وقتُ كان خلقا ضعيفا هنيا يسيراً .

فالله قد خلق الملائكة ثم خلق الجن وبعد حين من الدهر خلق الإنسن

﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾(الحجر: ٢٧) من قبل أى من قبل خلقنا لآدم .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ (المؤمنون: ١٢ ـ ١٤)

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾(العلق: ١ ـ ٣)

أى خلقه من نطفة أمشاج كالكَرْمة قد مشجت أى مزجت خلطت خلطا جيداً وقال سبحانه ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ (فاطر: ١١) أى خلقكم أول ما خلقكم من تراب أى من صلصال من حمأ مسنون ثم من نطفة ذكورية (من الرجل) تنمو بصفة مستقلة ومتميزة بمعزل

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٣٥٩ – ٣٦٠ والفراء ٣ / ٣١٢.

عن النطفة الأنثوية (التى هى من المرأة) وذلك على عهد حواء كما هو حال جميع أولادها الذين تزاوجوا بإخواتهم منها فهذا الإبداع الألهى وذلك التمييز هو الذى قد سمح بتزاوج الأولاد (أولا آدم وحواء) الذين هم من ام واحدة (هى حواء) .

ثم جعلكم أزواجا أى ثم جعل أمر انجابكم من نطفة هى مشيج من ماء الرجل وماء المرأة معا كما هو عليه الحال الآن وبعد حواء الأمر الذى يحول دون تزاوج الأولاد الذين هم عليه الحال الآن وبعد حواء الأمر الذى يحول دون تزاوج الأولاد الذين هم من أم واحدة (١) .

وهذا من بديع خلق الله وآية من آيات الأعجاز الألهى الطاهر الكريم.

● ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (الذاريات: ٢٤) أى بشأن أهله الأطهار المُكْرَمين (٢) .

﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ (هود: ٧٣)

إنه قد أتاك .

● ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ - إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ (طه: ٩ - ١٠)

أى أليس قد أتاك وألم يأتك فهذا طريقه الأيقاظ والإيناس (٣) إنه قد أتاك.

● ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ (البروج: ١٧ - ١٨) أى ألم يأتك حديث الجنود أى الذين قد امتلأت نفوسهم إعجابا وزهواً وفخراً وعتوا وطغيانا

إنه قد أتاك حديث الجنود بتمامه وكماله وكما قد كان عليه فى الواقع وفى حقيقة ونفس الأمر فلتعلم أن جنود هؤلاء الطغاة سيكون مصيرها كمصيرهم فالاستفهام متضمن لمعنى الخبر (٤) .

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ٢٠.
(٢) راجع وقارن البحر ٩ / ٥٥٤ - ٥٥٥.
(٣) راجع وقارن البحر ٧ / ٣١٤ - ٣١٥ والفراء ٢ / ١٧٤.
(٤) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤٤٦.

وفى هذا معنى التوعد والاستحلاف .

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾(الغاشية: ١) أى أليس قد أتاك وألم يأتك حديث الغاشية التى هى مصير ومآل النصابين والغشاشين فى عملهم وشئونهم وأماناتهم وتجارتهم وإدارتهم إن مأواهم الغاشية .

وذلك بدلالة السياق بعده .

﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٦) أى بجد وصدق ونبل وتفان وإخلاص إنه ما أعز وما أكرم وما أطيب أجرهم

• ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(الزخرف: ٦٦)

أى فإنها ما تلبث وإنها ما تلبث أن تأتيهم وإنها لتأتيهم بغتةً وهم لا يشعرون أى لا يستشعرون ذلك مهما قويت لديهم أجهزة الانذاء المبكر ومهما اشتد توجسهم [١] إنها لتراهم ساحتهم بغتة أى فجأة .

وتتعطل أجهزة الاستشعار دون إدراكها .

﴿ فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾(إبراهيم: ٢١)

وفى موضوع آخر﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾(غافر ٤٧)

أى تتحملون أوتدفعون عنا جزءً من شدتها هذا مع أنهم جميعا فى النار فهذا طريقه التوبيخ والتبكيت الذى يجب مراعاته فى الأداء الصوتى لها .

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٨٠) أى وأنتم على هذه الحالة من تجاهل نعم الله عليكم وتغاضيكم عنها وعزوفكم عن التلبس للقتال كما أمر الله عز وجل [٢] فهل أنتم والحالة هذه شاكرون .

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ٣٨٧.
(٢) راجع وقارن البحر ٧ / ٤٥٧.

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (هود: ١٣ - ١٤) أى فهل أنتم مسلمون وأنتم على هذه الحالة من عدم إعظام وإكبار تنزيل رب العالمين وعدم العمل به والاستيقان له فهو انكار وتبكيت ألاَ فاسلموا إسلاماً حقا قويما كما يجب وإلاّ اجتاح ساحتكم من العذاب ما يحتاجها فهذا مضمون ذلك التركيب (١) .

فهو متضمن لمعنى الأمر .

كما قال سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(الأنبياء: ١٠٨)أى وأنتم على هذه الحالة من الشرك بالله والاحتكام للطاغوت والولاء لعصبة وأئمة الكفر العالمى وإعظامهم وإكبارهم واعتقاد فاعليتهم مع أن الله وحده هو المقرر والمشرع وذو القدرة الفاعلة فى هذا الكون وذلك الوجود وتلك الحياة وأنه لا إرادة مع إرادته سبحانه.

ألا فاسلموا إسلاماً حقاً قويما فيه توحيد تام لله رب العالمين (٢) .

كما قال سبحانه

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾(المائدة: ٩٠ - ٩١) فى معنى فهل أنتم عقلاء تتفهمون الأمور حق التفهم وكما يجب وأنتم على هذه الحالة من شرب الخمر والميسر وارتياد ساحات اللهو والعبث.

انتهوا خيراً لكم وإلا اجتاح ساحتكم ما يجتاحها من العذاب (٣) .

﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ

---

(٢) راجع وقارن البحر / ١٣١.
(١) راجع وقارن البحر ٧ / ٤٧٣.
(٢) راجع وقارن البحر ٤ / ٣٣١ ، ٣٥٧ - ٣٥٩.

تُبْصِرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣) أى قائلين هل هذا إلا بشر مثلكم فله من الطاقات والقدرات ما لكم فكيف يخص بالنبوة والوحى دونكم أليس كذلك إن هذا ما هو إلا بشر مثلكم .

وهذا ينم عن ترددهم وتوجسهم وعدم اقتناعهم بما هم عليه إنهم يرون إن هذا الحديث وذلك القرآن سحر (والعياذ بالله) (١) .

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(الأنبياء: ٤) هذا ومن الاستفهام ما طريقه الإيقاف والتأكيد على ما هو الحق الذى يجب أن يُعتقَد أو على ما هو حقيقة حقة ثابتة .

﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾(فاطر: ٣)

أى أليس هو الذى يرزقكم من السماء والأرض .

أنه هو الذى يرزقكم من السماء والأرض (٢) .

﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴾(الفجر: ٥)

أى أليس فى ذلك قسم مقنع لكل ذى عقل

إن فى ذلك لقسم مقنع لكل ذى عقل حصيف وحكمة فى التصرف (٣)

وأليس فى ذلك قسم قامع رادع لكل طاغية وعات ومتكبر متجبر .

وقوله سبحانه

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾(الإسراء: ٩٣) أى هل كنت إلاّ بشراً أى لا ملكا وهل كنت إلا رسولاً مبلغا ولا أملك لكم من الله من شئ وما بعثت إلاّ رسولاً أى مبلغاً (٤)

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤٠٨ – ٤٠٩ والفراء ٢ / ١٩٨.
(٢) راجع وقارن البحر ٩ / ١٣ والفراء ٢/ ٣٦٦.
(٣) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤٧١.
(٤) راجع وقارن البحر ٧ / ١١٣.

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ (الحاقة:٦-٨) أى فهل ترى لهم من إثرة ومكرمة وإنطباعة على الكون والوجود والحياة نافعة ومجدية وخيرة – كلا –

إنك إذا ما نظرت وتفحصت مهما تفحصت ما ترى لهم من باقية أى من مكرمة أو نفحة خيرة كما أنهم كبشر قد استؤصلوا عن آخرهم ولا تجد لهم من فئة أو من نفس باقية مع شدة وقوة حرصهم على الحياة وتمكنهم فى الأرض [١]

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾(الرحمن: ٦٠) أى أليس جزاءُ الإحسان إلا الإحسان أى الحور العين الحسان أنه جزاء أهل العفة والشرف والطهارة والنقاء فى العرض وفى النسب والاخلاق .

أنه ما جزاؤهم إلا الإحسان [٢]

﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾(الأنعام: ٤٧) أنه ما يُهلك الا القوم الظالمون . فهذا استفهام صريح يستدعى ويتطلب جوابا ليستمكن المعنى فى النفس ويستقر فى القلب ويُستيقن .

فمثل هذه الآية يؤدى بنغمة الاستفهام الصريح مرة ثم يؤدى بنغمة الخبر والجواب والنفى [٣]

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾(الرعد: ١٦)

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾(يونس: ٣٢) أى ألا تدرون أى شئ بعد الحق أى خلاف الحق إنه ما بعد الحق وما بعد قول الحق وما بعد ما جاءكم من الحق إلا الضلال أى إلا ما هو باطل وضلالة وشر .

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٢٥٥.
(٢) راجع وقارن البحر ١٠ / ٧٠.
(٣) راجع وقارن البحر ٤ / ٥١٧ ، ٨ /١٩٤.

إن كل ما بعد قول الله ما سوى قول الله لهو من الضلال بمكان فلا تعقيب على قوله الله ولا تجاوز لقول الله إلى ما سواه وما سوى الله من إله باطل وضلالة (١)

ومن باب " كيف " التى قصد بها التعجب والاعظام والاكبار والاشادة

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٤١) أى على هؤلاء من أهل الكتاب وعلى كل هؤلاء .

فهذا إعظام للرسول على الصلاة والسلام وتعجب مما سيكونون فيه (أى أهل الكتاب) من موقف حرج وعصيب وقد أقيمت عليهم الحجة (٢)

﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء: ٤٨) أى كيف أحطناك برعايتنا وأيدناك واكتنفناك بحفظنا وقد ذهبوا فى دحضك وإيذائك والنيل منك كل مذهب كما أنه يتضمن معنى التعجب من أمرهم وهم يدعون إلى الايمان (٣)

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ (المائدة: ٤٣) فهذا تعجب من أمرهم وحالهم والانكار عليهم فى مكرهم وتحايلهم وإشادة وإعظام بالرسول فإنه ما أعدله حَكَماً (٤)

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (آل عمران: ٢٥) أى ماذا يصنعون وماذا يكون موقفهم وقد آمنوا بالجبت والطاغوت وادعوا انهم أبناء الله وأحباؤه وأنه لن تمسهم النار إلا إياما معدودة (٥)

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٧)

---

(١) راجع وقارن البحر ٦ / ٥٣.
(٢) راجع وقارن البحر ٣ / ٦٤٤.
(٣) راجع وقارن البحر ٦٤٤/٤ ، ٧/ ٥٨ – ٥٩ / ٧٠.
(٤) راجع وقارن البحر ٢٦٥/٤ – ٢٦٦ .
(٥) راجع وقارن البحر ٣ /٨٣ – ٨٤.

أنه ما أخزى وما أسوأ وما أشد أمر أهل البغي والفسوق المنكر والسوء عند الموت [١]

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾(آل عمران:٢٥) أي ليوم قاسٍ شديد[٢]

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٨) أي وكنتم أذلاء مقهورين معدومين فأعزكم ورفع من شأنكم .

فهذا طريقه التبكيت والتوبيخ والتوعد والاستحلاف وليس طريقه الاستفهام المحض .

كما قال سبحانه

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾(الأنعام: ١٢٢) أي صار يبارزنا بالعصيان والكفران اليوم ويأتي ويتطاول على قيم وتعاليم رب العالمين [٣] ولا يعبأ بها ولا يعول عليها ولا يقيم لها وزنا إنه ما أضله وما أعتاه وما أخزاه من ميت.

﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ﴾ (النساء: ١٤٧) بمعنى أي شئ يفعل الله بعذابكم أي يستفيد بتعذيبه إياكم إنه لا يستفيد شيئاً ولا رغبة ذاتية له في ذلك من شئ ما دمتم مؤمنين شاكرين .

ففي هذا معنى الإنكار عليهم والتبكيت لهم [٤]

وقال سبحانه في حديث عن نوح مع قومه عن أتباعه وأصحابه

﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(الشعراء: ١١٢) بمعنى وأي شئ كان علمي ومن أين كان علمي إني لا أعلم شيئاً بما وعما كانوا يعملون أي من

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ /٤٧٤ - ٤٧٥.
(٢) راجع وقارن الفراء ١ /٢٠٣ والبحر ٣ / ٨٣ - ٨٤.
(٣) راجع وقارن البحر ١ / ٢٠٩ - ٢١٢ والفراء ١ / ٢٣ - ٢٤ .
(٤) راجع وقارن البحر ١١٤/٤.

قبل فإنه لا يصح أن أعول على ما كانوا عليه من قبل فى موقفى منهم وإنما أعول على ما هم عليه الآن وهم الآن على طريقه مستقيمة وهذا غاية الواقعية فى النقاش وفى الحكم وفى الموقف .

فلفظ "ما" استفهامية ومتضمنة لمعنى النفىَ ومعنى الاستفهام فيها سابق على معنى النفى [١] ولذا تؤدى أولا بأسلوب الاستفهام ثم بنعمة النفى .

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾(يونس: ٦٠)

بمعنى أى شئ ظن واعتقاد هؤلاء أى هل يظنون أن الله سيعفو عنهم كيف وهو سبحانه قد أخذ نفسه بمبدأى الحق والعدل المطلق

فهذا استفهام طريقه الاستغراب [٢] كما قال سبحانه :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾(الانفطار: ٦) أى ماالذى غرربك بشأن ربك إنه حقا الكريم وإنه ما أكرمه من كريم ولكنه قد أخذ نفسه بالحق والعدل المطلق .

فهؤلاء قد أخطأوا وأساءوا التقدير .

كقوله سبحانه : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾(الأعراف: ١٦٩) فكل هذا من خطأ وسوء التقدير والتسامح والتساهل المفرط ومن الإفراط ومن عدم الحكمة فى تقدير الأمور.

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾(الأعراف: ٩٩) أى عقاب الله لهم على مكرهم

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾(نوح: ١٣) أى ما لكم لا تلتمسون إعظام وإكبار رب العالمين وإعظام قيمه وكتبه ورسله ومقدساته وحرماته [٣] سبحانه .

---

(١) راجع وقارن البحر ٨ /١٢٦.
(٢) راجع وقارن البحر ٦ /٧٨.
(٣) راجع البحر ٢٨٢/١٠ – ٢٨٣ والفراء ٣/ ١٨٨.

﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾(التوبة:٣٨) أى تقاعستم فى تثاقل وشدة ركون إلى الأرض (١)

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(الحديد: ٨) أى على مناصرة الله ورسله (٢)

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(القلم: ٣٦) فهذا معناه أى عبث هذا الذى أنتم فيه بشأة المراكز والمناصب والادارة وإسنادها إلى غير أهل الخبرة والكفاءة من الثقاة الصالحين أهو من عند أنفسكم أم أنه لكم كتاب من عند الله فيه تدرسون (٣)

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾(الطور: ٣٧) أى أعندهم خزائن رزق العباد أم أنهم المتحكمون وقد غلبوا الله عليها وهل أودع الله لديهم خزائن رزق العباد أم أنهم هم أصحاب السلطة والسلطان.

ففى هذا معنى التنديد بهم والتبكيت لهم (٤)

وكذا :﴿ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾(الطور: ٤١)

أى فهم يكتبون ما يملى عليهم منه (٥)

﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾(الطور: ٣٦)

أى أخلقوا السماء والأرض (٦)

﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾(الزخرف: ٢١) أى

---

(١) راجع وقارن البحر ٥ /٤١٩ - ٤٢٠ والفراء ٤٣٧/١ - ٤٣٨.
(٢) راجع وقارن البحر ١٠ /١٠٢ والبحر ٢/ ٥٧٢.
(٣) راجع وقارن البحر ١٠ /٢٤٥ .
(٤) راجع وقارن البحر ٩ /٥٧٥.
(٥) راجع وقارن البحر ٩ /٥٧٦.
(٦) راجع وقارن البحر ٩ /٥٧٥.

هل آتيناهم كتابا من قبله إنا ما آتيناهم كتابا من قبل القرآن أى هذا الجيل من أهل الكتاب [١]

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ (سبأ: ٤٤)

وما آتيناهم أى هذا الجيل من أهل الكتاب

وما أتيناهم أى من قبل القرآن من كتب يدرسونها فكتابهم القرآن ورسولهم محمد عليه الصلاة والسلام أبوا أم رضوا أى رغم أنوفهم فهؤلاء أى هذا الجيل من أهل الكتاب سيحاسبون فى ضوء القرآن والسنة المحمدية

﴿ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾(آل عمران:٧٩) فهذا فى أصله خبر قد سيق مساق الاستفهام أو جاء بأسلوب استفهامى (الخبر الاستفهامى)

وذاك استفهام فى أصله وحقيقة أمره قد خرج مخرج الخبر أى سيق بأسلوب الخبر (الاستفهام الخبرى وكذا الاستفهام الضمنى) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ /٣٦٦.

مبحث ثان

مَنْ " و " ما " المزدوجة الدلالة

وتنَوُّع الأداء الصوتى لها تبعا لذلك

أ) " مَنْ " قال عز وجل

﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ (الأحزاب:٣١) ومن يقنت منكن " هذا يتضمن الدعوة إلى قوة الإرادة وشدة العزيمة فى القنوت لله ولرسوله من النساء وخاصة نساء الرسل والأئمة والقدوة وخاصة فى وقت المحن والشدائد وتكالب الأعداء فإنه ما أحوجهن إلى ذلك وما أعزهن وما أكرمهن فى ذلك بحكم طبيعتهم الأنثوية بخلاف الرجال (١) .

وكذا ومن ييأس من الرجال العدوانيين الباغين من النيل منكن لشدة حفظكن لحرماتكن وابتغاء وجه الله ومكرمة لجانب رسوله فما أعزها وما أكرمها ولذا فإنها تظفر بأجر مضاعف .

﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (آل عمران: ١٦١) فهذا طريقه التوعد والاستحلاف

أى يُطلب منه ذلك يوم القيامة على رؤوس الأشهاد فما أشد ظلمه لنفسه وتشهيره بها . (٢)

ومما يتضمن معنى الاستفهام التعجبى الذى طريقه الإعجاب ومنه إعظام وإكبار وإشادة من باب " مَنْ "

قوله سبحانه : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾(البقرة: ٢٥٥)

إنه هو من هو وإنه ما أعزه وما أكرمه وما أسمى منزلته ومكانته عند رب العالمين وبالموازين الحقة القويمة .

---

(١) راجع وقارن البحر المحيط ٨ /٤٧٣ .

(٢) راجع وقارن البحر ٣ /٤١٢.

إنه لا يشفع إلا بإذنه أى إلا بعد الحصول على تصريح وإذن من الذات الالهية العلية أى من الله خالق السماوات والأرض والإله والرب العظيم الحق العدل .

إنه لا يقوم شفيعاً إلا بإذنه سبحانه فى موقف ومقام ما أعظمه وما أكرمه من موقف ومقام (١)

إنه عند الله من أرجى وعلى أرجى ما يكون وعلى خير ما يكون وإنه عنده بمقام صدق وفى مقام أمين ثابت مكين وثابت الأقدام فى باب الإمامة والمصداقية وارتفاع المنزلة وعظم المكانة كما قال سبحانه :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (يونس: ٢)

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (الدخان: ٥١)

وفى هذا معنى الإشادة به والتمجيد والتزكية له .

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (الإسراء: ٧٩) أى وإنك لترجو ذلك رحمة منك بأمتك وشفقة عليها .

﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ـ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (الضحى: ٤ ـ ٥)

هذا فضلا عن العهد والميثاق المحمدى الأزلى الذى لم يكن لبنى آخر فهذا يؤكد على ترشيح المصطفى عليه الصلاة والسلام لذلك .

وقال سبحانه عن عهد التفانى فى الجهاد بالنفس وبالمال

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ﴾ (التوبة:١١١) إنه حقا ما أوفى وما أعز وما أكرم من الله فالله سبحانه ما أوفاه بعهوده التى اقتطعها على نفسه من مضاعفة مثوبة من وَفَّى بعهود الله إنه لا أحد فهو سبحانه مثل فريد منقطع الند والنظير .

وكذا من يُوَفِّى بعهده الذى أَخَذَه الله عليه أو عاهد الله عليه ما أعزه

---

(١) راجع وقارن البحر ٢ /٦١٠ - ٦١١.

وما أكرمه ففى هذا معنى الإشادة به والإعظام والإكبار له والتذكية له لإنه على خير وأصدق ما يكون فهو ثابت وراسخ الأقدام فى باب المصداقية والوفاء [١]

كما قال سبحانه

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ١٠)

فهذا يسؤتيه أى ربه فإن هذا ما أعزه وما أكرمه ولذا فإنه سيؤتيه أى ربه أجراً عظيماً .

فهذا يتضمن معنى الاشادة به والتزكية له .

﴿ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾(النمل: ٦٣)

أنه سبحانه ما أعزه وما أكرمه ففى هذا معنى الإشادة بالذات الإلهية العلية فالله يرسل النسيم بين يدى المطر حتى يتمكن القوم من أخذ أهبتهم لاستقباله [٢]

﴿ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(النمل: ٦٤)

إنه سبحانه ما أكرمه كما أن هذا يتضمن معنى ألا تدرون من هو الذى يرزقكم من السماء والأرض إنه الله الخلاق العليم والرازق المتين والمجير المغيث [٣] والشافى المعافى الكريم .

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾(الحديد: ١١)

وفى موضوع آخر " ﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾(البقرة: ٢٤٥)

فهذا يتضمن معنى الإشادة والإكبار له [٤]

إنه إن يقرض الله حقا أى يكن قرضه لله بمعنى ابتغاء رحمته

---

(١) راجع وقارن البحر ٥ /٥٠٩.
(٢) راجع وقارن البحر ٨ /٢٥٩.
(٣) راجع وقارن البحر ٨ /٢٥٩.
(٤) راجع وقارن البحر ٢ /٥٦٥ – ٥٦٦ ومعانى القرآن للفراء ١٥٧/١ والبحر ١٠/ ١٠٤.

ومرضاته ولوجهه الكريم سبحانه فإن له أن يضاعفه وفإن الله يحمد صنيعه ويعمد إلى أن يضاعفه ويعمل على أن يضاعفه أى بصفة مستمرة لا تنقطع وإلى يوم الدين.

ومن هذا الباب

﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(آل عمران: ١٣٥)

ألا تدرى من يغفر الذنوب فى حقيقة ونفس الأمر إنه ما أعزه وما أرحمه فإنه لا يغفر الذنوب حقيقة إلا الله وهل يغفر الذنوب من أحد إلا الله .

ففى لفظ من معنى الإشادة والاعظام والاكبار لرحمته سبحانه.

وأما أصحاب صكوك الغفران فهم أهل خداع ومكر وتضليل.

فهذا يتضمن معنى التوبيخ والتبكيت بهؤلاء الضالين المخادعين .

والتنديد بهم والطرد الابعاد لهم عن ساحة رحمته سبحانه [١]

إنه سبحانه وحده هو صاحب ذلك وهو الآخذ بزمامه وهو وحده المانح له دون ماسواه سبحانه

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾(غافر: ٧)

"ومن حوله " فيه معنى الإشادة بهم والإكبار والتزكية لهم فما أعزهم وما أكرمهم وما أطيبهم [٢]

ومما جاءت فيه "من" متضمنة لمعنى الذم والتبكيت أو خالصة فى بابه

﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾(الحجر: ٥٦)

أى إنه ما أشد يأسه ويؤسه إنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف مراعاة لذلك المضمر والمتضمن فى التركيب .

---

(١) راجع وقارن البحر ٣ /٣٤٢ ، ٣٤٩ والفراء ١/ ٢٣٤.
(٢) راجع البحر ٩ /٢٣٧ – ٢٣٨.

وفى هذا معنى الاستغراب والاستبعاد فالله عز وجل واسع الرحمة والمغفرة وقد ذكروا أنه استفهام معناه النفى [١]

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ (البقرة: ١٣٠)

أنه ما أضله وما أخزاه إذ إن ملة ابراهيم تقوم على التوحيد الصدوق الخالص وعلى العفة والطهارة وعلى نبذ الطاغوت والانبراء فى وجه الظالمين الطاغين ثم على سلامة القلب من الشرك ومن الحقد والحسد والضغينة .

إنه لا يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سَفّه نفسه نفسَه مثل سَبّ وذم وعاب نفسَه [٢] وأورثها خفة وسفها وحمقا وطيشاً .

فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف وقد ذكروا أنه استفهام معناه النفى ففى هذا انكار واستغراب وتعجب وقال سبحانه

﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (البقرة: ٢١١)

وهذا توعد وتحذير واستحلاف

كما أن هذا ما أضله وما أخزاه وما أطغاه إنه جاحد ضال معتوه مغرور معتد إنه يبدل أى يحرف كلمات الله من مواضعها ويغير قيم الله ويلوى عنق الحقيقة بشأن تنزيله ورسوله الأمين . [٣]

وكذا التلاعب برزق الله والعبث بمقدرات الشعوب والعبث فى أقواتهم ومثله قوله سبحانه

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ (المؤمنون: ١١٧) أى ومن يعبد مع الله إلها آخر فإنه ما أسوأه وما أضله إنه لا

(١) راجع وقارن البحر ٦ /٤٨٦.
(٢) راجع وقارن البحر ١ /٦٢٨ – ٣٢٩ والبحر ٣/ ٣٤٩ والفراء ١ / ٧٩.
(٣) راجع وقارن البحر ٢ /٣٥١.

برهان له به فالحجة عليه قائمة على أتم ما يكون ولذا فإن حسابه من نوع خاص فهنا نوع فصل صوتى خفيف لطيف كما قال سبحانه :

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (الشورى: ٢١)

﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢١) أى ليقال عنكم إنكم مشركون إذ إنكم أنتم بذا مشركون فى حقيقة ونفس الأمر

فهذا توعد واستحلاف وقال سبحانه :

﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ (القلم: ٤٤)

إنه ما أسوأه وما أضله وما أطغاه ففى هذا معنى التنديد به والتوعد له [١] كما قال سبحانه :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ (المدثر: ١١)

مثل دعنى أؤدبه لا يشغلك أمره ولا يعنيك ولا يؤرقك شأنه ومكره وكيده [٢] إنه ليس بشئ يُذكر .

﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ (الأنبياء: ٢٩)

ففى هذا معنى الاستبعاد الكامل والانتفاء التام عنهم والترفع بهم جميعا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

كما أنه يتضمن معنى التجذير والتنديد والتوعد والاستحلاف لمن يدعى الألوهية من هؤلاء الكفره العتاه الطغاه على الساحة .

فما أشد وما أقسى عذابه وما أسوأ ما ينتظره من تنكيل به [٣] .

﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٨) حتى من هم أئمة وقادة ورأسا وعلما لو أنه عرض لهم وشرك فى أى وقت أو فى أى

---

(١) راجع وقارن الفراء ٣ /١٧٧ – ١٧٨ والبحر ١٠ / ٢٤٨ .
(٢) راجع وقارن الفراء ٣ /٢٠١ والبحر ١٠ / ٣٢٨ .
(٣) راجع وقارن البحر ٨ / ٤٢٣ .

مرحلة من مراحل حياته أو فى أى موقف من مواقفهم أو بصدد أى مسألة وقضية فأن ذلك سيحبط حقهم فى الجنة ويذهب بأعمالهم سدى .

﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ (الأحزاب: ١٧) أى أو يحتوى عليكم أو يحجب فضله عنكم إن أراد بكم رحمة إنه إن أراد بكم سوءً يصبكم ولا كاشف له الا هو .

وإن أراد بكم رحمة لا مرد لأمره وإرادته سبحانه ولا مانع لرحمته ولاحاجب لفضله ولا سبيل لأحد لأن يحرمكم منه .

إنهم وقتها ليخذلون ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيراً .

قل من ذا الذى يعصمكم من الله إنه ما أخزاه وما أضله وما أشد غروره [١] ففى هذا معنى التبكيت له والتعجب من أمره وفيه معنى الاستخفاف به والتهكم والاستهجان له كما قال سبحانه .

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ (فاطر: ٢)

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ (يونس: ١٠٧)

● ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (الأنعام: ٩٣)

إن هذا ما أضله وما أسوأه فهذا سينزل به عقاب من نوع معين أو خاص – إنه لا شئ أى ليس بشئ يذكر ولا يعى شيئاً [٢]

فهذا سيرى ما مصيره وما ذا ينتظره من العذاب فإنا سننكل به كل التنكيل فهذا تبكيت .

● ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴾ (ص: ٦١)

---

(١) راجع وقارن البحر ٨ /٤٦٢ – ٤٦٣ .

(٢) راجع وقارن البحر ٤ / ٥٨٤ – ٥٨٥ والفراء ١ / ٣٤٤.

إنه ما أسوأ وما أضل من قدّم لنا هذا وما أشد حقده ففى هذا معنى البكاء على أنفسهم والتحسر والتندم والاشفاق على أنفسهم [١] كما قال سبحانه

﴿ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾(الصافات: ٣٢)

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾(النساء: ٨٩)

• ﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ ﴾(هود: ٩٣)

هذا يتضمن معنى ألا تدرون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب ومن يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم كما جاء قبل فى سورة هود أيضاً ﴿ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾(هود: ٣٩) ففى " مَنْ " معنى الاستفهام [٢].

(ب) مبحث "ما"

•• ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(الصافات: ٩٥ - ٩٦)

أى والله هو الذى قد خلقكم وماذا تعملون وأى شئ تعملون أى ما هذا العبث الذى أنتم فيه إن ما تعملونه لهو ضرب من اللهو واللغو والعبث والباطل . ففى " ما " معنى الاستفهام .

إنكم ما تعملون بشئ نافع أو بذى جدوى أو منه رجاوة حقيقية .

إن ما تنحتونه من الحجارة وما تصنعون منه زعامات وأباطرة ليس بشئ ذى قيمة إنه عديم الجدوى والنفع وما تعملونه لهو مضيعة للوقت والجهد بلا طائل [٣] فهذا طريقه المناقشة .

﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾(الطارق: ٩ - ١٠)

أى فأى شئ وأى قدرة وأى نصرة له إنه ماله من قدرة ذاتية ولا إجازة ممن أشرك بهم مع الله .

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ١٦٩ .
(٢) راجع وقارن الفراء ٢ / ٢٦ والبحر ٦ / ٢٠٢ ..
(٣) راجع وقارن البحر ٩ / ١١٢.

إنه يسيطر عليه الإحباط والإجهاض والخذلان .

إى إنه يوم تبلى السرائر يكبل ويوثق ويؤخذ بزمامه وينقطع أمله ورجاؤه ويستسلم كل الاستسلام وتراه ضاويا حزينا .

ففى " ما " – " فماله" معنى الاستفهام وهو سابق ومتقدم فى الذهن على معنى النفى (١) كما قال سبحانه

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(النور: ٢٤)

﴿ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(يس: ٦٥)

"ارجلهم " أى أعضاؤهم الذكورية .

﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (فصلت:٢١) " لجلودهم " أى لفروجهم وأعضاءهم الأنثوية

فيوم تبلى السرائر تتكشف الخفايا وتؤمر الأعضاء الذكورية والأنثوية بالنطق بما قد كان فما له أى شئ من حجة أو دفاع أو أنكار "

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾(النساء: ٤٢) " تسوى الأرض " أى تدور بهم وتجعلهم فى بطنها .

إنه يصاب بالإحباط الكامل والإنهيار التام من فوره ويتخلى الجميع عن نصرته بمجرد الإطلاع على هذه الحقائق والخبائث .

• ﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾(يس: ٣٥)

إى إنا قد أنبتنا لهم ما أنبتناه من النخيل والأعناب ليأكلوا من ثمره –

" وما عملته أيديهم " بمعنى وأى شئ عملته أيديهم يحق لهم به أو يعطيهم الأحقية فى هذا التطاول وذلك الغرور إنه ما عملته أيديهم وإنما قد عملته وصنعته أيدينا نحن إن ما عملته إيديهم ليس بشئ يذكر بجانب ما علمناه بأيدينا .

---

(٣) راجع وقارن البحر ١٠ /٤٥٢ – ٤٥٣ .

وأى شئ عملت أيديهم إنه ما عملت أيديهم إلاَّ ما قد خلقناه وأبدعناه نحن [١] فالذى قد عملته أيديهم هو مما خلقناه وقدرناه وأبدعناه وهيأنا نحن لهم فهم قد قاموا بالتعمل فى بعضه وتهيئته وإعداده للمطعم كما قال سبحانه

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ (يس: ٧١)

ومعنى الاستفهام فى " ما" هنا سابق على معنى الموصلية فيها .

فهم قد مرَّسوا وعجنوا وخبزوا الشئ مما قدره وخلقه الله لهم .

ومن الثمار ما يؤكل غضا رطبا من فوره دون تمعل فيه كما قال سبحانه ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾(الأنعام: ٩٩)

إى وانظرو إلى نضجه فى عتق وتَقَنُّع وخفة وطرافة .

﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: ١٠١) بمعنى وأى شئ تغنى أى تدفع وتنفع المعدات الثقيلة ووسائل الإنذار المبكر عن هؤلاء الطغاه المعتدين إنها لن تغنى عنهم شيئاً [٢]

كما قال سبحانه :

﴿ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾(الأنفال: ١٩)

أى مهما كثرت أى تعاظمت وتكاثرت كما قال تعالى

﴿ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴾(الجاثية: ١٠)

﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ هود: ١٠١ ففى ما معنى الاستفهام [٣]

● ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾(الأعراف: ٤٨)

أى شئ أغنى عنكم جمعكم أى حشدكم الحشيد والكثيف وما كنتم

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ /٦٥ والفراء ٢ / ٣٧٧.
(٢) راجع وقارن البحر ٦/ ١٠٩ – ١١٠ .
(٣) راجع وقارن البحر ٦/ ٢٠٧ – ٢٠٨ .

تستكبرونه أى تستعظمونه أى تستعظمون أمر كونه إلى جواركم وذا ولاء لكم وارتباط وتحالف معكم من كبراء القوم وطغاه العصر وعتاد وتعلون من شأنه ومن تعظيمه .

إنه ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون من شئ فما أهونه وما أشد إذلالكم (١)

* ﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ (القمر: ٥) بمعنى أى شئ تغنى النذر أى تجدى التحذيرات وقد قست وتحجرت قلوبهم وقد جاءتهم هذه الحكمة البالغة التى هى غاية فى بابها وأى شئ تغنى النذر أى تحول وتمنع وسائل الإنذار المبكر دون نزول عذاب الله بهم إنها ما تغنى من شئ مهما كنت حدتها ورهافتها (٢)

وقال عز وجل :

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (يس: ٦)

أى ما أنذر آباؤهم بمعنى الذى أُنذر به .آباؤهم الأقدمون وكما أُنذِر آباؤهم الأقربون فهم غافلون .

"فما" النافية متضمنة لمعنى الموصولية (٣)

* ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ (يس: ٢٦ - ٢٧)

أى ياليت قومى يعلمون بغفران ربى لى وجَعْلِى من المكرمين أى بحالتى التى صرت إليها وبأى شئ غفر لى ربى .

فتزداد قوة إرادتهم وتشتد عزيمتهم فى سبيل التفانى فى نصرة رسل الله ودفع الشر والأذى عنهم وإخلاصهم النصيحة مهما كان الثمن باهظا أو فادحاً (٤)

---

(١) راجع وقارن البحر ٥ / ٥٩ - ٦٠ والفراء ١ / ٣٧٩.
(٢) راجع وقارن البحر ١٠ /٣٥ والفراء ٣ / ١٠٤ .
(٣) راجع وقارن البحر المحيط ٩ / ٤٩ .
(٤) راجع وقارن ٩ / ٥٨.

ومن باب "ما " المتضمنة لمعنى الاستفهام بل إن معنى الاستفهام فيها متقدم وسابق على معنى النفى

﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ (عبس: ٧) يتضمن معنى وأى شئ عليك إنه ما عليك من شئ إن تأبى عن أن يَزَكّى وما هذا الإصرار منه على ألا يَزَكّى أى أن لن يَزَكّى ففى " ما " معنى الاستفهام (١)

﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (غافر: ٨٢)

بمعنى فأى شئ أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من عدة وعتاد وإثارة للأرض ومن مرأى ورئيى وأثاث ومنتدى .

إنهم ما أغلى عنهم من شئ وما كفاهم شيئاً وما نفعهم فى شئ وقد قالوا إنها شرطية – استفهامية – نافية (٢) .

﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ (المسد: ٢)

بمعنى أى شئ قد أغنى عنه ماله وأى شئ أغنى عنه ما كسب إنه ما أغنى عنه ماله وما أغنى عنه ما كسب من شئ " وما كسب " أى وما قد ظنه مكسبا وهو بقاؤه على عهده مع قومه للمحافظة على مكانته ووضعه فى قومه من جاه وسلطان ونحو ذلك (٣)

﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ۝ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ (الحاقة: ٢٨ - ٢٩)

ففى " ما " معنى الاستفهام وهو سابق ومتقدم على معنى النفى فيها (٤)

وفى حديث عن املاك عاد قوم هود ولقد مكناهم فيما إن ملكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصاراً وأفئدة

﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤٠٧ – ٤٠٨ والفراء ٣ / ٢٣٦.
(٢) راجع وقارن البحر ٩ / ٢٧٦ .
(٣) راجع وقارن البحر ١٠ / ٥٦٦ والفراء ٣ / ٢٦٨ .
(٤) راجع وقارن البحر ١٠ / ٢٦١.

بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾(الأحقاف: ٢٦) فهذا الحواس التى قد متعهم الله بها على نحو خاص أو متميز لم تُجْدِ ولم يستفيدوا بها حق الاستفادة [١] بل كانت وبالاً عليهم جراء عتوهم وطغيانهم .

وفى حديث عن أصحاب الحجر ثمود قوم صالح

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(الحجر: ٨٣ - ٨٤)أى يكتسبون ويصنعون [٢]

* ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾(الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧) فلفظ " ما " هنا فيها معنى الاستفهام وهو متقدم على معنى النفى فيها .

ثم جاءهم ما كانوا يوعدون " أى صادفهم سوء مصيرهم وجُعلوا فى اليحموم والجحيم هل مُتِعوا حقا وهل استفادوا شيئاً وهل أغناهم ذلك شيئاً [٣]

* ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾(الليل ٨-١١) بمعنى وأى شئ يغنى عنه ماله إذا اشرف على الاخذ والهلاك والتردى فى اليحموم .

إنه ما يغنى عنه ماله فى شئ .

ففى " ما " معنى الاستفهام مهو متقدم وسابق فى النفس على معنى النفى فيها فهو يأتى أولاً ثم يأتى النفى ثانياً .

أى ثم تقال أو تقرأ الآية بالنفى [٤]

﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(الزمر: ٥٠)

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ٤٤٧ والفراء ٣ / ٥٦.

(٢) راجع وقارن البحر ٦ /٤٩٢ .

(٣) راجع وقارن البحر ٨ / ١٩٣ .

(٤) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤٩٣ والفراء ٣ / ٣٧١.

أى يحصلون من الأموال ويحققون من الثروات .

أى تلك المقوله " إنما أوتيته على علم عندى" وكيف يغنى هذا وخاصة مع سوء وقبح ما كانوا يكسبون (١)

فأى شئ أغنى عنهم هذا القول وذلك الإدعاء هل أعفاهم أو نفعهم فى شئ . إنه ما أغنى عنهم شيئاً .

﴿ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾(يوسف: ٦٧) بمعنى وأى شئ أغنى عنكم من الله إننى ما أغنى عنكم من الله من شئ إنه ما من شئ منه إلا بحقه وبحكمة حكيمة .

وما من شئ من الله إلاّ وهو نافذ لا محالة (٢)

﴿ مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾(يوسف: ٦٨)

بمعنى أى شئ كان يغنى عنهم هذا التصرف وذلك الاحتيال أنه ما كان يغنى عنهم من الله من شئ أراده الله بهم أولهم (٣)

● ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ (الأنعام٥٢)

أى فلست حملا أو ثقلا عليهم أو وصاة عليك هذا مضمونه ماذا عليك وأى شئ عليك أى من حمل وثقل ومن قدر من حسابهم إنه ما عليك من حسابهم أى شئ أو أدنى شئ .

فتطردهم فلا تظلمهم ولا تسئ الظن بهم فإنك أن تعمل على أن تطردهم فإنك ما تلبث أن تكون من الظالمين ففى هذا معنى الايقاظ والتنبيه ولفت النظر إلى وجوب المضاعفة من إكرمهم والخطوة والحفاوة بهم والتمسك بقربهم(٤)

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ٢١١.

(٢) راجع وقارن البحر ٦ / ٢٩٦.

(٣) راجع وقارن البحر ٦ /٢٩٨ - ٢٩٩.

(٤) راجع وقارن الفراء ١ /٣٣٦ والبحر ٤ / ٥٢٢ - ٥٢٤ .

• ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾(الشورى: ٤٤)

ألا تدرى من يضلل الله من هو أو ما هو إنه ما أخزاه وما أسوأه إنه أضلله بحقه فما له من ولى وخاصة من بعد استنفذاه لكل وسائل هدايته وفتحه للمنافذ أمامه (١) وفى موضوع آخر

﴿ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴾(الشورى: ٤٦)

أى مخرج " فما له " أى فماذا له وأى شئ له إنه ما له من حق فى الهداية (٢) ولا فى الخروج من الضلالة إنه قد عقد عزمه وأصر على ما هو ضلالة وطغيان ففى " ما " معنى الاستفهام .

فى حديث عن الطلاق بعد العقد وقبل المس أو الدخول بالنساء

﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾(الأحزاب: ٤٩)

هذا يتضمن معنى فأى شئ لكم عليهمن إنه مالكم عليهن من عدة فكيف تعتدونها أى فكيف تحصونها عليهن إنه ليس من حقكم ذلك شرعا ولأى شئ تحملونها على أن تعتد وهى لم تمس أصلاً ففى " ما " معنى الاستفهام (٣)

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾(التين: ٧ - ٨)

أى أليس الله بأعدل وأحذق حكما أنه سبحانه ما أعد له وما أحذق حكمه من حكم فى كافة القضايا المعضلة والمطروحة على الساحة (القدس وسيناء) وهذا يتضمن معنى فمن يكذب بعد هذا البيان وذلك التوضيح الشافى الكافى فهذا انكار واستبعاد إن من يكذبك ما أضله وما أطغاه .

وإنه ما يكذبك تكذيبا حقا نابعا من لب وذات نفسه ولكنه الكبر والمراوغة والعناد .

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ٣٤٦.
(٢) راجع وقارن البحر ٩ / ٣٤٦ – ٣٤٧.
(٣) راجع وقارن البحر ٨ / ٤٨٩ – ٤٩١.

إن من يكذبك بعد بالدين ليس بشئ يذكر [١] وما يكذبك به لهو الضلال ذاته والمراوغة والمكر ذاته كما قال سبحانه

* ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(القلم: ٤٤)

﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾(المطففين: ١٢)

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(الأنعام: ٣٣)

أى قد علمنا وسنظل نعلم ذلك علم اليقين فإنهم لا يكذبونك أى بالنظر إلى شخصك فى حد ذاته ولكنهم يريدون التحلل من القيم والضوابط الشرعية.

* ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾(يوسف: ١٠٤)

هذا يتضمن معنى وأى شئ تسألهم عليه أى على الإيمان بالله إنك ما تسألهم عليه من أجر بمعنى أدنى أجر أو أى أجر .

إنه ما من أجر إلا ورب العالمين هو الذى يمنحك إياه وهو صاحب كل فضل .

فلفظ " ما " متضمن لمعنى الاستفهام [٢] ومعنى الاستفهام فيها أسبق ومتقدم فى الذهن على معنى النفى .

كما أن القرآن ليس بدعا ولا لغوا (والعياذ بالله) إنه ما هـو إلاَّ ذكـر للعالمين أى للناس أجمعين على نحو مؤكد أو بكل تأكيد .

كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ﴾(سبأ: ٤٧)

بمعنى أى شئ سألتكم عليه إننى وإنه ما سألتكم عليه من أجر بمعنى

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٥٠٤ والفراء ٣ / ٣٧٧ .
(٢) راجع وقارن البحر ٦ / ٣٣١ .

أدنى أجر وأى من أى نوع أو جنس كان [١]

﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ (الشعراء: ١٠٠ - ١٠١)

أى فأى شئ لنا وأى مخرج لنا وأى حق لنا وأى مجير لنا (فهذا استجارة واستغاثة وتأسف وتحزن)

إنه ما لنا من شافعين ولا صديق حميم [٢]

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (الشورى: ٣٦)

هذا يتضمن معنى فأى شئ أو تيتم – إنكم ما أوتيتم من شئ حق قيّم معتمد معتبر حقا مما تذخر وتفيض به خزائن الله إنه لهو شئ هين نذر يسير قليل ضئيل فإن ما أوتيتم لهو متاع الحياة الدنيا [٣]

﴿ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ (سبأ: ٤٥)

أى إن هؤلاء المتطاولين فى الأرض ما وصلوا فى تقدمهم وحضارتهم إلى عشر العشر مما بلغ إليه عاد وثمود وفرعون فكذبوا رسلى فكيف كان نكير أى ومع ذلك لما كذبوا رسلى نكلنا بهم كل التنكيل أى فكيف كان التنكيل بهم والحملة عليهم .

كما قال سبحانه : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ (الدخان: ٣٧) فإن رزية الإجرام وراء إهلاك الأمم .

" وما بلغوا " أى وأى شئ بغلوا إنهم ما بلغوا من شئ يُذْكر [٤]

﴿ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ﴾ (غافر: ٥٦)

أى حب سيادة وسلطان وسيطرة عالمية ما هم ببالغيه أى سيحال بينهم

---

(١) راجع وقارن البحر ٨ / ٥٦٢.
(٢) راجع وقارن البحر ٨ / ١٧٠ .
(٣) راجع وقارن البحر ٩ / ٣٤٢.
(٤) راجع وقارن البحر ٨ / ٥٥٩ .

وبينه ولن يحققوا منه شيئاً ولن يكونوا بسبب إلى الوصول إليه فى شئ .

﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴾ (ص: ١٥)

أى ألا تدرى أى شئ ينظر أى يرتقب هؤلاء وينتظر هؤلاء إنه ما ينتظرهم إلا صيحة واحدة أى ضربة واحدة قاضية وبطشة واحدة وآخذه واحدة .

" مالها من فواق " أى ما منها من إفاقة ومالها من مقاوم (١)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ ﴾ ا(النجم: ٢٧ - ٢٨) أى يسمونهم باسماء مؤنثة ويتوسمون منهم كذلك فهم غارقون فى اللهو والعبث والشهوات وهذا هو كل همهم وشغلهم الشاغل والذى يسيطر على فكرهم .

وأى شئ له بذلك من علم إنه ما لهم بذلك إدنى علم أى دراية وليس عندهم أى شئ من العقلانية الحقة .

ففى " ما " وما لهم به " معنى الاستفهام (٢)

﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الإسراء: ٦٤)

هذا يتضمن معنى ألا تدرى أى شئ يعدهم الشيطان وماذا يعدهم الشيطان أى الأكبر إنه ما يعدهم الشيطان أى يمنيهم إلا غروراً أى إلا بما هو غرر وخداع وتضليل لا أصل له ولا حقيقة تحته (٣)

﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ (الأعراف: ١٣)

أى فماذا يكون لك وأنا لى عليك من الفضل ما لى وأى شئ كان لك وأى حق كان لك وهى جنة الله وهى خلق الله فهى ملك لله إنه لاحق لك فى شئ منها .

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ١٤٤ .
(٢) راجع وقارن البحر ١٠ / ١٩.
(٣) راجع وقارن البحر ٧ / ٨٠ – ٨١ .

فأنى لك أن تتكبر فيها وكيف يكون منك أن تعمل وأن تعمد إلى أن تتكبر فيها [١]

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾(الأعراف: ١٨٤)

بمعنى أي شئ بصاحبهم أي برسولهم ذى الصحبة والمصاحبة الصادقة المخلصة إنه ما بصاحبهم أي شئ من جنة .

﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن ﴾(سبأ: ٤٦)

بمعنى أي شئ بصاحبكم أنه ما بصاحبكم أي شئ من جنة [٢] كما قال سبحانه ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾(القلم: ١ - ٢)

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (النجم: ٢) أي بل هو كالنجم الثاقب .

ثم تفكروا وتأملوا مدى عظمة صاحبكم وتستعرضوا مواقفه وأحواله وأخلاقه وصفاته هل به من جنة أنه ما به أي شئ من جنة أي من مس أو لمس أنه إعجوبة ونبوءة زمانه إنه غاية في الرشاد والسداد واستواء الاخلاق[٣]

ما أنت بحق عظمة نعمة ربك بسبب الى الجنون في شئ فهذا قسم إنه ما أغرك وما أكرمك وما أعقلك بحق عظمة نعمةُ ربك وبنعمة ربك عليك[٤]

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾(الحشر: ٦)

معناه وما أفاء الله على رسوله من الظالمين والماكرين المتآمرين عليكم قد كان فضلا محضا ومنحة ومكرمة من الله رب العالمين خاصة وقد ساقه إليكم غفلاً دون أن تشحذ له خيلكم أو شئ من ركابكم .

فما أوجفتم عليه " بمعنى فأي شئ كان منكم في السيطرة والغلبة عليه إنه ما كان منكم من حشداً أو شحذ خيل ولا ركاب .

---

(١) راجع وقارن البحر ٥ / ١٨ – ١٩.
(٢) راجع وقارن البحر ٨ / ٥٦٢ والفراء ٢ / ٣٦٤.
(٣) راجع وقارن البحر ٥ / ٢٣٤ .
(٤) راجع وقارن البحر ١٠ / ٢٣٥ – ٢٣٦.

ولكنها إرادة رب العالمين المحضة (١)

ففى " ما " من قوله فما أوجفتم عليه – معنى الاستفهام

* ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾(الأنبياء: ٦٥) هذا يتضمن معنى لقد علمت أى شئ هؤلاء وأمر وشأن هؤلاء وما صفة وحقيقة هؤلاء أينطقون إنك لتسخر منا إن ما هؤلاء ينطقون ففى " ما" معنى الاستفهام (٢)

آل عمران ١٣

فهذا يتضمن معنى أى نفع وأى خير لكم فى المنافقين إنه مالكم فيهم من خير أو نفع .

وإنه ما أعز وما أحق موقفكم فى شأن أو بشأن المنافقين إنهم حقا قد كانوا فئتين أى فريقين وفصيلتين .

فكلاكما على حق بشأنهما (٣)

﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾(الفرقان: ١٩)

بمعنى فأى شئ يستطيعون إنهم ما يستطيعون صرفا أى انصرافا وانفلاتا وحيلة ولا يستطيعون نَصْرا أى انتصاراً وانتصافاً فقد حُجِرَ عليهم وأحدق بهم وكتب عليهم الذل والخزى والحسرة والهوان (٤)

﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾(الملك: ٣) بمعنى أى شئ ترى فى خلق الرحمن إنه خلق محكم بديع عجيب إنك ما ترى فى خلق الرحمن أدنى تفاوت أى انفتاق أو ضعف ولا أى شئ من خلل أو اختلال فقد توازن واتسق غاية الاتزان والاتساق (٥)

ومما هو متضمن لمعنى الاستفهام قوله سبحانه :

﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (القلم: ٥٢)

---

(١) راجع وقارن البحر ٣ / ٤٢٢.
(٢) راجع وقارن الفراء ٢ / ٢٠٧ والبحر ٧ / ٤٤٩.
(٣) راجع وقارن الفراء ١ / ٢٨١ .
(٤) راجع وقارن البحر ٨ / ٩٣.
(٥) راجع وقارن البحر ١٠ / ٢٢١.

أى وأى شئ هو إنه هو ما هو أى وما أعظمه وما أكرمه وما أطيبه وما أوفاه [١]

إنه ما كان عبثا ولا لغوا ولا باطلا ولا شعراً ولا سحراً ولكنه ذكر للعالمين .

﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾(المطففين: ١٢)

أى ومن يكذب به إنه ليس بشئ يذكر وإنه طاغية إنه ما يكذب به إلا كل معتد أثيم :

أى ليكون فى منآى عن تطبيقه عليه وإلزامه بحدوده [٢]

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾(العنكبوت: ٤٣) بمعنى أى شئ يعقلها ومَنْ يعلقها إنه ما يكاد يعقلها أى يتفهمها ويتبصرها إلا العالمون[٣]

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (سبا: ٤٨ - ٤٩) بمعنى وأى شئ يبدى الباطل وأى شئ يعيد إنه ما يبدى الباطل وما يعيد أى لا يكون منه ولا له أدنى كر ولاثبات لافى إول الأمر ولا فى آخره [٤] فقد جاء الحق وظهر وعلا على كل شئ .

﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾(سبا: ٤٩)

بمعنى أى شئ يبدئ الباطل مثل يبدع ويفعل ويصنع وأى شئ يعيد أى يدحض وأى كرة له .

إنه ما يبدئ الباطل وما يعيد [٥]

" بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق " (الانبياء ١٨)

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٢٥٠.
(٢) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤٢٨.
(٣) راجع وقارن البحر ٨ / ٣٥٨ – ٣٥٩ .
(٤) راجع وقارن البحر ٨ / ٥٦٣ – ٥٦٤.
(٥) راجع وقارن البحر ٨ / ٥٦٣ – ٥٦٤ .

﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(يوسف: ٢٥)

أى وأى شئ وماذا جزاء من أراد بأهلك سوءً أنه ما جزاء من أراد بأهلك سوءً إلا أن يسجن [١] فليكن جزاءه على أشد من يكون وهل جزاءً .

• ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ﴾ (البقرة: ٨٥) بمعنى فماذا جزاء وأى شئ جزاءُ إنه ما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزىٌ [٢]

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾(يونس: ٨٣)

أى ذرارى من النشأ أى أحداث وقلة قليلة ولكنهم أكرمون أعزاء قد جاد مسقط رأسهم وقويت إرادتهم . فهم نسل من جيل سابق وسيكونون مادة ومداداً لجيل لاحق "فما آمن لموسى" أى من هم إنهم هم من هم [٣]

﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ﴾(إبراهيم: ٢٢)

بمعنى وأى شئ كان لى عليكم إنه ما كان لى عليكم من سلطان [٤]

﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾(غافر: ٤)

أى تدرى من هو الذى يجادل فى آيات الله إنه ليس بشئ يذكر

﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾(الشعراء: ٩٩ - ١٠٠)

أى أى شئ أضلنا وماذا أضلنا إنه ما أضلنا إلا المجرمون " فمالنا" فأى شئ لنا بعد أن ضللنا هذا الضلاله إنه مالنا من شئ وما لنا من شافعين أى متعاطفين معنا فى موقفنا [٥]

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾(النبأ: ٤٠)

بمعنى أى شئ قدمت يداه والذى قدمت يداه فإذا به يجد نفسه أنه ما

---

(١) راجع وقارن البحر ٦ / ٢٦٠.
(٢) راجع وقارن البحر ١ / ٤٧٢.
(٣) راجع وقارن البحر ٦ / ٩٤ والفراء ١ / ٤٧٦ .
(٤) راجع وقارن البحر ٦ / ٤٢٨ والبحر ٩ /٥٣٨.
(٥) راجع وقارن البحر ٨ / ١٧٠ – ١٧١.

قدمت يداه من شئ يُذْكَر أو يعول عليه (١)

ومثله قوله سبحانه : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾(التكوير: ١٤)

إنها تقف وتنظر فى استغراب ودهشة واستنكار وتسأل نفسها أى شئ أحضرت (٢)

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾(الانفطار: ٥)

بمعنى أى شئ قدمت وأى شئ أخرت والذى قدمت والذى أخرت إنها لم تقدم شيئاً له قيمة ووزن وثقل ولم تؤخر شيئاً ذا جدوى ونفع وكيان(٣)

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾(القيامة: ١٣)

بمعنى بأى شئ وبأى هدف وغرض ونية وقصد ولأى سبب قد قدم ما قدم وأخَّر ما أخَّر (٤)

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(الأنعام: ١١٧) أى كنه وكيان من يضل عن سبيل ومن هو وماكيانه وما غرضه وما قصده وما حاله .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾(العنكبوت: ٤٢)

بمعنى أى شئ يدعون من دونه وماذا يدعون من دونه ما طبيعته ما كيانه ما حقيقته ما قدراته والذى يدعون من دونه إنهم ما يدعون من دونه ليس بشئ ذى جدوى وقيمة وكيان (٥) وليس بشئ يذكر مهما كان اغترارهم به وإكبارهم له .

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٢) أى وهل كنت لديهم إنك ما كنت لديهم فإنهم قد أجمعوا وعقدوا

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٣٩١.

(٢) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤١٧ والفراء ٣/ ٢٤١ .

(٣) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤٢١ ، ٣٤٧ ، ٤١٧ والفراء ٣ / ٢٤٤.

(٤) راجع وقارن البحر ١٠ / ٣٤٧ والفراء ٣ / ٢١٠.

(٥) راجع وقارن البحر ٨ / ٣٥٨ والتبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ٢ /٣١٠ ط دار الفكر القاهرة .

العزم على قتله فخلصناه من أيديهم وأخرجناه من مخالبهم وبراثنهم بحكمة حكيمة وإرادة عليا وهم يحملون بين جذباتهم من المكر ما يحملون[١]

ومثله قوله سبحانه

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (القصص: ٤٤) بمعنى وهل كنت بجانب الغربى – وهل كنت من الشاهدين إنك ما كنت بجانب الغربى وما كنت من الشاهدين لذلك [٢]

" بجانب الغربى " أى بجانب هذا الركن الأعز .

﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ـ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ (يس: ٢٦ - ٢٧) بمعنى بأى شئ غفر لى ربى والذى غفر لى به ربى أنه سبحانه ما أرحمه وما أكرمه وما أكثر سماحته وغفوه وما أعظم مثوبته [٣]

﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴾(الذاريات: ٤٥)

بمعنى فأى شئ استطاعوا وماذا استطاعوا إنهم ما استطاعوا من قيام أى من مجرد القيام [٤] أى أدنى استطاعة .

إننا فعلنا ولم يكن لهم قدرة على القيام بشئ إزاء ما فعلنا بهم من تنكيل وتدمير .

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾(يوسف: ٦٥)

بمعنى أى شئ نبغى إننا لا نبغى شيئاً يستدعى منك هذا الموقف منا وذلك الانكار علينا [٥] وهذا التشدد معنا أو بإبراز مطلبنا .

إنا نريد أن نأتى بالمزيد بعد المزيد من الميرة وإنا لنحفظ أخانا ايما حفظ .

---

(١) راجع وقارن البحر ٦ / ٣٣٠ – ٣٣١.
(٢) راجع وقارن البحر ٦ / ٣٣٠ – ٣٣١ والبحر /
(٣) راجع وقارن البحر ٩ / ٥٨ والفراء ٢ / ٣٧٤ .
(٤) راجع وقارن البحر ٩ / ٥٥٩.
(٥) راجع وقارن البحر ٦ / ٢٩٦ والفراء ٢ / ٤٩.

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (السجدة: ١٧)

بمعنى أى شئ أخفى لهم وماذا أخفى لهم والذى أخفى لهم أن ما أخفى لهم لهو من قرة أعين أى لهو من العظمة والجودة والحسن والكمال بمكان[١].

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾(الأنفال: ٧٢)

بمعنى أى شئ لكم من ولايتهم وأى نفع وأى جدوى وأى غرض إنه ما لكم من ولايتهم من شئ .

فلتعتزلوهم حتى يهاجروا أى يهجروا أهل المعاصى [٢]

﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾ (الملك: ٩) بمعنى أى شئ نزل الله وماذا نزل الله إنه ما نزل الله من شئ بمعنى أى شئ [٣]

وما نراكم على حق فيما أنتم بصدده بل أنتم لفى ضلال كبير إن أنتم إلا فى ضلال كبير .

وهذا فيه ما فيه من الإفراط فى الإنكار .

﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾(النجم: ٥٠ - ٥١)

بمعنى فأى شئ أبقى وماذا أبقى هل أبقى شيئاً إنه سبحانه ما أبقى شيئاً أى لم يدع منهم أحداً ولا ترك لهم مُلْكاً [٤]

فتلك عاد الأولى وهذه عاد الأخرة وتلك ثمود الأولى وهذه ثمود الآخرة

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(النحل: ٣٣)

بمعنى وفى أى شئ ظلمناهم وأى نوع من الظلم ظلمناهم أخبرونا إنا ما ظلمناهم فى شئ.

---

(١) راجع وقارن البحر ٨ / ٤٣٧.
(٢) راجع وقارن البحر ٥ / ٣٥٧ – ٣٥٨ والفراء ١ / ٤١٨ – ٤١٩.
(٣) راجع وقارن البحر ١٠ / ٢٢٤.
(٤) راجع وقارن البحر ١٠ / ٢٦ – ٢٧ .

وفى موضوع آخر ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ (هود: ١٠١)

ومثله قوله سبحانه : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(الزخرف: ٧٦) بمعنى وأى شئ ظلمناهم (١)

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ (الحشر:٦) بمعنى فأى شئ أوجفتم مثل أوقفتم عليه وأعددتم له إنكم ما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب .

ولكنه جاء بطريق عضوى محض بإرادة وتقدير رب العالمين (٢)

فهو حق لله ولرسوله فلا تطالبوا بنصيب وحظ منه .

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ (التوبة: ٥٤)

بمعنى وأى شئ منعهم من أن يجعلوا أنفسهم بمعرض أن تقبل منهم نفقاتهم أى وما منعهم من أن يدخلوا إلى ساحة الإيمان الحق القويم وما منعهم من أخذ أنفسهم بأسباب القبول .

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧) إنه ما منعهم من أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله (٣) وقبله

﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٥٣)

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾(المدثر: ٤٨)

بمعنى أى شئ ينفعهم وفى أى شئ تنفعهم وبأى وجه وبأى حق تنفعهم

---

(١) راجع وقارن البحر ٩ / ٣٨٨ – ٣٨٩ والفراء ٣ / ٣٧

(٢) راجع وقارن البحر /

(٣) راجع وقارن البحر ٥ / ٤٣٥ .

استجارتهم واستغاثتهم بعد كل هذا أنهم لم يصلوا ولم يطعموا المسكين وكانوا يخوضون مع الخائضين أى يلهون ويلحدون مع الملحدين إنهم وإنه ما تنفعهم شفاعة الشافعين لأنهم لم يجعلوا أنفسهم بسبب إليها أو بصددها [١]

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(التكوير: ٢٩)

بمعنى وأى شئ تشاؤون وماذا تشاؤون وأى مشيئة لكم وأى إرادة لكم وأى قوى وقدرة وحيلة لكم .

إنكم ما تشاؤون إلا أن يشاء الله .

إى أنكم ما تشرعون فى شئ وما تُنشئون شيئاً ولا يطاوعكم شئ إلا بعد أن يأذن الله به أوفيه [٢] وبعد أن يريده سبحانه .

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾(الشمس: ٥ - ٧) ففى لفظ " ما " معنى الإشادة والاعظام والإكبار ونفس مؤمنة تقية صالحة ذكية – عزيزة أبية مجاهدة موحدة لله حق توحيدة .

إنه سبحانه عظيم بالغ العظمة وصنعه سبحانه عظيم بالغ فى العظمة[٣] والكمال على نحو متطاول يؤثر النفوس .

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (النجم: ١٠)

أى إنه لا يكاد يحاط بكنهه فقد تعال أمره فى بابه فما أدراك بمدى عظم وكرم ما أوحى وما أدراك بكثرة ووفرة ما أوحى .

فهذا يتضمن معنى الاشادة والاعظام والإكبار بما أوحى سبحانه لرسوله .

إنه يُبْهر العقول [٤] فالله عز وجل قد أودع فى صدر عبده ما أودع وملأ قلبه بالحكمة وضاعف من قوى بصيرته وذكاوته عليه الصلاة والسلام.

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠ / ٣٣٩.
(٢) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤١٩.
(٣) راجع وقارن البحر ١٠ / ٤٨٦.
(٤) راجع وقارن البحر ١٠ / ١١.

كما قال سبحانه : ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾(النجم: ١٦)

أى مما يُبْهر العقول ويثرى القلوب والأرواح وتُسَرُّ وتبتهج به النفوس ففى لفظ "ما" معنى الاعجاب والاشادة والتمجيد والإعظام والأكبار .

إنه ما أعظم وما أعز وما أكرم ما يغشى السّدرة إنه يغشاها ما لا يحاط بكنهه (١)

﴿ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ (ق: ٣٣)

هذا يتضمن معنى الاشادة والإعظام والإكبار والتمجيد (٢)

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾(الأحزاب: ٢٣)

أى فى مواجهة ومقاتلة الاحزاب أى عصبة الكفر .

ففى هذا معنى الاشادة والتمجيد

فما أعز وما أكرم وما أطيب وما أحق ما عاهدوا الله عليه .

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾(النور: ٣٧)

وقال سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ — فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴾(النجم: ٥٣ ـ ٥٤)

فهو طام غامر كثير وافر قد تطاول أمره فى باب التنكيل بهم والخزى فما أكثره وما أطَمّه وما أعتاه (٣)

أهوى أى أطاح وأطار بها وخف بها فى أجواء الفيافى والوديان .

كما قال سبحانه

﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾(طه: ٧٨) إنه ما أطم ماغشيهم وما أغنى ما غشيهم وما أطغى ما غشيهم أى احتواهم وعلاهم واشتمل عليهم .

---

(١) راجع وقارن البحر ٧ / ٣٦٣ ، ١٠ / ١٣.
(٢) راجع وقارن البحر ٩ / ٥٣٩.
(٣) راجع وقارن البحر ١٠ / ٢٨.

ففى لفظ " ما " إعلام بشدة الهول وفظاظة وفظاعة الموقف وغلظ وشدة هيجان ما نتابهم وشدة تطاوله واتساعه وانه قد عشيهم مالا يعلم كنهه إلا الله (١) ففيها معنى التعجب من كثرة هوله .

إنه أمر مُحزن للغاية تتكسر منه القلوب وتتصدع النفوس

﴿ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ (الأحقاف: ٣٥) أى ساعة من نهار مثل من يوم طويل غاية فى الطول (وهو مدى الدهر جماع الدنيا والآخرة)

فإنه مهما تماد بهم العمر وامتدت بهم الحياة ومهما تمتعوا أخذاً وبيلا كما أخذ الفراعنة وما يلبثوا أن يصيروا أمام الساعة والقيامة والمحاسبة .

فإن نهارهم قصير غاية فى القِصَر

﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾(لقمان: ٢٤)

﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(الجاثية: ١٠) أى فظ فظيع .

---

(٣) راجع وقارن البحر ٧ / ٣٦٢ – ٣٦٣.

الباب الرابع

ظاهرة الخبر الاستفهامي (الاستفهام الضمني)

يُقصد بمصطلح الخبر الاستفهامي الخبر المتضمن لمعنى الاستفهام أي ما لفظه الخبر ومعناه الاستفهام .

لقد جاءت آيات في القرآن الكريم لفظها لفظ الخبر ولكنها في حقيقة ونفس الأمر جملٌ استفهامية وقد تضمنت معنى الخبر حيث إن الاستفهام أسبق ومتقدم في النفس على معنى الخبر إذ الخبر يكون جوابًا له .

ومن هذا ما هو صريح تلقائي أو شبه صريح بمعنى أنه كالمصرح به فهو بَيِّن ظاهر لا خفاء ولا غموض فيه ومنه ما هو متضمن خفي .

مبحـــث أول

إن شواهد الخبر الاستفهامي كثيرة وله أبعاده الدلالية بجانب الاستفهام الخبري (أي الاستفهام الذي سيق مساق الخبر) فقد جاء كثير من الأخبار في القرآن الكريم متضمنا لمعنى الاستفهام ويعلو عليه نغمة الاستفهام لاسترعاء الانتباه ولفت أنظار القوم وليس يخفي على أحد من القراء كونه استفهامًا غير أنه يحتاج إلى التنبيه والتأكيد عليه ولفت الأنظار إليه حتى لا يذهل عنه القارئ .

* ومن القسم الأول الصريح قوله عز وجل : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ (ص : ٧٥) .

أي أ أستكبرت أم كنت من العالين أي الكبراء في أصل الخِلْقة أي الذين قد خُلقُوا على ذلك وطبعوا على ذلك وأريد لهم وبهم ذلك (بهمزتين) .

إنك قد استكبرت أو كنت من العالين بمعنى إنه لا يكون منه ذلك إلا من يدعى أو تعتقد إحدى هذين الأمرين فهو استفهام متضمن لمعنى الخبر[1].

أي ما منعك من أن تسجد وكذا ما منعك أي ما سِرّ تأبيك وماذا حَالَ دون أن تسجد .

---

(١) راجع وقارن البحر المحيط ٩/ ١٧٤ ــ ١٧٥ والفراء ٢/ ٣٥٤ ، ٤١١ .

*وفي موضع آخر *

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ (الأعراف : ١٢) .

أي وما لك ألا تسجد إذ أمرتك أي بمجرد أن أمرتك فهو قد سجد ولكنه تراخي شيئًا كما أنه سجد في استنكار وفي تطاول كما يُشْعِر بذلك لفظ ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (١) .

فهنا نوع فصل صوتي خفيف لطيف .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (ص: ٧٣ – ٧٤) .

أي أَاستكبر إنه قد استكبر وكان من الكافرين أي من الجاحدين لنعمة الله (٢) .

فلقد حذفت همزة الاستفهام ودلَّ عليها بالإبقاء على ألف الفعل مفتوحة فالأصل أَاستكبر إنه قد إِستكبر (بكسر الهمزة) .

* ومثله قوله سبحانه ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧) .

أي أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم أخذكم ما أخذكم من العتو والطغيان والتجبر والمكر والتمرد . وتتكرون عليه وتعادونه وتتربصون به.

﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي أ أستكبرتم (بهمزتين) إنكم قد استكبرتم (٣) .

إنكم قد كذبتم من كذبتم منهم وقتلتم من قتلتم منهم ومازلتم متلبسين بهذا الصنيع وذلك الفعل وهذا هو سر التعبير بالماضي لفظ ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ ولفظ ﴿تَقْتُلُونَ﴾ بالمضارع ففي هذا معنى الإفادة بأنهم متلبسون بهذا الفعل وذلك الصنيع وأنهم باقون ومستمرون عليه وإنهم مازالوا على ذلك لم يبرحوه(٤).

---

(١) راجع وقارن البحر ٥ / ١٧ .
(٢) راجع وقارن البحر ٩/ ١٧٤ .
(٣) راجع وقارن البحر ١/ ٤٨٢ ـــ ٤٨٣ .
(٤) راجع وقارن البحر ١/ ٤٨٣ .

* قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ (سبأ: ٧ – ٨) .

أي أ أفترى على الله كذبا (بهمزتين) أي إنه قد افترى على الله كذبا أو به جنة بمعنى إنه من يقول ذلك لا يخرج عن إحدى هذين الأمرين هكذا اعتقدوا فهذا استفهام متضمن لمعنى الخبر .

﴿ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أي لتبعثن في ثوب جديد وفي جسد جديد ومن جديد [١] .

* قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ (الأعراف: ١٢٣) .

أي أأمنتم له إنه قد آمنتم له أي قد منحتموه كمال وتمام الثقة وكان لديكم كل الاطمئنان من جهته [٢] .

* قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴾ (مريم : ٧٧ – ٧٨) .

أي أ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً (بهمزتين) إنه بذلك يدعى أنه اطلع الغيب أو اتخذ عند الرحمن عهدًا بمعنى لا يقول ذلك إلا من أمره كذلك .

مع أنه في حقيقة ونفس الأمر لا هذا ولا ذاك له [٣] . إنه يظن ويتصور ويعتقد أنه اطلع الغيب أي وقف عليه وضري به .

* قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ (الأحقاف : ٢٠) .

أي أ أذهبتم (بالاستفهام) إنكم قد أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا أي أفسدتم النعيم على أنفسكم [٤] فإنكم قد عبثتم فيه وأسأتم فيه .

---

(١) راجع وقارن البحر ٨/ ٥٢٢ والفراء ٢/ ٣٥٤ .
(٢) راجع وقارن البحر ٥/ ١٤٠ – ١٤١ (الأعراف) ، ٧ ٣٥٨ (طه) ، ٨/ ١٥٣(الشعراء) .
(٣) راجع وقارن البحر ٧/ ٢٩٤ والفراء ٢/ ٣٥٤ .
(٤) راجع وقارن البحر ٩/ ٤٤٣ – ٤٤٤ والفراء ٢/ ٣٩٤ ، ٣/ ٥٤ .

كما قال سبحانه :

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (هود : ١١٦) .

أي ففسقوا فيه وكانوا مجرمين .

* قال تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ (الصافات : ١٥٣) .

أي أأصطفى البنات على البنين وكذا أأصطفى البنين على البنات أم اصطفى البنات على البنين كلا لم يصطف أيا من الجنسين على صاحبه في حقيقة ونفس الأمر غير أن لكل جنس إطاره ونطاقه وقدراته وطاقاته ومهمته في الحياة (١) .

* قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (المنافقون: ٦) .

أي أ أستغفرت لهم (بهمزتين) ففي هذا معنى اللوم والعقاب المخفف . إنك إن استغفرت لهم ومهما استغفرت لهم لن يغفر الله لهم (٢) .

* قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ۝ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ (ص : ٦٢ – ٦٣) .

أي أ أتخذناهم (بهمزتين) (٣) إنا قد اتخذناهم سخريا أو زاغت عنهم الأبصار أي لم نعرف لهم قدرهم أم هم معنا في النار ولكن لم تقع عليهم أبصارنا .

* قال تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ۚ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (يونس: ٥١) .

أي أ الآن وقد كنتم به تستعجلون أي أتؤمنون به الآن أي تتوسمون رفعه عنكم والاستيقان له وقد كنتم به تستعجلون (٤) .

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ

---

(١) راجع وقارن البحر ٩/ ١٢٦ – ١٢٧ والفراء ٢/ ٣٥٤ .
(٢) راجع وقارن البحر ١٠/ ١٨٢ .
(٣) راجع وقارن البحر ٩/ ١٦٩ – ١٧٢ والفراء ٢/ ٤١١ والفراء ٢/ ٣٥٤ .
(٤) راجع وقارن البحر ٦/ ٧٠ .

اللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ ﴾ (التوبة : ٣٨) .

أي أ أثاقلتم وركنتم إلى الأرض إنكم اثاقلتم إلى الأرض في خفة [١] .

* قال تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ (التكاثر : ١ – ٢) .

أي أ ألهاكم التكاثر (بالاستفهام) إنه قد ألهاكم التكاثر وسيطر عليكم طلب الدنيا حتى زرتم المقابر أي رأيتم وطالعتم وفكرتم كيف هلك مَنْ هلك من أعزائكم .

وكذا أيلهيكم التكاثر أي يشغلكم ويغركم جمع الأموال وحشدها وكنزها عن عبادة الله حتى مع زيارتكم المقابر أي حتى وأنتم تزورون المقابر يسيطر عليكم حب الدنيا .

ففي هذا توعد وتحذير وتبكيت وتنديد [٢] .

وفي هذا تأكيد على معنى الخبر .

غير أن معنى الاستفهام مقدم وأسبق في النفس من معنى الخبر فالخبر له تال وتابع فهو مترتب عليه ففي هذا جمع بين معنيين جمعا مصحوبا بالتأكيد على معنى الخبر .

* ومما يلحق بهذا الباب قوله سبحانه :

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ (المؤمنون : ٣٥) .

أي أيتوعدكم .

﴿ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ ﴾ أي أ أنكم إذا متُّم وكنتم ترابا وعظامًا مخرجون أي كما يقول ويدعي .

﴿ أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ أي أ أنكم مخرجون بعد الموت وبعد صيروتكم تحت الأنقاض وشدة تراكمها عليكم .

حقا كما أُخبِرتم إنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما إنكم لمخرجون .

فليعلم وليوقن الجميع ولتعلموا أنكم إذ متم وكنتم ترابا وعظاما أعدنا

---

(١) راجع وقارن البحر ٥/ ٤١٩ والفراء ١/ ٤٣٧ .

(٢) راجع وقارن البحر ١٠/ ٥٣٦ والفراء ٣/ ٢٨٧ .

جمع عظامكم وأعدنا أجسادكم ولتعلموا أنكم مخرجون مهما اندثرتم تحت الأنقاض ومهما اشتد تَحَصنُكم أو تَحْصِينكم هنالك ومهما اشتد تراكم هذه الأنقاض عليكم (١) وتطاول الأمد بكم .

* ومن القسم الثاني شبه الصريح قوله عز وجل :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ـ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ (التحريم : ١) .

أي أتبتغي مرضاة أزواجك (٢) .

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُن ـ تَسْتَكْثِرُ﴾ (المدثر : ١ - ٦) .

أي ولا تمنن ـ أتستكثرُ (بالاستفهام) إنك إن تمنن فإنك تستكثرُ (٣) .

أي امتن على مَنْ لا يريد عوَضًا ومن لا يطلب الكثير عن القليل ولا تمنن أي ولا تعط متوسما الكثرة والزيادة عما أعطيت .

* قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ـ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الكهف : ٢٨) .

أي وامسك نفسك مع عباد الله المتقين مهما كانت حالتهم الاجتماعية متواضعة .

﴿تُرِيدُ﴾ أي أتريد زينة الحياة الدنيا (بالاستفهام) .

إنه لا ينبغي ولا يصح منك ذلك ولا أن تكون الدنيا وأهل زينتها وزخرفها هم أصدقاؤك وأصحابك (٤) .

إنه إن تعدو عيناك عنهم فإنك تريد زينة الحياة الدنيا .

---

(١) راجع وقارن البحر ٧/ ٥٦٠ ـ ٥٦٢ .

(٢) راجع وقارن البحر ١٠/ ٢٠٨ ، ٢٠٩ والفراء ٣/ ١٦٥ وانظر علم اللغة العام (القسم الثاني ـ الأصوات) للدكتور كمال بشر ص ٢٤٦ .

(٣) راجع وقارن البحر ١٠/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧ والمحتسب لابن جنى ٢/ ٣٣٧ والفراء ٣/ ٢٠١ .

(٤) راجع وقارن البحر ٧/ ١٦٧ .

* قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ (الهمزة : ١ - ٣) .

أي أيحسبُ (بالاستفهام) .

إنه يحسب أنه يُخلَّد وأن ماله هو الذي يُخلِّدهُ أو أخلَدَهُ أي أعزه [١] وحماه وحباه .

كما قال سبحانه : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (القيامة : ٣٦) .

قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ (البلد : ٥) .

قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ (المؤمنون : ٥٥) .

أي هو مكرمة لهم .

* قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ — تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ (الأنفال : ٦٧) .

أي أتريدون عرض الدنيا (الاستفهام) .

إنكم تريدون عرض الدنيا بهذا المكسب أو الكسب العفوي الذي لا إجهاد فيه ولا كد ولا نصب .

وما كان لنبي أن يكون ذا مال حتى يضرب في الأرض ويستحر جسده من شدة وإجهاد وعناء العمل .

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ أي يريد لكم مكرمة الآخرة [٢] .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ (الإنسان: ٢٧) .

أي ولا يلقون بالاً لما ينبغي الاهتمام به .

قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (النمل : ٦٦) .

أي أمور الآخرة آخر شيء يفكرون فيه .

* قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ — وَلَا

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠/ ٥٤١ والفراء ٣/ ٢٩٠ .
(٢) راجع وقارن البحر ٥/ ٣٥٢ ــ ٣٥٣ .

تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا— تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (النساء : ٩٤) .

أي أتبتغون عرض الحياة الدنيا (بالاستفهام) .

إنكم بذلك تبتغون عرض الحياة الدنيا ولا يصح ولا ينبغي ولا يليق بكم بذلك إذ إن حقوقكم محفوظة فعند الله مغانم وكثيرة وكذا والله يدعوكم إلى رجاوة الآخرة وإنه لمن الخير لكم أن تتقوا الله [1] .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ — تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ — يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ — أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ﴾ (الممتحنة : ١) .

أي يخرجون الرسول ويقولون إياكم من أن تؤمنوا بالله ربكم (أي ويحذرونكم من الإيمان الحق القويم) وإنه ليحذر عليكم ويحرم عليكم موالاتهم إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وتوستم ابتغاء مرضاتي حقا .

﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ ﴾ أي ليخرجون الرسول إنهم يخرجون الرسول ويخرجونكم ولذا فإنه يلزم عليهم مجانبتهم وعدم موالاتهم في شيء إن كنتم صادقين في توجهكم هذا .

﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ أي أتلقون إليهم بالمودة إلقاء مثل أتلقنونهم إياها تلقينا على نحو قوي (بالاستفهام) [2] .

وهم قد كفروا بما جاءكم من الحق . فهنا نوع فصل صوتي خفيف لطيف .

فلا توالوهم ولتعلموا على أن تؤمنوا بالله ربكم حق الإيمان أي تعتصموا بالتوحيد الصدوق الخالص لله رب العالمين .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ — وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (الممتحنة : ١) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٤/ ٣٢ .

(٢) راجع وقارن البحر ١٠/ ١٥٢ — ١٥٣ والفراء ٣/ ١٤٩ .

أي أتسرون إليهم بالمودة (بالاستفهام) .

إنكم تسرون إليهم بالمودة أي على نحو منه تودد وتقرب كثير وثري وفيه سرور وحظوة بهم وأتسرون إليهم بالمودة ولا تخشون إطلاع الله عليكم ورصده لكم وكذا ثم إنكم تسرون إليهم بالمودة .

ومن يفعله منكم أي عن تعمد وقصد وسبق إصرار [١] وعلى نحو فَعّال أي قوى وشديد وذي فاعلية .

(فصل)

* قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ (النساء : ٦٠) .

أي ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ماذا يصنعون وكيف يتصرفون أيريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت [٢] أي إلى مجالس الكفر العالمية الكبرى .

* ومثله قوله سبحانه قبله :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ (النساء : ٤٤) .

أي أيشترون الضلالة أي آلات اللهو والطرب ويمكرون السيئات فهو متضمن لمعنى الاستفهام .

﴿أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي منحوا حظا من العلم والمعرفة أي تعلموا العلم وحفظوا القرآن [٣] .

* وقوله سبحانه :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ (النساء: ٥١) .

أي أيؤمنون بالجبت والطاغوت (بالاستفهام) وفي هذا معنى التنديد بهم والتوعد لهم [٤] .

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠/ ١٥٣ .

(٢) راجع وقارن البحر ٣/ ٦٨٨ ـ ٦٨٩ .

(٣) راجع وقارن البحر ٣/ ٦٥٧ ـ ٦٥٨ .

(٤) راجع وقارن البحر ٣/ ٦٧٥ .

﴿أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أي منحوا حظا من العلم بالكتاب .

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ — أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ (النساء : ١٣٩) .

أي أيبتغون عندهم العزة (بالاستفهام) .

إنهم يبتغون عندهم العزة ولكنهم لن يظفروا منها شيء لأنه ليس عند هؤلاء منها شيء .

إنهم إن كانوا يريدون العزة بحق فليعتصموا بالله وحده فلله العزة كلها وإنها لتستوعبكم جميعًا وتعزوا بها جميعا [١] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون : ٨) .

أي أن العزة هو لله وحده وهو الذي يملكها ويمنحها لرسوله وللمؤمنين أي وللموحدين لله بحق .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً — دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (الصافات : ٨٦) .

أي أَئِفكًا (بمعنى اختلاقا وافتراء وزورًا وكذبا وبهتانا) تجعلونه آلهةً .

أدون الله تريدون (بالاستفهام) أي تلتمسوا إلها وتفترون وتَدَّعُون إلها[٢] غير الله .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ — هُمْ يُنشِرُونَ﴾ (الأنبياء : ٢١) .

أي أ اتخذوا آلهةً من الأرض .

﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ هذا متضمن لمعنى أهم يُنْشِرون (بالاستفهام) .

إنهم يعتقدون أنهم هم أي بذات أنفسهم وهم من هم في أنهم يُنْشِرون[٣].

وهذا مضمونه :

أ أتخذوا ملائكة من السماء آلهةً أم اتخذوا آلهةً من الأرض — الديهم

---

(١) راجع وقارن البحر ٤/ ١٠٢ .

(٢) راجع وقارن البحر ٩/ ١٠٩ — ١١٠ .

(٣) راجع وقارن البحر ٧/ ٤١٧ — ٤١٨ .

قدرة على البعث والنشور وأكان منهم بعث ونشور أي إحياءهم جمع للخلائق بين يدي الحساب .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ (الأعراف: ١١٣).

أي أ- إن لنا أجرًا (بالاستفهام) .

﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ أي حقا .

وقد قرئ بالاستفهام الصريح [١] .

وهذا طريقه وبابه مزج عدة تراكيب في تركيب واحد [٢] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ (الملك : ٢٠).

أي أ الله العزيز المقتدر الحكيم أمن هذا الذي تتخذونه جندًا لكم أينصركم من دون الرحمن (بالاستفهام) .

إنكم تعتقدون أنه ينصركم من دون الرحمن أي من دون إذنه ومشيئه وإرادته وتقديره وتدبيره ورضاه ومدده سبحانه [٣] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾ (غافر: ٤١ - ٤٢) .

أي وها أنتم تدعونني إلى النار .

أتدعونني لأكفر بالله وأشرك به (بالاستفهام) إنكم تدعونني لأكفر بالله وأن أشرك به .

إن ما تدعونني إليه ليس له حق في الألوهية والتعظيم إنه خاضع لحكم وسلطان رب العالمين مثلكم [٤] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ

---

(١) راجع وقارن البحر ٥/ ١٣٢ والبحر ٧/ ٣٥٣ .

(٢) راجع كتابنا من أبواب البلاغة النحوية والدلالية في القرآن الكريم .

(٣) راجع وقارن البحر ١٠/ ٢٢٨ .

(٤) راجع وقارن البحر ٩/ ٢٦٠ .

ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ (الأحزاب : ٦٣) .

أي لعله يداهمهم أجلهم في أقرب وقت ممكن .

أي أيسألك الناس عن الساعة .

إنه يسألك الناس عن الساعة (١) .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ (النازعات : ٤٢) .

أي أيسألونك عن الساعة (بالاستفهام) .

إنهم يسألونك عن الساعة أيان مرساها أي متى وأين تقوم وكيف تكون أي متى قيامها وأين قيامها وكيف يكون أمرها وقيامها (٢) . وذلك مع ما هم عليه من بغي فسوق .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ (الذاريات : ١٢) .

أي أ يسألون أيان يوم الدين أي متى يكون وأين يكون وكيف يكون(٣).

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (القيامة : ٥ – ٦) .

أي أيسأل أيان يوم القيامة (بالاستفهام) .

أي بل يتمرد الإنسان الشقي ويحتال ويتعاطى ما يتعاطى من المسكرات والمحرمات ليفتك بمكرمة الله له التي قدرها في زوجه وفي الوقت ذاته يسأل أيان يوم القيامة أي إنه بعد كل ذلك من الجرائم التي يرتكبها يسأل أيان يومَ القيامة (٤) أي متى وأين يوم القيامة بمعنى متى يوم القيامة وأين تقوم القيامة في أي مكان وأي ساحة .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ – وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (العنكبوت: ٥٣ – ٥٤) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٨/ ٥٠٦ – ٥٠٧ .

(٢) راجع وقارن البحر ١٠/ ٤٠٢ والفراء ٣/ ٢٣٤ والزجاج ٥/ ٢٨١ .

(٣) راجع وقارن البحر ٩/ ٥٥٠ – ٥٥١ والفراء ٣/ ٨٣ .

(٤) راجع وقارن البحر ١٠/ ٣٤٥ .

أي أيستعجلونك بالعذاب وهو ما هو في شدته وهم من هم في ضعفهم أمامه إنه ليأتيهم بغتة ولا مرد له . إنهم يستعجلونك بالعذاب [١] .

* قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾(البقرة:٨٥).

أي أتظاهرون عليهم بالإثم والعدوان (بالاستفهام) .

إنكم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان [٢] وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو أي التظاهر عليهم محرم عليكم فكيف يكون منكم إخراجهم .

* قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ (الأنفال: ٥ – ٦) .

أي إنهم ليخرجون وإن الله ليخرجهم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون .

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ أي أيجادلونك في الحق (بالاستفهام) إنهم يكادون في الحق بعد ما تبين وتأكد لديهم أن هذا هو السبيل الأوحد والمجدي في حل قضاياهم وكف عدوان الطغاة عنهم ولا سبيل لهم إلى حياة إنسانية عزيزة كريمة آمنة إلا بذلك ولا منعة ولا حصانة لهم إلا بذلك الخروج من بيوتهم . كيف والله إذ يعدكم يوفي بما يعد [٣] .

* قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ﴾ (آل عمران : ٩٩) .

أي أتبتغونها عوجا (بالاستفهام) إنكم تبتغونها عوجًا وأنتم في كمال الوعي والعلم بأن هذا خلاف الحق [٤] .

أي قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله وتتعقبون من آمن .

---

(١) راجع وقارن البحر ٨/ ٣٦٣ .
(٢) راجع وقارن البحر ١/ ٤٦٨ — ٤٦٩ والفراء ١/ ٥٠ — ٥١ .
(٣) راجع وقارن البحر ٥/ ٢٧٢ — ٢٧٣ ، ٢٧٦ .
(٤) راجع وقارن البحر ٣/ ٢٨٠ ، ٥/ ٤٢٦ — ٤٢٧ والفراء ١/ ٢٢٧ — ٢٢٨.

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ (التوبة : ٩٤) .

أي أيعتذرون إليكم ويلقون بالملامة عليكم إنهم يعتذرون إليكم (١) .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ — يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ — وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ (التوبة : ٤٧) .

أي أيبغونكم الفتنة (بالاستفهام أي أن تكونوا كبش الفداء لهم وضيحة استعراضهم وفرض سطوتهم وموضع التنكيل منهم إنهم يبغونكم الفتنة أي أن تدور عليكم الدوائر ويقع بينكم الخلاف ولكنكم ستكونون في أمن من ربكم وفي منأى ومنحى وسيكون هم كبش الفداء .

وفيكم ومنكم سماعون لهم ومنكم من هم فيكم سماعون لهم أي يعملون في الجاسوسية لحسابهم .

لو خرجوا فيكم ما زوّدوكم إلاّ بما هو خبال ولا ترى منهم إلا خبالاً وما فيه خلخلة للصفوف (٢) .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (القلم: ١٥) .

أي ائذا تتلى عليه آياتنا (بالاستفهام) وقد قرأها الحسن بالاستفهام الصريح (٣) .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (المطففين : ١٢ — ١٣) .

أي أئذا (بالاستفهام) إنه إذا تتلى عليه آياتنا قال إنها أساطير الأولين أو إن هذا لهو أساطير الأولين (٤) .

* وكذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ (القلم : ١٤) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٥/ ٤٨٩ .
(٢) راجع وقارن البحر ٥/ ٤٢٧ والفراء ١/ ٤٣٩ — ٤٤٠ .
(٣) راجع وقارن البحر ١٠/ ٢٤٠ .
(٤) البحر ١٠/ ٤٢٨ .

أي أ أن كان ذا مال وبنين يأتي ويتطاول على رسول رب العالمين ويتهمه وإذا تتلى عليه آياتنا قال ويقول أساطير الأولين أي قصصا قديمة لا تجدى في العصر الحاضر .

إنا سنحرق مالَه وسيطوف عليه طائف من ربك فيصبح كالصريم . فهذا وجه آخر [١] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾ (القلم : ٣٨) .

أي أ إن لكم فيه ما تخيرون أي كافة ما تختارونه وترونه من عند أنفسكم .

وقد قرئ ذلك بالاستفهام الصريح [٢] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ (القلم : ٣٩) .

أي أ إن لكم ما تحكمون (بالاستفهام) إنهم يعتقدون ويتصورون ذلك أي أن لهم الحق في كافة ما يفترونه ويرونه من تلقاء أنفسهم .

وقد قرئ بالاستفهام الصريح [٣] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ (عبس : ١ - ٢) .

أي أ أن جاءه الأعمى أعرض وتولى وأشاح عنه بوجهه .

وقد قرئ ذلك بالاستفهام الصريح . وعلى هذا فهنا نوع فصل صوتي خفيف لطيف .

وكذا أعبس وتولى [٤] أي بادر بالوفاء بوعده مع الكافرين وترك هذا المتوسم للإيمان .

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠/ ٢٣٩ .
(٢) راجع وقارن البحر ١٠/ ٢٤٥ .
(٣) راجع وقارن البحر ١٠/ ٢٤٦ والبحر ٣/ ١٧٦ ــ ١٧٧ والفراء ٣/ ١٧٦ــ ١٧٧ .
(٤) راجع وقارن البحر ١٠/ ٤٠٦ والمحتسب ٢/ ٣٥٢ والفراء ٣/ ٢٣٥ .

(فصل)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ — وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ — أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ (النحل : ٦٢) .

أي أو تصف ألسنتهم الكذبَ أي وترصف وتنمق وتحسن ألسنتهم الكذبَ في جنب الله ثم إنهم يدعون بعد ذلك أن لهم الحسنى أي الجنة العليا[١].

وكذا أ أن لهم بعد كل ذلك الحسنى أي الجنة بل أحسن منازلها كلا .

وعلى هذا فهنا نوع فصل صوتي خفيف لطيف كما أنه متضمن لمعنى الإستفهام .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ — الْكَذِبَ — هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾ (النحل : ١١٦) .

أي ولا تقولوا لما تَرْصف ألسنتكم إنه الحق . فإنها ما ترصف إلا الكذبَ أهذا حلال وهذا حرام حقًا كما تدعون وتتقولون [٢] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ (ص : ٣١ – ٣٢) .

أي فقال أ إني أحببت حَبْو الخيل حتى شُغلت عن ذكر ربي حتى غابت الشمس [٣] فإذا به قد أزال من على جسدها آثارها الزينة أو لطخها وعَمَّاها بالسواد .

ومن هذا الباب :

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ — وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة : ٣١) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٦/ ٥٥١ .
(٢) راجع وقارن البحر ٦/ ٦٠٥ — ٦٠٨ والفراء ٢/ ١٠٧ .
(٣) راجع وقارن البحر ٩/ ١٥٤ .

أي وألهوا وعبد والمسيحَ ابن مريم وما أمروا بل وما خلقوا إلا ليعبدوا إلها واحدًا .

أي أ أتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا (بالاستفهام) إنهم قد اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون إذن الله [١] أي من دون أن يسمح لهم الشرع في ذلك .

* قال تعالى: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ (الروم : ٢٨) .

أي أتخافونهم كتخوفكم أنفسكم من الله ربكم القوي العزيز صاحب الملك والسلطان إنكم تخافونهم خوفًا كثيرًا وغامرًا [٢] .

* قال تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ (النحل : ٩٢) .

أي أتتخذون أيمانكم دخلا (بالاستفهام) إنكم تتخذون أيمانكم دخلا [٣] .

وأتنكرون وتستغربون من أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به .

* قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ (النحل : ٨٣) .

أي أيعرفون (بالاستفهام) إنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها [٤] .

* قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (النساء : ١٠٨) .

أي أيستخفون (بالاستفهام) .

إنهم يستخفون من الناس أي من طغاة وعتاة الناس وأهل اللوم والإنكار منهم [٥] .

* قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا

---

(١) راجع وقارن البحر ٣/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥ .
(٢) راجع وقارن البحر ٨/ ٣٨٨ والفراء ٢/ ٣٢٤ .
(٣) قارن البحر ٦/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩ .
(٤) راجع وقارن البحر ٦/ ٥٧٨ والفراء ٢/ ١١٢ .
(٥) راجع وقارن البحر ٤/ ٥٨ .

نَّتَّبِعْكُمْ ـــ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (الفتح : ١٥) .

أي أيريدون (بالاستفهام) .

إنهم يريدون أن يكونوا فوق إعلام الله لعباده المؤمنين عنهم وعلى خلاف من ذلك [١] .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ـــ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة : ١٦٥) .

أي من يجعلونهم أحبابا وهم أعداء ألداء في حقيقة ونفس الأمر أيحبونهم كحب المؤمنين المتقين الله والذين آمنوا أي بحق أشد حبهم لله أي حبهم لله لهو على أشد ما يكون وفوق كل حُبٍّ [٢] .

كما قال سبحانه :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (يوسف : ١٠٦) .

أي إلاّ وهم متلبسون بالشرك بالأولياء والصالحين الذين كل ما هم فيه إنما هو منحة ومكرمة من عند الله .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (الزمر : ٤٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ٨٠) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران : ٦٤) .

وكذا إن هؤلاء قد خرجوا بالأولياء والصالحين عن نطاق القدوة الصالحة والأسوة الحسنة إلى نطاق الشرك والعياذ بالله .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ـــ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ

---

(١) راجع وقارن البحر ٩/ ٤٨٩ .

(٢) راجع وقارن البحر ٢/ ٨٤ ـــ ٨٨ والفراء ١/ ٩٧ .

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (التوبة : ٤٢) .

أي أيهلكون أنفسهم .

إنهم يهلكون أنفسهم بأنفسهم والله مطلع على حقيقة أمرهم [١] .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴾ (البلد : ٤ – ٦) .

أي أيقول أهلكت مالاً لبدًا مثل عربدة وغلبة وبلدد واجتيال مني .

قوله ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ إنه يحسب أن لن يقدر عليه أحد ثم إنه يقول قد أهلكت مالا لبدًا أي وافرًا كثيرًا وقد كنت لبدًا أي غالبا [٢] .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ﴾ (الأحزاب : ١٣) .

أي أيقولون (بالاستفهام) .

إنهم يقولون إن بيوتنا عورة أي بعرضة للاقتحام من كل أحد ومن أي أحد [٣] .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ﴾ (الحجرات : ١٧).

أي أيمنون عليك بإسلامهم .

إنهم يمنون عليك بإسلامهم أي يعتبرونه مكرمة منهم تجاهك [٤] .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ (إبراهيم : ١٠) .

أي تريدون (بالاستفهام)

إنكم تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا إنكم إن كنتم تريدون أن

---

(١) راجع وقارن البحر ٥/ ٤٢٥ .
(٢) راجع وقارن البحر ١٠/ ٤٨١ .
(٣) راجع وقارن الفراء ٢/ ٣٧ والبحر ٨/ ٤٦٠ – ٤٦١ .
(٤) راجع وقارن البحر ٩/ ٥٢٤ – ٥٢٥ .

تؤمن لكم فأتون بسلطان مبين أي بما هو حجة وبما يفرض نفسه علينا (١) .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ (الجاثية: ٨).

أي أيسمع (بالاستفهام) .

إنه يسمعُ آيات الله تتلى عليه ثم يُصِرُّ مستكبرًا (٢) .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾(النساء: ١٢٠).

أي أيعدهم وأيمنيهم (بالاستفهام) .

إنه يعدهم وإنه يمنيهم (٣) .

ومن هذا الباب الاستفهام المُركّب الذي هو استفهام فوق استفهام .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٤) .

أي أفئن مِتّ جزعوا واستبعدوا موتك وملؤا الدنيا هلعًا وعويلاً .

أفهم الخالدون (بالاستفهام) .

إن من يفعل ذلك كأنه يظن أو يتصور أو يعتقد ذلك (٤) .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ (الشعراء : ١٢٨ – ١٢٩) .

أي أتعبثون (بالاستفهام) .

إنكم بهذا الفعل وذلك الصنيع تعبثون (٥) .

﴿مَصَانِعَ﴾ أي صلدة متصنعة البنيان .

أي أتبنون بكل مكان فسيح خصب آية برجا وقصرًا عاديًا عتيقًا .

---

(١) راجع وقارن البحر ٦/ ٤١٥ .
(٢) راجع وقارن البحر ٩/ ٤١٥ .
(٣) راجع وقارن البحر ٤/ ٧٣ .
(٤) راجع وقارن البحر ٧/ ٤٢٨ ــ والفراء ٢/ ٢٠٢ .
(٥) راجع وقارن البحر ٨/ ١٧٨ والفراء ٢/ ٢٨١ .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (الشورى : ٢١) .

أي أشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله[١] وفي هذا توعد وتبكيت .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (يونس : ٥٩) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام : ١٢١) .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾(الرعد:١٦) .

أي أخلقوا كخلقه (بالاستفهام) [٢] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ ﴾(القمر:٢٣-٢٤).

أي أبشر منا واحدا يصطفيه الله ثم إنا نتبعه . وكذا أَنَتَّبِعُه فهم ينكرون على أنفسهم اتباعه وهو بشر وهو واحد منهم [٣] .

ومن الاستفهام ما هو مُتَضَمّن ولكن مع بُعْدِ " ما " ومنه قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ﴾ (التوبة:٣٠) .

أي أيضاهئون قول الذين كفروا من قبل (بالاستفهام) فهذا متضمن لمعنى الاستفهام .

إنهم يضاهئونهم وقولهم يضاهئ قولهم أي يدحضه ويجهضه ويبطله فزعم وإدعاء هؤلاء يبطل زعم وإدعاء هؤلاء وهم لا يشعرون [٤] ذلك قولهم بأفواههم الأفاكة وألسنتهم التي دأبت وطبعت على الكذب على رب العالمين .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ (مريم: ٧٤).

أي كانوا هم أحسن أثاثا ورئيا من أهل هذا العصر الذين يدعون ما

---

(١) راجع وقارن البحر ٩/ ٣٣٢ .
(٢) راجع وقارن البحر ٦/ ٣٧١ .
(٣) راجع وقارن البحر ١٠/ ٤٢ ـ ٤٣ .
(٤) راجع وقارن البحر ٥/ ٤٠٣ .

يَدَّعون . أي وقد كانوا هم من هم في حسن الأثاث وحسن المرأى .

ومع ذلك لم نبق عليهم ولم نقم لهم ولا لذلك عندهم وزنا كما قال : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (الدخان : ٣٧) .

أي وإنا مع ذلك أهلكناهم والذين من قبلهم أهلكناهم .

وكذا أهم أحسن أثاثا ورئيا حقا من المتقين ومن عباد الله الصالحين الأبرار كما يدعون . كلا [١] .

* ومثله قوله سبحانه : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾ (ق : ٣٦) .

أي ومع ذلك أتينا عليهم وبطشنا بهم وقد كانوا هم من هم في العتو والطغيان والشدة ، ثم إن هؤلاء أهم أشد منهم بطشا حقا [٢] .

فالله لا يعول على الشكل والمظهر ولا يقيم له وزنا ولا يعمل له حسابا وإنما يعول على الجوهر وعلى الحقائق الحقة وصدق النوايا والعمل الإصلاحي أو الخَيْر الجاد والبناء على أرض الواقع .

* قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ (المنافقون : ٧ - ٨) .

أي أيقولون (بالاستفهام) ففي هذا رجوع وعودة في التبكيت والتوبيخ لهم إنهم يقولون — وفي هذا تنديد بهم [٣] .

وكذا أهم الذين يقولون ذلك وقد أنعمنا عليهم بما أنعمنا عليهم به وآويناهم وكرمناهم .

إن الذين قد كرمناهم بما كرمناهم به هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله .

أي أيقولون (بالاستفهام) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٧/ ٢٩٠ — ٢٩١ .
(٢) راجع وقارن البحر ٩/ ٥٤٠ .
(٣) راجع وقارن البحر ١٠/ ١٨٣ .

إنهم يقولون ذلك [١] .

* قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (النازعات : ١٠) .

أي أيقولون فهذا متضمن لمعنى (الاستفهام) إنهم يقولون ذلك أي أينكرون البعث والنشور أي إحياءهم جمعهم بين يدي رب العالمين للمحاسبة وتوقيع العقوبة القصوى والصارمة عليهم .

أئذا كنا عظامًا نخرة نبعث ثانية ونعود ثانية للحياة في استحواذ تام وشديد ومتطاول علينا [٢] .

* قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ـــ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ (الأعراف : ١٦٩) .

فقوله ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ متضمن لمعنى الاستفهام [٣] أي يأخذون الشيء العارض من الحد الأدنى .

* قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ ـــ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ (الممتحنة : ١٢).

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾ أي بما هو منكر وقبح يذهل القلوبَ والعقول أيفترينه بين أيديهن وأرجلهن وكذا من أمامهن ومن خلفهن .

إنهم يفترينه بين أيديهن وأرجلهن أي إنهن كن كذلك [٤] .

* قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ ـــ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ـــ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل : ٨٨) .

أي أتحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ألست تحسبها جامدة في مكانها إنك تحسبها جامدة أليس هذا هو صنع الله إنه صنع الله [٥] .

* ومما هو متضمن لمعنى الاستفهام .

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠/ ١٨٣ .
(٢) راجع وقارن البحر ١٠/ ٣٩٧ .
(٣) راجع وقارن البحر ٥/ ٢١١ .
(٤) راجع وقارن البحر ١٠/ ١٦٠ ـــ ١٦١ .
(٥) راجع وقارن البحر ٨/ ٢٧٢ ـــ ٢٧٣ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ (النحل : ٦٧) .

﴿سَكَرًا﴾ أي طيبا بمعنى موادًا سكرية .

وكذا ومن ثمرات النخيل والأعناب والذي قد قدّر طعمة ورزقًا حسنا تتخذون أي أتتخذون منه سكرًا أي مسكرًا خبيثًا ضارًا .

أي أتتخذون منه سكرًا خبيثا وسمًا ناقعا وقد جعلناه رزقا حسنا وقد أردنا به أن يكون رزقا حسنا إذا بكم تدخلون عليه الخبث (١) وتفسدون نعمة الله عليكم وتعبثون فيه .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ (الطور : ٣٨) .

أي ألهم جهاز تصنّت يتعرفون من خلاله على أخبار السماء وأهل السماء يرسلون منه ويستمعون ما يُلقى إليهم فيه .

وهذا يتضمن معنى أيستمعون فيه أي ما في أيديهم من أجهزة بمعنى يستمعون منها ويتكلمون فيها بكل ما هو بغي وفسوق ومنكر وفحشاء وفجور (٢) .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ (ق : ٥) .

أي وخاصة لما جاءهم على نحو بيّن قوي .

﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي أفهم في أمر مريج أي أفهم في حالة تردد وتخوف منه أي من زوال سلطانهم .

وكذا أهم في عنفوان وتقاتل معه وتمكر وتمرد بالغ عليه كما يكون من الجن المارد (٣) .

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾ أي أهم في غفلة أو عدم تصور للأمر وعدم تفهم له وتبصر به بل كذبوا بالحق لما جاءهم .

---

(١) راجع وقارن البحر ٦/ ٥٥٧ .
(٢) راجع وقارن البحر ٩/ ٥٧٦ .
(٣) راجع وقارن البحر ٩/ ٥٣٠ ــ ٥٣١ .

* قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ (سبأ : ٤٤) .

أي وما أتيناهم أي هذا الجيل من أهل الكتاب وكذا هؤلاء الذين قد خرجوا بالدراسة العلمية عن نطاقها الشرعي وضربوا بها في ترهات الأباطيل والذي لا جدوى من ورائه من العلم .

يدرسونها فالقرآن هو الكتاب الأوحد وهو محور الدراسة العلمية الشرعية .

وكذا أيدرسونها أي هذه الكتب المحرفة التي في أيديهم ويُضيعون الوقت والجهد في دراستهم لها مع أن كتابهم القرآن .

وكذا أيدرسون كتب أهل الطغيان والطاغوت [١] فهذا متضمن لمعنى الاستفهام .

قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ (يونس : ٩٢) .

أ فاليوم تستجير وتستغيث بنا (بالاستفهام)'.

لذلك فإنا ننجيك ببدنك أي ونبقى عليك ببدنك لتكون لمن خلفك آية أي عبرة وموعظة إلى يوم الدين لهؤلاء الطغاة العتاة المستكبرين المتطاولين في الأرض [٢] . فليكن لهم في فرعون عبرة .

* قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ (الأحزاب : ٤٩) .

أي فأي شيء لكم عليهن إنه مالكم عليهن من عدة شرعًا فكيف تعتدونها أي تفرضونها عليهن من عند أنفسكم وكيف تعدونها وتحصونها عليهن .

وكذا أتعتدونها مثل أتقعدونها عن الزواج وتثقلونها وتفرضون عليها عدة بدون مبرر شرعي والحق قد قضي بأن يَكُنّ في حلٍ من ذلك [٣] .

---

(١) راجع وقارن البحر ٨/ ٥٥٨ — ٥٥٩ .
(٢) راجع وقارن البحر ٦/ ١٠٢ — ١٠٣ .
(٣) راجع وقارن البحر ٨/ ٤٩٠ .

﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي عقدتم عليهن .

مبحث ثـــانٍ

ومما هو متضمن لمعنى الاستفهام ولكن مع بُعْد أكثر أو كثير قوله عز وجل : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾(الكهف: ٤٢ – ٤٣) .

فهذا متضمن لمعنى أينصرونه من دون الله بمعنى وإذا كان له من فئة أو فئات أينصرونه من دون الله أي من دون مشيئة وإرادة وإذن من الله كلا ومن دون أن يكون ذلك في الله وما كان منتصرًا أي بقوته وقدرته الذاتية أي ولا سبيل لأن ينتشل هو نفسه من العذاب وكيف ينصرونه من دون الله والله عز وجل هو الذي بيده كل شيء وهو الأعز الأكرم [١] .

فهنا نوع فصل صوتي مخفف .

* ومثله قوله سبحانه :

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (الشورى : ٤٦) .

أي ومهما يكن لهم من أولياء أينصرونهم من دون الله .

فهذا مضمونه :

وما كان لهم من أولياء حقيقيين ومهما يكن لهم من أولياء أينصرونهم من دون الله ـــ كلا فهذا إنكار عليهم وتبكيت لهم .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (المائدة : ٦٠) .

فهذا متضمن لمعنى أَمَنْ لعنه الله وغضب عليه وجعلَ منهم القردة والخنازيرَ وعبدَ الطاغوت تتخذونه وليا وتتخذونهم أولياء أي توالونه وتعظمونه وتحابونه وتعاضدونه وتعلمون معه .

وفي هذا توعد واستحلاف وتنديد وتبكيت [٢] .

---

(١) راجع وقارن البحر ٧/ ١٨١ .

(٢) راجع وقارن البحر ٤/ ٣٠٥ .

أي هل أنبئكم من هو شر وما هو بسبب إلى الشر وبما هو أشد شرًا .

﴿مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي وضعا ومكانة ومرجعا ومآلاً بموازين رب العالمين الحقة ولديه سبحانه يوم الدين .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ (الممتحنة : ١) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (فاطر : ٦) أي بحق .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ — إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (الواقعة : ٨٦ – ٨٧) .

أي أترجعونها — أرجعوها إن كنتم صادقين .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ — يَلْعَبُونَ﴾ (الطور : ١١ – ١٢) .

﴿فِى خَوْضٍ﴾ أي في استغراق ولحاج في كل ما هو باطل ولغو .

﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي أيلعبون ؟ مثل أيهزون ويلهوون (بالاستفهام) وهل الحياة الحقة لعب إنهم يلعبون وإنك لتراهم يلعبون .

﴿فَوَيْلٌ﴾ أي فالويل كل الويل لهم [١] .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۝٣٩ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا — فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾(الطور: ٣٩ – ٤٠) .

أي أفهم من مغرم متقلون أي من الكلفة أو التكلفة والقيام بهن أو عليهن .

فهذا متضمن لمعنى الاستفهام [٢] .

وكذا أله البنات فليعلموا أن البنات غنم ولَسْنَ غُرْمًا كما يُظن .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (الحجر : ٩٧) .

وهذا يتضمن معنى أ أنك أنت يضيق صدرك بما يقولون وقد وسعناه

---

(١) راجع وقارن البحر ٩/ ٥٦٨ .

(٢) راجع وقارن البحر ٩/ ٥٧٦ .

لك وطهرناه من كل سوء وأنت تعي وتدرك تماما ما سبب وحقيقة ما يقولون وقد علمنا وإنا لنظل نعلم ذلك علم اليقين [١] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ (هود : ١٠) .

أي أ إنه فَرِح فخور وهو ينتظره ما ينتظره إنه لفرح فخور أي فرحا مفرطا فيه تماد واستطالة وطغيان [٢] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ﴾ (طه:١٢٨) .

أي وها هم يمشون في مساكنهم إنهم يمشون في مساكنهم وكذا أيمشون في مساكنهم أي آثارهم في زهو وعجب وخفة وتطاول أي وهم يعلوهم الفرح والاستكبار والفخر والتباهي والإشادة بهم دون اتعاظ واعتبار وتعقل وتفهم للحقائق الحقة والاستفادة المثلى منها في اليقين وتوحيد الله رب العالمين [٣] .

فالله عز وجل ينكر عليهم مثل هذا المشي في مساكن هؤلاء الكفرة أفلم يهد لهم أي أفلم يتبين لهم أفلم يُسَق لهم ويُلْقَ عليهم .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ (النساء : ٨٩) .

أي أفتكونون سواء وهل يحق لكم ذلك كيف ورب العالمين لم يجعلكم سواء ولا يأمركم بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر بل ويدعوكم أن تتخذوهم أعداء حقيقيين وأن تكون علاقتكم بهم كما يجب وكما ينبغي في علاقة العدو بعدوه اللدود [٤] . إنكم لو اتبعتموهم لتكونون سواء وما تلبثون أن تكونوا سواء .

---

(١) راجع وقارن البحر ٦/ ٤٩٩ .
(٢) راجع وقارن البحر ٦/ ١٢٧ ـ ١٢٨ .
(٣) راجع وقارن البحر ٧/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧ .
(٤) راجع وقارن البحر ٤/ ١٠ .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ — فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (المرسلات : ٣٥ – ٣٦) .

أي أفيعتذرون أي يحاولون ذلك اليوم بعد فوات الأوان وقد أخذوا حظهم وفرصتهم في الحياة دون أية إنابة (١) .

ومن الآيات التي تتضمن معنى الاستفهام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ (إبراهيم : ٤٤ – ٤٥) .

أي أتسكنون في مساكن الظالمين وأنتم مطمئنوا القلوب إنكم قد سكنتم في مساكن الظالمين (٢) .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ — أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ (الأنعام: ١٥٠) .

أي ثم إنه عليكم أن تتفكروا أ أن الله حَرَّم هذا (الاستفهام) (٣) .

وعلى هذا فهنا نوع فصل صوتي خفيف لطيف .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ (القلم : ١٣ – ١٤).

أي أ أن كان ذا مال وبنين يأتي ويتطاول على رسول وكلام رب العالمين .

وقد قرئ بالاستفهام الصريح (٤) .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ (الشورى : ٢١) .

أي أشرعوا لهم من الدين إنهم قد شرعوا لهم ما شرعوا وجعلوه من

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠/ ٣٧٨ – ٣٧٩ .
(٢) راجع وقارن البحر ٦/ ٤٥٣ .
(٣) راجع وقارن البحر ٤/ ٦٨٣ ، ٨/ ٤٦٣ .
(٤) راجع وقارن البحر ١٠/ ٢٣٩ والفراء ٣/ ١٧٣ .

الدّين أي من القوانين اللازمة التنفيذ والخضوع لها والعمل بها وعلى وفقها وبمقتضاها من الدين ما لم يأذن به الله فالله وحده هو المشرع أي المسن للوائح والقوانين الحقة العادلة القيمة الصريحة الواضحة البينة (١) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ (الشورى : ١٣) .

مبحث ثالث

* قال عز وجل :

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ــ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ (الأنعام : ٧١) .

أي أوَ نُرَدُّ على أعقابنا إننا إن فعلنا ذلك فإنا نُرَدُّ على أعقابنا ونُرَدُّ (٢).

* كما قال سبحانه :

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ (الأعراف : ٦٣).

وقد قالوا إن هذه واو نسق أدخلت عليها ألف الاستفهام كما تدخل على الفاء أفعجبتم (٣) .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ــ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ــ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ (الأحزاب : ٣٧) .

أي أو تخفى في نفسك ما الله مبديه وأوَ تخشى الناس (بالاستفهام) (٤) أي الطغاة العتاة .

كما قال سبحانه : ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾ (التوبة : ١٣) .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة : ٨٢) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٩/ ٣٣٢ ــ ٣٣٣ .
(٢) راجع وقارن البحر ٤/ ٥٥١ ــ ٥٥٣ والفراء ١/ ٣٣٩ .
(٣) راجع وقارن الفراء ١/ ٣٨٣ .
(٤) راجع وقارن البحر ٥/ ٣٨٢ والبحر ٨/ ٤٤٣ والفراء ٢/ ٣٤٣ .

فهذا متضمن لمعنى الاستفهام [١] .

* قال تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (الأحزاب : ١٠) .

أي أوَ تظنون بالله الظنون .

إنكم تظنون بالله الظنون [٢] .

* قال تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ١٩ – ٢٠) .

أي أوَ تأكلون التراث أكلا لمًّا أي أكلا فيه انجذاب منكم أي كالمجذوب النهوم الحريص [٣] والتراث الإرث .

* قال تعالى: ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ (العنكبوت : ٢٩) .

أي أو تقطعون السبيل أي تحددون النسل وتعدلون عن موضوع الحرث ومنبت الولد إلى ما خبث وقبح وأتقطعون طريق المادة لحملهم على ما هو منكر [٤] .

* قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ (الشعراء : ١٤٩) .

أي أو تنحتون من الجبال بيوتا فارهةً وحتى صرتم فارهين أي حياتكم كلها ترف ونعيم وفوز وظفر وغلبة وصرتم بها فارهين أي في حصانة ومنعة وقوة .

إن هذا لهو من نعم الله عليكم فلتذكروا ولتشكروها ولا تكفروها فإنكم إن تكفروها يأخذكم من عذاب الله ما يأخذكم [٥] .

* قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان : ٣) .

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠/ ٩٣ – ٩٤ والفراء ٣/ ١٣٠ .
(٢) راجع وقارن البحر ٨/ ٤٥٨ .
(٣) راجع وقارن البحر ١٠/ ٤٧٥ .
(٤) راجع وقارن البحر ٨/ ٣٥٣ – ٣٥٤ والفراء ٢/ ٣١٦ .
(٥) راجع وقارن البحر ٨/ ١٨٢ .

أي أوَ تخذوا (بالاستفهام) .

إنهم قد اتخذوا من دون الله آلهة .

هلا يفكرون في أمرهم وفي حالهم وفي قدراتهم وكفاءاتهم [١] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ (يس : ٧٤ – ٧٥) .

أي أو تخذوا من دون الله آلهة [٢] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ (مريم : ٨١ – ٨٢) .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (النحل : ٥٧) .

أي أو يجعلون لله البنات سبحانه ويجعلون لهم ما يشتهون وكذا أوَلَهم ما يشتهون [٣] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ (النحل : ٦٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ (ص : ٤) .

أي أوعجبوا إنهم قد عجبوا أن جاءهم منذر منهم [٤] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (المجادلة : ٨) .

﴿ حَيَّوْكَ ﴾ أي هزءً واستخفافا واستنكارًا .

وبما هو من معصية الرسول الذي قد تعاهدوا معه على الولاء والسمع والطاعة والصدق والنبل [٥] .

---

(١) راجع وقارن البحر ٨/ ١٨ .
(٢) راجع وقارن البحر ٩/ ٨٣ .
(٣) راجع وقارن البحر ٦/ ٥٤٧ ــ ٥٤٨ والفراء ٢/ ١٠٥ ــ ١٠٦ .
(٤) راجع وقارن البحر ٩/ ١٣٨ والفراء ٢/ ٢٩٨ .
(٥) راجع وقارن البحر ١٠/ ١٢٦ .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (المجادلة : ١٤) .
أي أنه كذب وأن الحلف عليه محرم شرعا .
ففي هذا معنى الاستفهام [١] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾ (الزمر : ٣٦ - ٣٧) .
أي لا تخف ولا تتهدد أليس الله بكاف عبده أوَ يخوفونك بالذين من دونه [٢] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (الرعد : ٣٠) .
أي أوَ هم يكفرون بالرحمن [٣] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (فصلت : ٩) .
أي لم تقدروا الله حق قدره وأوَ تجعلون له أندادًا [٤] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (البقرة : ٢١٢) .
أي أو يسخرون (بالاستفهام) [٥] .
وهم فوقهم أي أعز وأكرم منزلة وأطيب حياة وخاصة يومَ القيامة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (النحل : ٧٣) .

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠/ ١٢٩ .
(٢) راجع وقارن البحر ٩/ ٢٠٥ والفراء ٢/ ٤١٩ .
(٣) راجع وقارن البحر ٦/ ٣٨٧ ــ ٣٨٨ .
(٤) راجع وقارن البحر ٩/ ٢٨٧ والفراء ٣/ ١٣ .
(٥) راجع وقارن البحر ٢/ ٣٥٤ .

أي أوْ يعبدون .

إنهم يعبدون .

فهذا متضمن لمعنى الاستفهام [١] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ — وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٢٢) .

أي ويقولون وأويقولون نودع سِجْنًا سجينا [٢] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ (المطففين : ٧) .

أي ليكون معهم في سِجْنٍ سَجِين [٣] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الشعراء : ٢٢) .

أي أوتلك نعمة تمنها على وهي ما هي في القلة والضآلة وأنت قد استعبدت شعبا بأسْرِه . وهل لك من حجة أو شرعة في أن عبدت بني إسرائيل أي جعلتهم عبيدًا لك [٤] واستغليت ممتلكاتهم وطاقاتهم ومقدراتهم لصالح شخصك وحدك واستنفذت جنودهم وطاقاتهم في خدمتك .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ — وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ (الأعراف : ١٢٧) .

أي أو يذرك وآلهتك وصل تظن أنه يذرْك وآلهتك [٥] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ (القصص : ٤٠) .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ — وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (البقرة : ١١٣) .

أي أ وهم بمعنى أهؤلاء وهؤلاء يقولون ذلك وهم يتلون كتاب الله .

كيف يكون منهم ذلك وهم يتلون الكتاب أي ذا المبادئ والقيم والتعاليم

---

(١) راجع وقارن البحر ٦/ ٥٦٥ .

(٢) راجع وقارن البحر ٨/ ٩٧ — ٢٨ والفراء ٢/ ٢٦٦ .

(٣) راجع وقارن البحر ١٠/ ٤٢٧ .

(٤) راجع وقارن البحر ٨/ ١٤٨ — ١٤٩ والمحتسب ١/ ٥٠ والفراء ٢/ ٢٧٩ .

(٥) راجع وقارن البحر ٥/ ١٤٣ — ١٤٤ والمحتسب ١٢٣/٢ والفراء ٣٩١/١ .

الواحدة (١) أي الموحدة التي اختلاف ولا تغاير فيها إن هذا ليدل على كذبهم جميعًا وعلى أنهم على باطل وضلالة .

* قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة : ٧٩) .

أي أفيسخرون مع أنهم ما أعز وما أكرمهم وما أطيب نفوسَهم فهذا متضمن لمعنى الاستفهام (٢) .

﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ الذين قدموا أقصى ما في جهدهم وطاقاتهم بكل صدق وقوة إرادة وشدة عزيمة ومن تلقاء وذات أنفسهم .

* قال تعالى: ﴿أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾(هود:٩٢).

أي أوَ اتخذتموه وراءكم ظهريًا .

وها أنتم قد اتخذتموه وراءكم ظهريًا أي وقد جعلتموه بآخرة (٣) .

مبحث رابع

ومما هو متضمن لمعنى الأستفهام

* قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران : ٧١) .

أي أو تكتمون الحق وأنتم تعلمون فهذا متضمن لمعنى الاستفهام وكذا ولِمَ تكتمون الحق وها أنتم تكتمون الحق أي فضلا عن ذلك (٤) .

* قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران : ٢١) .

---

(١) راجع وقارن البحر ١/ ٥٦٥ .
(٢) راجع وقارن البحر ٥/ ٤٦٨ .
(٣) راجع وقارن البحر ٦/ ٢٠٢ والفراء ٢/ ٢٦ .
(٤) راجع وقارن البحر ٣/ ٢٠٧ .

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي بدون أن يكون منهم اعتداء عليهم أو إجبار وقسر وحمل لهم على الإيمان أو دعوتهم لما هو سوء أو شر فهؤلاء هم أسوأ وأشر وأطغى ناس .

وهذا متضمن لمعنى الاستفهام [١].

* قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾(البقرة : ٩١) .

أي الذي لم يُحَرَّف ولم يغير عن وضعه الذي تنزل وهو الحق المعتمد المعتبر لدى رب العالمين .

وهذا متضمن لمعنى الاستفهام [٢] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور : ١٥) .

أي إذ تتلقونه بصدر رحب أي بدون إنكار شديد له واشمئزاز منه وتتناقلونه بألسنتكم .

﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ أي يسيرًا لا حرج فيه ولا مؤاخذة عليه وهو عند الله عظيم أي أمره شديد [٣] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ (النساء : ١٥٠) .

فهذا متضمن لمعنى الاستفهام [٤] .

ومما هو تابع في استفهامه للاستفهام قبله .

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (الشعراء : ١٦٥ – ١٦٦) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٣/ ٧٦ .
(٢) راجع وقارن البحر ١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣ .
(٣) راجع وقارن البحر ٨/ ٢٢٣ .
(٤) راجع وقارن البحر ٤/ ١١٩ .

أي وأتذرون ما خلق لكم ربكم أي من فلذات أكباد (ذات خصوصية خاصة) وما قدره لكم في أزواجكم وما عز وما كرم من أزواجكم .

وكذا وتذرون ما قد قدّر وارتضى ربكم التمتع به من أزواجكم إنكم تذرون ما طاب وتعدلون عنه إلى ما خبث وقبح التمتع به [١] .

مبحـث خامـس

ومما هو متضمن لمعنى الاستفهام ولكن له طريقه وأسلوبه الخاص غير المعهود ما جاء في سياق النهي ومتضمن مع ذلك لمعنى الاستفهام فهو من باب الدلالة فوق التركيبية وهي التي ليس عليها دليل لفظي وإنما بالمفهوم العام وبطرق اللزوم وأسلوب ونمط التركيب .

قال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأنفال : ٢٧) .

أي وأنى لكم أن تخونوا أماناتكم من خدم ونحوه وكذا بناتكم ومحارمكم إنهم أمانة الله ورسوله في أعناقكم .

ولتحذروا أن تخونوا أماناتكم إنها أمانات أتخونون أماناتكم التي أُودِعَت لديكم إن خيانتكم للإمانات خيانة لله ولرسوله في المقام الأول بالدرجة الأولى لأنها قد أودعت طرفكم بوكالة وبإملاء منه سبحانه وبشهادته تعالى .

فكيف يتأتى لكم ومنكم أن تخونوها وخيانة الأمانات يمثل جرمًا كبيرًا.

فقوله ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ وإن كان آتيا في سياق النهي إلاّ إنه متضمن لمعنى الاستفهام [٢] فهو نهي يمازجه الاستفهام .

* كما قال سبحانه : ﴿ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾ (العنكبوت : ٢٩) .

أي طريق المارة وكذا وتستأصلون بيت ومَنْبت الوَلَد وكذا وتقاطعون موضع الحرث وتعدلون عنه إلى ما خبث .

* قَالَ تَعَالَى:﴿وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ﴾ (العنكبوت : ٢٩) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٨/ ١٨٣ ـــ ١٨٤ .

(٢) راجع وقارن البحر ٥/ ٣٠٧ والفراء ١/ ٤٠٨ .

أي في نواديكم ومجالسكم ما هو منكر وسوء بل وأشد وأقبح المنكر .

* قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٤٢) .

أي ولا تكتموا الحق وأنى لكم أن تكتموا الحق أتكتمون الحق إنكم تكتمون الحق وأنتم تعلمون إنه الحق وتعلمون عقوبة كتمانه .

فهذا نهي يمازجه الاستفهام (١) .

* قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٨) .

أي ولا تدلوا بها إلى الحكام وأنى لكم أن تدلوا بها إلى الحكام وأضر من ذلك أن تدلوا بها إلى الحكام أتدلون بها إلى الحكام وهل بلغ وأيبلغ بكم الطغيان والعتو إلى أن تدلوا بها إلى الحكام (٢) .

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ (محمد : ٣٥) .

أي ولا تدعوا إلى السلْم وأنى لكم أن تدعوا إلى السلْم وأتدعون إلى السلْم أي إلى ما فيه استسلام وسيطرة للعدو عليكم كيف وأنتم الأعلون ولأنتم الأعلون أي بأمر وإذن الله تعالى وإرادته سبحانه والله معكم أي في كل مواقفكم ولن يتركركم ولن يتخلى عنكم ولن يكلكم إلى عدو أو أعدائكم طرفة عين فما أعز أعمالكم ومواقفكم (٣) فلتبقوا ولتحتفظوا بقوة إرادتكم الإيمانية وشدة عزيمتكم وثباتكم ويقينكم .

<u>ومما يلحق بهذا وما هو بسبب إليه .</u>

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾(محمد : ٢٢) .

أي وأن تقطعوا أرحامكم وأنى لكم أن تقطعوا أرحامكم وأتقطعون أرحامكم والله يدعوكم إلى وصلها أو مضاعفة عراها .

---

(١) راجع وقارن البحر ١/ ٢٩٠ — ٢٩١ .
(٢) راجع وقارن البحر ٢/ ٢٢٥ — ٢٢٧ .
(٣) راجع وقارن البحر ٩/ ٤٧٦ — ٤٧٧ .

فأصمهم عن سماع ما فيه نفع وخير ومصلحة وعما هو حق وعما هو مكرمة وفضيلة وأعمى أبصارهم عن كل ما فيه خير لهم وطمس على قلوبهم[١] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ (الأنفال : ٦٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (الأنفال : ٩) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران : ١٢٤ — ١٢٥) .

﴿ مُنزَلِينَ ﴾ وهاهم قد صار وافي في حالة منزلة بالقوم الكافرين وابتذال وامتهان لهم وإذلال وكسر لقلوبهم وأجنحتهم .

---

(١) راجع وقارن البحر ٩/ ٤٧١ — ٤٧٢ .

البــاب الخامــس

التنغيم الصوتي وأثره في الإعلام بالمعنى (١)

إن من الألفاظ والتراكيب القرآنية ما تتطلب أداء صوتيا خاصا أو متميزا على نحو يُشْعر ويُلقي بالمعنى وظلاله في نفس السامع فيكون لأدائها مغزاه وأصداؤه الدلالية الخاصة وإبراز المقصود وهذا الموضوع يلقى البحث الضوء الكاشف عليه من خلال عدة فصول ومباحث أو نماذج إذ إنه ذو صور متعددة ووجوه متفاوتة .

* قال عز وجل : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (الأعلى : ٦ – ٧) .

هذا مضمونه : سنقرؤك ونمكن من ذلك في قلبك ونفسك فلن تنسى إلى ما شاء الله أي إلى ما لا نهاية فالله قد تعهد بتحفيظه إياه وحَفْزِه في ذاكرته وثباته في قلبه إلى ما لا نهاية . .

وفيه إيقاظ وإعلام بضرورة المحافظة التامة عليه بدوام المراجعة له وترديده وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار (٢) فهذا من عهود الله على عبده أي عبده التقي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (النمل : ٩٢) كما أن في هذا طمأنة له عليه الصلاة والسلام فهو لن ينسى إلى ما شاء الله أي إلى ما لا نهاية فلا يكن لديه أية قلق أو توجس .

فلفظ ﴿ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ يؤدى بلفظ الخبر لا بلفظ الإنشاء بدلالة اثبات حرف اللين في آخره إذ لو كان نهيا محضا لسقط حرف اللين للجزم .

فالرسول ﷺ ما يكاد ينسى أو يسبق إلى نفسه ذلك إلاَّ ويتذكر بمجرد ذكره لاسم الله .

أي واعلم أنك لن تنسى ما دام لديك حرص على تذكره وكانت منك استمرارية في مراجعته كما قال سبحانه :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) .

---

(١) أساس هذا الباب حديث المصطفى " من لم يَتَغَنَّ فليس منا " أي من لم يَتَغَنَّن (بنونين)بالقرآن بمعنى يستشعره استشعارا .

(٢) راجع وقارن البحر ١٠/ ٤٥٦ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾ (الشعراء : ١٩٣ - ١٩٤) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ (الفرقان : ٣٢) .

فالقرآن نزل جملة على قلب المصطفى وإنه لعقد منظوم متعاقد متعانق .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ (الدخان : ٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ (القدر : ١) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ (البقرة : ١٨٥) أي بتمامه وكماله على قلبه ﷺ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ ﴾ (الإسراء : ١٠٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الزخرف : ٤) .

أي وإنه في أم الكتاب لدينا بلفظه ونصه وإنه لعلي حكيم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ (البلد : ١) .

أي البلد المُكَرَّم العظيم وأنت حلٌّ بهذا البلد أي وخاصة وأنت حل بهذا البلد أي البلد الذي قد تضاعف تكريمه وتعظيمه بحلولك فيه وإنك لأنت حل بهذا البلد أي لتكون لك دار إقامة فيه أمد الدهر [١] .

﴿ لَآ أُقۡسِمُ ﴾ مضمونه : لا أقسم لأن هذا لا يحتاج في أصله إلى قسم ولكني أقسم لإقامة الحجة على القوم [٢] .

* وكذلك لفظ ﴿ مُوسَىٰ ﴾ و﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴾ له نغمته ونبرته الصوتية الخاصة.

قال سبحانه : ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ (طه: ٦٧ - ٦٨) .

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠/ ٤٧٩ وراجع البحر ١٠/ ٩٠ ـ ٩٢ ، ٢٦٤ .
(٢) راجع وقارن البحر ١٠/ ٩٠ ـ ٩٢ وراجع البحر ١٠/ ٩٠ ـ ٩٢ ، ٢٦٤ .

أي وتمالكته خيفةً فأوجس أي توجس وارتجف وارتعد وامتلأ داخله خوفًا .

﴿مُوسَىٰ﴾ نداء تثبيت وإيقاظ وبعث لروح الثقة واليقين في نفسه وقلبه وبعث الطمأنينة في قلبه في وسط هذا الخضم والجو المتلاطم (١) .

فلفظ ﴿مُوسَىٰ﴾ له نغمته الصوتية الخاصة .

ومثله قوله سبحانه قبله : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ (طه : ١٧ – ١٩) .

﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ فيه ايناس وتثبيت له (٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ (القصص : ٣١) .

تأمل لفظ ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ فهو لبعث الطمأنينة في نفسه وزرع الثقة واليقين في قلبه والتأكيد له على أنه في كنف ربه المقتدر الحكيم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه : ٤٠ – ٤١) .

﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ فهذا طريقه التثبيت والإيقاظ والطمأنة . ولشحذ همته واستجماع قواه وإرادته فيما هو بصدده (٣) .

﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ أي تقوى وتَجلّد واثبت .

﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ أي يا من وفيت بعهدك هناك خير توفيه وأديته على أكمل وأتم وجه وأطيب حال وكنت خير مُؤنس لمن آووك من أهل مَدْين وخير وَفِيٍّ وخير أمين وخير مُؤتَمَن وحُزْت على ثقتهم وكمال تقديرهم لك .

فهذا فيه معنى الإشادة به والتمجيد له (٤) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٧/ ٣٥٦ .
(٢) راجع البحر ٧/ ٣٢١ .
(٣) راجع وقارن الفراء ٢/ ١٧٩ والبحر ٧/ ٣٢٣ ، ٣٣٣ .
(٤) راجع وقارن البحر ٧/ ٣٣٣ ــ ٣٣٤ .

قال تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ (طه : ٣٦) .

فهو عليه السلام رجل المهام الصعبة فلتصمد ولا تتخوف ولا تتوجس[١] .

قال تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (النمل : ٩) .

قال تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل : ١٠) .

فهذا طريقه الايناس والطمأنة والتثبيت [٢] .

كما أن هذا يتضمن معنى الإشادة بنباهته وسرعة بديهته عليه السلام وحسن تقديره للأمور وإدراكه لمدى عظم ما هو مقبل عليه وما هو بصدده وأنه يتطلب تثبتا ويقينا من طراز معين أو خاص وتكثيف طاقة وجهد وألا يهاب هؤلاء العتاه الطغاة .

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ (طه : ٨٣) .

هذا مضمونه : أي شيء أعجلك عن قومك يا موسى إنه ما أعجلك عن قومك يا موسى إلا حرصك على الوفاء فما أعز وما أكرم وما أطيب إعجالك .

ففي هذا معنى الإعجاب والإشادة [٣] به .

﴿ عَن قَوْمِكَ ﴾ أي في انفصالك عن قومك الذين سيشهدون آيات الله وهم النقباء وذلك بدلالة السياق بعده .

قال تعالى: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴾ (طه : ٢٧) .

﴿ عُقْدَةً ﴾ مثل عكدة وهي التي تحول دون اتمام البيان وجودة النطق فهي المعضلة والشائكة والأشد وذكى من لساني مثل امنحه ثراءً لغويا ولباقه في حذق وحكمة [٤] .

---

(١) راجع وقارن البحر ٧/ ٣٢١ .
(٢) راجع وقارن البحر ٨/ ٢١٢ .
(٣) راجع وقارن البحر ٧/ ٣٦٥ – ٣٦٦ .
(٤) راجع وقارن البحر ٧/ ٣٢٨ .

(فصـــل)

* قال عز وجل : ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار : ٨) .

﴿ صُورَةٍ مَّا ﴾ أي ما أعز وما أكرمها وما أحسنها وما أبدعها من صورة وما أعز وما أكرم ما شاء سبحانه في تصويره لك في أي صورة ما شاءها ركبك أي أبدعك ثم ركبك كما أنه ركبك هذا التركيب البديع ـــ ما شاء الله .

كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ (الحشر : ٢٤) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ (غافر : ٦٤) .

أي جمّلها فهي ما شاء الله على أبدع وأحسن ما يكون ففي لفظ ﴿ مَّا ﴾ معنى التعجب [١] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (البقرة : ٢٦) .

﴿ مَثَلًا مَّا ﴾ أي ما أعزه وما أحقه من مثل .

﴿ بَعُوضَةً ﴾ إن هذا الذي تعظمونه وتألهونه لا يزيد عن أن يكون بعوضة بغيضة مصاصة للدماء فما أبغضه من بعوضة ووزنه ما أخف من ذبابة وما أتفه وما أهون من ذبابة . فهو مثل حق قويم غاية في دقة وحكمة التصوير .

﴿ يَسْتَحْىِۦٓ ﴾ أي لا يتخاذل ولا يتهاون ولا يتقاصر دون أن يضع هؤلاء العتاة الطغاة المتألهون في الأرض في قوالبهم الحقيقية ويزنهم بموازينهم .

ففي لفظ ﴿ مَّا ﴾ معنى التعجب [٢] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ (ص : ١١) .

﴿ جُندٌ مَّا ﴾ أي ما كان أشده وما كان أعتاه وأطغاه من جند وإنه لمن

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠/ ٤٢٢ والفراء ٣/ ٢٤٤ .
(٢) راجع وقارن البحر ١/ ١٩١ ، ١٩٣ ـــ ١٩٩ .

الوفرة والكثرة بمكان وقد كان غاية في العتو والتطاول في الأرض [١] .

فهو كم ضخم عات مُطَّرح هنالك مهزوم مبتور مقطوع الأذناب مُدَمَّر محطم من الأحزاب أي عَصبة الكفر العالمي كما أنه قد صار ما هنالك أي كأن لم يكن شيئًا بعد أن كان يتشدق بكل عتو وطغيان .

* قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال : ١٧) .

أي وَجَّه سبحانه رميتك وقواها ودعمها أي وما رميت حجرًا عاديا ولكنك ألقمتهم سهما وقنبلة .

وما رميت بمحض إرادتك ومن تلقاء نفسك ولكن الله ألقى بالأمر بذلك في قلبك .

﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ وما أعزك إذ رميت وما أشد ثقتك ويقينك بربك إذ رميت[٢] .

* قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ (آل عمران : ٣٦) .

أي إني وضعتها على خير وأعز وأكرم وأطيب ما يكون فهي فَرِحَة مستبشرة طابت نفسها بوضعها للغاية .

وأنها ﴿أُنثَىٰ﴾ أي على خير وأعز ما يكون أي من طراز معين أو خاص فهي فريدة في بابها منقطعة النظير في عالمها [٣].

* قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ (القدر : ٢) .

أي ما أعلمك بعظم ليلة القدر وما أعز وما أعظم إدراكك لجلالها وقدرها ففي هذا معنى الإشادة والإعظام والتعجب .

فالله قد أطلع رسوله على فضلها وأعلمه بما يتم ويجرى وما يُقضى فيها من أمور .

* وأما قوله : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ (عبس : ٣) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٩/ ١٤٠ .
(٢) راجع وقارن البحر ٥/ ٢٩٤ ــ ٢٩٦ .
(٣) راجع وقارن البحر ٣/ ١١٧ ــ ١١٨ والفراء ١/ ٢٠٧ .

ففيه معنى الشفقة والترحم والاستعطاف أي إنك لم تَدْرِ [١] فالرسول لم يأته خبر ذلك ولم يعلم حقيقة أمره وفي هذا تسريه عن نفسه ﷺ والمواساة له في محنته والتخفيف من شدة إحساسه بالذنب .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ (المرسلات : ١٤) .

إنه ما أشد علمك بعظم أمره ووقوفك على أهواله وأحداثه [٢] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴾ (المدثر : ٢٧ – ٢٩) .

أي لبشرة المتبرجات من البشر فترى كالحة مغبرة محترقة [٣] .

كما قال سبحانه : ﴿ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴾ (المعارج : ١٦) .

أي مُشَوِّهة لجلد وجه المتبرجات .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ (الحاقة : ٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ (القارعة : ٣) .

أي ما أكثر إلمامك بأمرها ومخاطرها وشدائدها [٤] .

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴾ (الواقعة : ٢٧) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾ (الواقعة : ٨) .

فأصحاب اليمين هم أصحاب الميمنة .

فهذا فيه إشادة وإعظام وإكبار .

وأما قوله سبحانه :

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ (الواقعة : ٤١) .

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾ (الواقعة : ٩) .

---

(١) راجع وقارن معاني القرآن للفراء ٣/٢٣٥ ، ٢٨٠ والبحر ١٠/٤٠٦ ، ٥١٤.

(٢) راجع وقارن البحر ١٠/ ٣٧٥ .

(٣) راجع وقارن البحر ١٠/ ٣٣١ ــ ٣٣٢ .

(٤) راجع وقارن البحر ١٠/ ٢٥٤ ، ٥١٤ ، ٥٣٢ ــ ٥٣٣ والفراء ٣/ ٢٨٠ .

فهذا فيه تحسر وتندم وتنديد وتبكيت [١] فأصحاب الشمال هم أصحاب المشأمة .

* قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (الفرقان : ٢٠) .

﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾ فيها معنى التثبيت والطمأنة وفيها معنى المواساة والشفقة والرحمة بالقوم المتقين في خضمّ طغيان أهل الدنيا وتألقهم في زينتها وزخرفها [٢] وفي خضم هذا الطغيان العارم وذلك العتو وهذا التآمر عليهم من كل صوب وأوب . فهو استرحام والتماس العذر لهم والشفقة عليهم .

* قال تعالى: ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ (إبراهيم : ٣٤) .

فهذا يتضمن معنى وآتاكم من كل شيء وخاصة ما سألتموه أي ما تطلعت وطاقت نفوسكم إليه فإنه سبحانه ما أكرمه إذا ما سألتموه فإذا به يؤتيكم من خير ما سألتموه فإنه ما أعزه وما أكرمه والله قد منحكم ويمنحكم المزيد بعد المزيد منه [٣] .

كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ (الفرقان : ٧٧) .

إنه لولا دعاؤكم لترككم وشأنكم .

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٦) .

* قال تعالى: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ (التوبة : ٤٣) .

فهذا يتضمن معنى لله درك كيف تفطنت إلى حقيقة أمرهم من أول وهلة وعدم صلاحيتهم وأهليتهم للخروج معك فهم حقا على عجالة من التخاذل والتقاعس .

ففي هذا تزكية للرسول ﷺ .

---

(١) راجع وقارن البحر ١٠/ ٧٨ .
(٢) راجع وقارن البحر ٨/ ٩٤ — ٩٥ .
(٣) راجع وقارن البحر ٦/ ٤٤٠ — ٤٤١ والفراء ٢/ ٧٧ — ٧٨ .

كما أنه قد يتضمن معنى العتاب واللوم المخفف بحكم كونه إماما وقائدا ومعلما لصاحبته من حوله ــ عفا الله عنك أي سامحك الله على هذه المبادرة وتلك العجلة في اتخاذ القرار وقد كانَ ينبغي أن تمهلهم حتى يتبين لك صدقهم من عدمه (١) على مرأى ومسمع من القوم من حولك ليشهدوا عليهم .

* قال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس : ٩٩) .

أي وأنت مَنْ أنت وأنت تعلم ما تعلم من عظم الإيمان وأنه قيمة ومكرمة وأنه يأخذ بأيدي أصحابه إلى العزة والشرف والسمو في مرتبة الإنسانية والحظوة عند رب العالمين .

ولذا فإنه جدير بأن يَبْذُلَ الناس في الظفر والحظوة به كل غالٍ ونفيس.

فهذا يتضمن معنى الإشادة والإعظام والإكبار لرسول رب العالمين . وإن جاء في ثوب الإنكار واللوم أو في ثوب يمازجه الإنكار واللوم فهو من هو ﷺ في معرفة ذلك والعمل به (٢) .

وقريب منه قوله سبحانه : ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (المائدة : ١١٦) .

أي وأنت من أنت في توحيدك لله إنه ما أبرأ وما أنزه ساحتك عن هذا التقول وذلك الإدعاء الأثيم (٣) .

وقوله سبحانه : ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ (سبأ : ٤٠) .

فهذا يقصده إقامة الحجة الدامغة على القوم ودحض مزاعمهم على رؤوس الأشهاد (٤) .

* قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف : ٤٧) .

أي إنكم تزرعون ولتزرعون فلتزرعوا أي في جد ومبادة وتحفز وقوة

---

(١) راجع وقارن البحر ٥/ ٤٢٥ .
(٢) راجع وقارن البحر ٦/ ١٠٨ ــ ١٠٩ .
(٣) راجع وقارن البحر ٤/ ٤١٥ ــ ٤١٦ .
(٤) راجع وقارن البحر ٨/ ٥٥٦ .

إرادة وشدة عزيمة دون تأخر أو توان أو إبطاء أو تواكل فهو خبر في معنى الأمر [١] .

* فقوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (التوبة : ٤٣) .

أي عافاك الله وكرّمك فإن فطنتك قد هدتك بداءة ومن أول وهلة إلى عدم صلاحيتهم للجهاد والخروج معك فتصرفت معهم بما هم أهله وبما يجب.

وإنه ليجدر بك ألا تأذن لمثل هؤلاء ثانية حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلمَ الكاذبين أي حتى تشهد عليهم القوم من حولهم [٢] .

فهذا يتضمن معنى الإشادة والإكبار .

* قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ (الإسراء : ٦٤) .

أي واستفزز ما تستفزز وكما تستفزز أي بالإثارة والحث والتحريض على البغي والفسوق والعدوان .

فما أضل وما أخزى من استطعت وما أوهى ما استطعت ونلت به منهم وخاصة بصوتك .

فهذا يضمن معنى التوعد والاستحلاف والتبكيت والإنكار [٣] .

ومثله قوله سبحانه :

﴿ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الإسراء : ٦٤) .

أي وعدْهم كما تعدهم وبما تعدهم وليعلموا أنه ما يعدهم الشيطان إلا غرورًا ما هو غرر أي لا أصل له ولا حقيقة تحته في حقيقة ونفس الأمر وما هو إلا تغرير مثل توريط وإخداع[٤] .

فالأداء الصوتي لهذه الآيات وتلك الألفاظ القرآنية ينبغي بل يجب أن

---

(١) راجع وقارن البحر ٦/ ٢٨٥ .
(٢) راجع وقارن البحر ٥/ ٤٢٥ ــ ٤٢٦ .
(٣) راجع وقارن البحر ٧/ ٧٩ ــ ٨٠ .
(٤) راجع وقارن البحر ٧/ ٨٠ ــ ٨١ .

يُلْقى في نفس المستمع بهذه الظلال المعنوية وتلك الإيحاءات الدلالية وأن يمكنها من نفسه تمكينا ويؤكد عليها لديه تأكيدا .

وإلاَّ فإن الأداء يكون فيه قصور .

(فصـــل)

ومما ينبغي تمكين أدائه قوله عز وجل :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ﴾ (سبأ : ١٥) .

أي آيةً كبرى وعظمى .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ (الإنسان : ٢٣) .

أي حقا عزيزا كريما أي على أعز وأكرم ما يكون وعلى أتم وأكمل ما يكون وعلى أقوم وأحكم ما يكون وعلى أحوط ما يكون وفيه من الطاقة الربانية والروحانية الفاعلة ما فيه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ (المؤمنون : ٧٨) .

أي أنشأها إنشاء على أعز وأكرم ما يكون وأعجب ما يكون .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء : ١٦٤) .

أي مباشرا حقًا على أعز وأكرم ما يكون [١] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام : ٨٣).

﴿ مَنْ نَشَاءُ ﴾ أي وما أدراك بعظم وكرم ما نشاء لمن نشاء وما أسمى وما أرقى ما نشاء من درجات ما نشاء من مجد وعزة .

ففي هذا معنى الإشادة والتمجيد ففي ﴿ مَنْ ﴾ معنى التعجب إنه ما أعظم ما نشاء وإنه ما أعو وما أكرم من نشاء له ما نشاء [٢] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾ (لقمان : ٢٧) .

من شجرة هي أصل وأرومة لكل الشجر الطيب المثمر بأسره كما هو

---

(١) راجع وقارن البحر ١/ ٥٨٥ .

(٢) راجع وقارن البحر ٤/ ٥٧٢ ـــ ٥٧٣ .

حال الشجرة التي قد خُلقت على عهد آدم عليه السلام (١) . والتي قد انبثق ومثل كل فرع منها شجرة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا — لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾(ص: ٣٥).

أي مُلْكًا عظيما عتيقا عتيدًا قويا شديدًا راسخا ثابتا أواجه به هذه القوى الطاغية والعاتية من حولي وفي عصري وزماني (٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ (الصافات : ٦١) .

أي لمثل هذا التكريم من ربّ العالمين فليعمل العاملون أي بكل جد وصدق ونبل وإخلاص وقوة إرادة وشدة عزيمة وثبات يقين وانفتاح قلب وصدر ومثابرة دون ملل أو سأم أو يأس أو ضجر .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ — وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ (يس : ٥٧) .

﴿فَٰكِهَةٌ﴾ أي ثرية طيبة كريمة كثيرة بديعه لذيذة دانية قطوفها فهي فاكهة من طراز معين أو خاص .

﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ أي كافة ما يتمنون (٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (الواقعة : ٣٢ – ٣٣) .

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي إنها محتفظة بتمام وكمال حلاوتها على مر الزمان .

﴿ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي هي محتفظة بكمال وتمام دمائتها ودسامتها وخصوبتها كما هي في أول عهدها (٤) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (غافر : ٦١) .

أي لذو فضل كبير وكثير وعميم .

(١) راجع وقارن البحر ٨/ ٤٠٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١ .
(٢) راجع وقارن البحر ٩/ ١٥٧ .
(٣) راجع وقارن البحر ٩/ ٧٧ .
(٤) راجع وقارن البحر ١٠/ ٨٢ .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة : ٢٤٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ (الحجرات : ٨) .

﴿ وَنِعْمَةً ﴾ أي كبرى وعظمى وما أعزها وما أكرمها من نعمة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ (سبأ : ١٠) .

أي فضلا عظيما عميما وقلنا يا حبالُ وهي التلال السحابية المتراكمة والمحملة بالماء وترى كالجبال الأرضية [1] كما قال سبحانه : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ (النور : ٤٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾(سبأ: ١٢) .

مثل عين البترول .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ (البقرة:٦٠) .

﴿ ٱلْحَجَرَ ﴾ أي الأعتى والأشد .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾(القصص : ٥٧) .

﴿ رِّزْقًا ﴾ أي محضا خالصا وفضلاً ومكرمة من لدنا نحن .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (طه: ١٢٤) .

أي معيشة نكدة بائسة وإنها لتضنكه ضنكًا فتصير حياته ضنكي [2] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ ﴾ (طه : ١٥) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٨/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥ .

(٢) راجع وقارن البحر ٧/ ٣٩٤ .

أي طبعا وحتما وقضاء وحقا ويقينا وعلى نحو حق يقين مكين .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (الحج : ٤٧) .

وإن يومًا منَ العذاب ليعادل وليمحو التنعم لهؤلاء الطغاة على مدى ألف سنة مما تعدون .

وإن يوما من النعيم ليعادل وليمحو التعذيب للمتقين بأقصى ما وجد في هذه الدنيا من درجات وصنوف العذاب على مدى ألف سنة مما تعدون فما أشد وما أقسى عذابه وما أكرم وما أطيب نعيمه .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ (آل عمران : ٩٧) .

أي البيت العظيم العتيق الأمين المبارك الكريم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ﴾ (الأنعام : ٧١) .

أي أصحاب أعزاء كرماء ما أعزهم وما أكرمهم من أصحاب فهم يدعونه إلى الهدى وقد استهوته الشياطين فهم بصدد انقاذه وانتشاله [١] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾ (التوبة:١٢٠) .

﴿ نَّيْلًا ﴾ أي قاسيًا وضاديا .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (الأنفال : ١٢) .

أي واضربوا منهم في الصميم كل قائد وزعيم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ (الأنفال : ٥٧) .

﴿ مِنْ عَدُوٍّ ﴾ إنه عدو ما ألده وما أطغاه من عدو أي بالمعنى الحقيقي لكلمة عدو فهو حاقد بغيض عاتٍ طاغ .

ومن هذا الباب :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ (الكهف : ٥٩) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٤/ ٥٥٢ والفراء ١/ ٣٣٩ .

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ أي القُدمى .

﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ أي لما ضاقت الأجواء والأرجاء والآفاق ذرْعا بظلمهم وبلغوا الغاية فيه كما هو مفاد لفظ ﴿لَمَّا﴾ .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ (الدخان : ٢٤) .

أي إنهم جُنْدٌ عتاة طغاة ظالمون آثمون متطاولون في الأرض بغير الحق ولذا فإنهم مغرقون .

ففي هذا معنى التنديد بهم [١] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ (هود : ٨١) .

أي إنا رسل ربك القوي العزيز المقتدر الحكيم . وأنت تنفذ أمر ربك وتسير بأمر ربك ولذا فإنهم لن يصلوا أن لن ينفذوا إليك ولن يدركوك فاسر بأهلك وليكن ذلك بقطع من الليل .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٧٩) .

﴿حَيَوٰةٌ﴾ أي حياة حقة قيمة آمنة عادلة مستقرة .

فلفظ ﴿حَيَوٰةٌ﴾ يحتاج إلى اعتماد نطقي وتركيز أدائي من نوع معين ومن طراز خاص .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال : ٢٤) .

أي حياة حقة معتمدة معتبرة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ (النمل:٢٣) .

أي امرأة من طراز معين أو خاص تتمتع بطاقات وكفاءات فريدةٌ ولذا فإنها تملكهم أي تمسك بزمام ومقاليد الحكم في استقرار وقوة إرادة وتملك

---

(١) راجع وقارن البحر ٩/ ٤٠٢ .

عليهم أمرهم وتحوز على رضاهم [١] وتستحوذ على قلوبهم كل الاستحواذ فهي غاية في الحكمة والعقلانية فهي حكيمة عاقلة فلفظ ﴿ٱمۡرَأَةٌ﴾ يتطلب أداءً صوتيا مكينا يلقى بهذه المعاني في نفس المستمع .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء : ٣٤) .

أي الرجال القيّمون هم الذين تقع على عاتقهم المسئولية وهم القائمون على النساء بما لديهم من قدرات وطاقات وكفاءات إيمانية من طراز معين أو خاص فهؤلاء هم الذين لهم حق القوامه دون غيرهم [٢] .

أي الرجال القيمون هم قوّامون على النساء أي هم ألقوّامون على النساء .

وهذا مفاد من تمكين النطق بلفظ الرجال فهم رجالٌ وأي رجال .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ (الأحزاب : ٢٣) .

فهم رجال قد امتازوا بقوة الإرادة الإيمانية وصلادة العقيدة [٣] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحۡمَةً﴾ (الروم : ٢١) .

﴿أَزۡوَٰجًا﴾ أي مؤمنات صالحات طيبات طاهرات عفيفات كريمات .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِ﴾ (طه : ١٣١) .

﴿أَزۡوَٰجًا﴾ أي فيهم خفة وزهو وغرور وفسوق .

﴿لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِ﴾ أي لنشغلهم به ونلهيهم فيه [٤] .

" وفي موضع آخر "

---

(١) راجع وقارن البحر ٨/ ٢٢٧ .

(٢) راجع وقارن البحر ٣/ ٦٢٢ ــ ٦٢٣ .

(٣) راجع وقارن البحر ٨/ ٤٦٧ .

(٤) راجع وقارن البحر ٧/ ٤٠٠ والفراء ٢/ ١٩٦ .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الحجر : ٨٨) .

﴿أَزْوَٰجًا﴾ أي عتاة طغاة جبابرين فإنا ننتقم ونقتص بهن منهم [١] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ ــ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ (النمل : ٥٨) .

أي مطرًا قطرانيا وَبِيلا قاسيا غامرًا راجفا كاسحًا . قاسيا شديدًا صاخبا صارخًا .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ ــ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾(القصص : ١٢) .

أي أهل بيت طيبٍ جيد كريم أمين إنهم يكلفونه لكم أي على خير وأعز وأكرم ما يكون [٢] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا ــ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾(القصص:٣٣) .

﴿نَفْسًا﴾ أي باغية ظالمة معتدية متطاولة ولكنهم لا يفقهون الحق ولا ينصاعون لما هو العدل .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾ (القصص : ٢٩) .

﴿ٱلْأَجَلَ﴾ أي الأتم والأوفى والأكمل والأوفر وهو العشر .

﴿نَارًا﴾ أي نورًا متوهجًا متقدًا من شدة نورانيته [٣] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ــ قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾(النحل:١١٢)

أي مَثَلاً حقا حيًا ما أحقه في باب الموعظة والتحذير لأهل العصر من مَثَلٍ .

---

(١) راجع وقارن البحر ٦/ ٤٩٥ ــ ٤٩٦ .

(٢) راجع وقارن البحر ٨/ ٢٩٠ .

(٣) راجع وقارن البحر ٨/ ٣٠١ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ ـــ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ (الإسراء : ٥٨) .

أي وإن من قرية ظالمة طاغية أو باغية فاسقة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ـــ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ (ص : ٣) .

من قرنٍ كانوا هم في العتو والطغيان والجبروت والزهو والاغترار بقوتهم وجندهم وعدتهم وعتادهم ومُلكهم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا ـــ لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ (البقرة : ٤٨) .

أي واتقوا يومًا ما أشده وما أقساه من يوم [١] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا ـــ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ (البقرة : ٢٨١) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ ـــ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (هود : ١٠٥) .

﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ أي قد كانت حادة سليطة اللسان لا تُبارى في اللجاج في الباطل والتقول والتماري بآيات رب العالمين .

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي فهذه لا تهمس ولا تنبس بكلمة ولا يحرف ولا بصوت واحد إلا بإذنه عز وجل .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ (الزمر : ٢٩) .

﴿مَثَلًا﴾ أي حقا قويما ما أحقه وما أقومه في بابه مثلاً للقرآن ومثلاً للكتب التي يتشاكس ويتنازع فيها أي في لفظها ونصها وحولها أهل الكتاب[٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ـــ فَلْيَكْتُبْ﴾ (البقرة:٢٨٢) .

---

(١) راجع وقارن البحر ١/ ٣٠٦ .

(٢) راجع وقارن البحر ٩/ ١٩٧ ـــ ١٩٨ .

﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ أي كتابة حقة معتمدة معتبرة شرعًا فيها تحقيق وتدقيق وتمكين وحفظ للحقوق على مر الزمان وفي مختلف الظروف والأحوال وعلى كافة الأصعدة والمستويات [١] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾(الشعراء: ١٥٥) .

أي ناقة بديعة غريبة آية ومعجزة وإنها لها شِرْبٌ وقد جُعل لها شِربٌ ولكم شِرْبُ يوم معلوم أي ولكم شِرْبٌ في يومٍ معلومٍ أي محددَ مُعلَن على الملأ [٢] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ (البقرة : ٦٩) .

﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾ أي فريدة من طراز معين أو خاص فاقعٌ وحَسَنٌ لونُها فلونها يثير الدهشة والإعجاب فهي ما هي في بني جنسها فهي متألقة بديعة في عالمها [٣] .

ومما ينبغي استشعار أبعاده الدلالية وأدائه على نحو معين أو خاص قوله سبحانه : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ (ص : ١٢ – ١٣) .

أي الأشرار العتاة الطغاة وعصبة الكفر العالمي فإن فيهم كل العاهات والأمراض الاجتماعية والطاغوتية الخبيثة التي كانت لدى كل هذه الأقوام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ (غافر : ١٢) .

﴿فَٱلْحُكْمُ﴾ أي في هؤلاء الطغاة العتاه الجبابرين الظالمين لله العلى الكبير .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ (البقرة : ١٧٩) .

أي حقة قيمة معتمدة معتبرة مستقرة آمنة ليس فيها تَعَدّ أو سفك للدماء أو قتل للأبرياء .

---

(١) راجع وقارن البحر ٢/ ٧٢٤ ــ ٧٢٥ .
(٢) راجع وقارن البحر ٨/ ١٨٢ .
(٣) راجع وقارن البحر ١/ ٤٠٣ ــ ٤٠٩ .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَـٰبِ ﴾ (البقرة : ١٧٩) .

أي يا أصحاب القلوب الغضة الرطبة الذكية لعلكم تتقون أي إنا قد فرضنا وقررنا ذلك لعلكم تتوقون الاعتداء بدون وجه حق ولتحظوا بتقوى رب العالمين ووقايته وتأمينه لكم ولحياتكم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ﴾ (النساء : ٩) .

أي قد خافوا عليهم وكذا فلتخافوا وليخافوا عليهم أي ليكن منكم ومنهم خوف عليهم فهو في معنى يا أيها الناس خافوا عليهم فهذا تنبيه وإيقاظ للهمم وبعث لها من مرقدها .

وإنهم إن أرادوا وقصدوا ذلك وكان لديهم صدق معهم وفي استشعار مسئولياتهم والإحساس بها تجاه أولادهم وأهليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديدًا[١] .

فهذا يتضمن معنى الأمر الذي طريقه النصح والتوجيه .

---

(١) راجع وقارن البحر ٣/ ٥٢٨ .

ظاهرة استحضار الصورة وطبيعة الأداء الصوتي لتركيبها

إن القرآن الكريم قد جاء أسلوبه على نمط ونحو يجعلك ترى الشيء رأي العين وتستشعره وتحسه إحساسًا قويا عميقا وتلمسه لمسًا .

فهو يعرض الأشياء في صورة مشاهد حية ومتحركة لا يتوقف أمرها عند شيء واحد مخصوص لا تتجاوزه إلى صنوه ونظيره بل يجعل من صنوه ونظيره ومما هو على شاكلته مما هو في عصرنا الحاضر مجالاً ومَحَلاً للتوصيف وللرصد والتشخيص فإذا به يلحق بصاحبه ويأتي في ركبه.

ولهذا التوجه وذلك المنحى والأسلوب والنمط أثره في الأداء فيكون للكلام نغمة ونبرة متميزة ذات طابع محسوس ملموس قد عايشه القارئ معايشة أو ينظر إليه ويراه رأي العين ويجعلك كذلك وهذا ينم في القرآن من إبداع لغوي وصوتي متميز ومنقطع النظير .

أ) قال عز وجل : ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (فصلت : ٩) .

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي العظيم الجليل المبدع المقتدر الحكيم الذي قد خلق الأرض في يومين وقدر فيها أقواتها في يومين آخرين وخلق السماء وجعلها سبعا وأوحى في كل سماء أمرها في يومين [1] ذلك شأن وعظمة رب العالمين .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الأعراف : ٥٤) .

أي وإنه قد خلقها في ستة أيام .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (الشورى : ١٠) .

أي ذالكم العظيم الجليل القدير المقتدر الحق العدل الله أي هو الله رب الكون والوجود والحياة وكل الأجواء والآفاق .

﴿رَبِّى﴾ وإنه هو ربي وإنني عليه قد توكلت وإليه أنيب أي مرجعي ومعادي [2] .

---

(١) راجع وقارن البحر ٩/ ٢٨٧ .
(٢) راجع وقارن البحر ٩/ ٣٢٥ .

ومثله قوله سبحانه : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ (يونس : ٣٢) .

﴿ فَذَٰلِكُمُ ﴾ أي العظيمُ الجليل اللهُ أي هو الله أي هو الله وإنه ربُّكم فهو الإله الحق وهو الربُّ الحقُ .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ (الأنعام : ١٠٢) .

ومثله قوله سبحانه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ (يونس : ٣) .

أي ذلكم العظيم الجليل المقتدر الحكيم الله أي لهو الله وإنه لهو ربُّكم فاعبدوه [١] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (السجدة : ٦) .

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ فيه معنى الإشادة والإعظام والإكبار أي ذلك العظيم الجليل القدير المقتدر لهو الله عالمُ الغيبِ والشهادةِ كما أنه العزيزُ الرحيمُ [٢] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾ (الشورى : ١٠) .

أي ذالكم العظيم الجليل المبارك القدير الحق العدل القويم الله أي لهو الله وإنه لهو ربي [٣] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (فصلت : ١٢) .

أي ذلك التقدير العظيم البديع الذي يستحق كل إشادة وكل إعظام وإكبار لهو تقديرُ رب العالمين .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ (لقمان : ١١) .

أي هذا الخلق العظيم الجليل والسوى والبديع لهو خلق الله .

ففي هذا معنى الإشادة والإكبار .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون : ١٤) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٦/ ١٢ .
(٢) راجع وقارن البحر ٨/ ٤٣٢ .
(٣) راجع وقارن البحر ٩/ ٣٢٥ .

أي فإنه أحسنُ الخالقين بمعنى فإنه قد أحسن خلْق كل المخلوقين أي كل المخلوقات (١) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا ـــ مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ (ص : ٥٤) .

أي إن هذا المتألق في عناقيده وأشجاره وأجوائه والفريد في بابه وعالمه والبديع في صنعه والعميم الوفير وهذا الذي تمتلئ وتغص به الأسواق لهو رزقنا .

وإن هذا الذي قد كرمكم وحباكم الله به لهو رزقنا وأنه ما له من نفاد أي لهو دائم لا ينقطع أمد (٢) الدهر .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا ﴾ (ص : ٣٩) .

أي إن هذا الكم الزاخر من المُلْك والعطاء لهو عطاؤنا ومن لَدُنَّا نحن .

مَن تسخير الرياح وتسخير الشياطين لسليمان عليه السلام وتعليمهم منطق الطير .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ ـــ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النساء : ٧٠) .

أي ذلك الفضل العظيم الجليل الهائل لهو من الله .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ (البقرة : ٢) .

أي الشافي الكافي الحق العدل القويم الكامل التام والمتقن الحكيم فهو الكتاب المعتمد والمعتبر شرعا دستورًا ومرجعًا ومنهاجًا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (الرعد : ١) .

أي الحق الفاصل الذي تُقْصَم به ظهور الأعداء والطغاة والعتاه في الأرض .

كما أنه الكتاب الأغر العظيم والطيب الكريم الذي تضمن تفصيل كل شيء ويفصل ويقضي في كل شيء .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾(العنكبوت: ٥١)

---

(١) راجع وقارن البحر ٧/ ٥٥١ ـــ ٥٥٢ .

(٢) راجع وقارن البحر ٩/ ١٦٧ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا هُدًى ﴾ (الجاثية : ١١) .

أي هذا أي القرآن الذي هو كلام وحديث الله هدىً أي حق قويم ووافر طاف ضاف غامر في باب العلم والمعرفة وتمكين وزيادة اليقين بالله رب العالمين فهوَ منقطع النظير في دربه فريد وبديع في عالمه [١] مثل في بابه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ (البقرة : ١٢٠) .

أي الحق القويم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران : ٧٣) .

أي إن الهدى الحقيقي والرشيد لهو هدى الله .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران : ٥٨) .

أي ذلك العظيم الجليل الذي تسمعه نتلوه عليك أي نحن وإنه لمن الآيات والذكر الحكيم أي من آيات الكتاب وإنا نتلوه عليك من أم الكتاب لدينا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل : ٦) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا ﴾ (الزخرف : ٤) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ (الشعراء : ١٩٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (الشعراء: ٢١٠ – ٢١١) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا — يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ — إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية : ٢٩) .

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا ﴾ أي إن هذا لكتابنا وإن هذا الكتاب الذي قد أحصى كل شيء لهو كتابنا ما أحقه وما أعزه وما أصدقه من كتاب وإنه لينطق عليكم بالحق [٢] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ — مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ (هود : ١٠٣) .

---

(١) راجع وقارن البحر ٩/ ٤١٦ .

(٢) راجع وقارن البحر ٩/ ٤٢٥ .

أي يوم قاسٍ مَهُول شديد وإنه لمجموع له الناس وإنه لمشهود أي ليحضره الأشهاد من كل صوب وأوب (١) والذين كانوا في أول الزمان وفي آخره .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الصافات : ٢١) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (المرسلات : ٣٥ – ٣٦) .

أي يوم إذلال وإنكسار للعتاة الطغاة ولذا تراهم لا ينطقون .

ويومٌ خزى للمجرمين وللسفهاء وللمفسدين وتنكيل بهم وبالمشركين المتآمرين على دين رب العالمين (٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم : ٦٣) .

أي تلك العظيمة البديعة لهي الجنةُ (٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ (الحج : ٣٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٧٧) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾(آل عمران : ١٣٤).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(الأعراف : ٤٣).

أي الجنة التي ترونها وتطالعون عظمتها وكمال إبداعها ووفرة نعيمها وكثرة خيراتها وعذوبة ولذة طعامها والجنة المتألقة في عالمها .

وإنها لحق لكم فإنكم قد أورثتموها بما كنتم تعلمون أي الجنة العظيمة البديعة (٤) . وفي هذا غاية الإعزاز والتكريم لهم والحفاوة بهم من ربِّ العالمين .

---

(١) راجع وقارن البحر ٦/ ٢٠٨ ــ ٢٠٩ .
(٢) راجع وقارن البحر ١٠/ ٣٧٨ ــ ٣٧٩ .
(٣) راجع البحر ٧/ ٢٨٠ .
(٤) راجع وقارن البحر ٥/ ٥٤ ــ ٥٥ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(آل عمران : ١٧٥) .

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي ينفخ فيهم وينفش ريشهم ليخوفكم منهم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾(الإنسان:٢٧).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(الأعراف:١٣٩) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة : ١٦) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة : ٨٦) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ (الأنعام:٧٠).

أي ذلوا وامتهنوا مع ما هم عليه من علم ومعرفة بالكتاب .

ومن هذا الباب قوله عز وجل :

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (هود : ٥٩ – ٦٠) .

أي ما أسوأ حالتهم ويومَ القيامة سيرون عقوبة عتوهم وطغيانهم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾ (النجم : ٥٠ – ٥١) .

فإنه سبحانه سيهلك عادا الآخرة كما أهلك عاد الأولى وقد كان فيهم عتو وطغيان واستكبار وسيهلك ثمود الآخرة كما أهلك ثمود الأولى وقد كان فيهم بغى وفسوق كما قد كانوا أهل ترف وزخرف وزينة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾ (محمد : ١٠) .

أي حطم عليهم أبنيتهم .

أي وللكافرين الطغاة والآثمين من هذه الأمة ضربات أمثالها .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ (عبس : ٤٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ (القمر : ٤٧) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (الانفطار : ١٤) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ (الزخرف : ٧٤ – ٧٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴾ (النبأ : ٢١ – ٢٢) .

أي لهؤلاء بالمرصاد ولتكون للطاغين مآبا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ (فصلت : ١٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ (الزمر : ٨) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ (إبراهيم : ٣٠) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سبأ: ٣٠).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً ﴾ (القصص: ٧٨) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾ (الكهف : ٥٩) .

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى ﴾ أي القدمى والتي ترى آثارها أهلكناهم لما ظلموا أي أتيناهم عليهم لما امتلأت الأجواء وضاقت الآفاق ذرعا بظلمهم .

﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾ أي حددنا لهم ساعة صفر .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾ (الرعد : ٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة : ٦) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ﴾ (المجادلة : ١٩) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝٤٨

قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (النمل : ٤٨ – ٤٩) .

فهم قد حلفوا وتعاهدوا على ألا يقولوا إلا الكذب .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ (الشعراء : ٥٣ – ٥٨) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ (الدخان : ٣٤ – ٣٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴾ (الأحزاب : ٦١) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (المجادلة : ٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (محمد : ١٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ (ص : ١٣) .

أي أحزاب الكفر والطاغوت .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٢٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٧٥) .

أي جاء يخوف أولياءه أي ينفش ريشهم ليرهبكم منهم وقال عز وجل :

﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (الزخرف : ٦٨) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٣٨) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (طه: ١٢٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (الدخان : ٥١) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر : ٥٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة : ٢٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾(الإنسان:٢٧).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة : ٨٦) .

وقبله :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة : ١٦) .

أي لا أربح الله لهم تجارة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ (القمر : ٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝٩٧ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ (هود : ٩٧ – ٩٨) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾(غافر : ٤٦) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ (القمر : ٤) .

أي كفاية تامة في باب الارتداع .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ (النساء : ٤٤) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ (الكهف : ١٠٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران : ٧٧) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود : ١٨) .

قال تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ٥٠) .

قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ (البقرة : ٢١٠) .

قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (الأنعام : ٧٠) .

﴿أُبْسِلُوا﴾ أي ذلّوا وامتهنوا أي أورثوا خزيا وذُلاً وهوانًا .

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾(الأنفال: ١٤).

قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة : ٤١) .

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (التوبة: ٣٥) .

قال تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (الزخرف : ٣٩) .

أي ولن ينفعكم اليوم اعتذاركم ولا ما قدمتموه من أعمال خيرية إذ قد فزِعتم إلى الظلم فلتعلموا أنكم أنت وشركاؤكم في العذاب مشتركون .

قال تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (الحديد : ١٥) .

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ (المزمل:١٥) .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ (القمر : ٤١ – ٤٣) .

قال تعالى: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (الدخان : ٣٧) .

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ (الملك : ٣٠) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ (الأنعام:٨٩).
أي ليسوا بها مساومين وليسوا بشيء منها جاحدين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾(محمد:٣٨).
أي ثم لن يكونوا أمثالكم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (القصص : ٥٨) .

﴿ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ ﴾ أي فتلك المتاحف والآثار قد كانت مساكنهم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾ (النمل : ٥٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ (الإنسان:٢٧).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ (الدخان : ٣٤ – ٣٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ العنكبوت: ٣٤

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾(الإسراء:٤٨)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (النساء : ٥٠).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٢٤) .
أي وخدعوا أنفسهم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ (الماعون : ٢ – ٣) .

أي فذلك هو الذي يدع اليتيم أي يدحض اليتيم ويدفعه بفظاظة وغلظة وبلا هوادة ولا رحمة .

وذلك حال الذي يدع اليتيم وذلك مصير الذي يدع اليتيم .

وقد قال عز وجل :

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (الرحمن : ٤٣) .

أي هذه الحمم والبراكين التي ترونها تستعر في الأحجار وفي التلال والجبال وتتقد في مياه البحار والمحيطات جهنم أي عرض لجهنم ففي حديث عن ذي القرنين لما بلغ منطقة ما بين السدين .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴾ (الكهف : ١٠٠) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾(التكاثر : ٦-٧).

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ أي في الدنيا .

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا ﴾ أي في الآخرة عين اليقين .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ الهمزة: ٨ - ٩

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ النازعات: ٣٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ الشعراء: ٩١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الطور: ١٤ - ١٥) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ﴾ (الأنعام : ٣٠) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ (الصافات : ٢٠) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء:٩٧) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾ (القلم : ٣١) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ (الفرقان: ١٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ (الفجر : ٢٣) .

أي من حيث هي كائنة ومتواجدة الآن وإن جهنم لمحيطة بالكافرين أي فيما يسمونه بالحزام البركاني .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (التكوير : ٦) .

مثل اتقدت يحمومًا وسعيرًا آنيا أي غاليا قاسى الغليان .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ (الواقعة : ٩٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ (عبس : ١١) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ (المرسلات: ٢٩-٣٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج : ٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾ (الدخان : ٥٠) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (الأنعام : ٩٤) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (غافر : ١٧) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (يس : ٥٤) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (يس : ٥٩) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (يس : ٦٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (فصلت : ٢١) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن

قَطِرَانٍ ﴾ (إبراهيم : ٤٩ – ٥٠) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾(الشورى:٤٤–٤٥).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ (القمر : ٤٨) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ (السجدة : ٢٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ (الزخرف: ٧٤ – ٧٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ (عبس: ٤٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٦) .

أي بكل جد وصدق ونبل وتفان وإخلاص .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (النحل : ٣٠) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ — لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (ص : ٥٣) .

أي هذا ما توعدون غير أنه مدخر ليوم الحساب أي ليوم المرجع والمعاد .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ — لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ (ق : ٣٢) .

أي وإنا قد ادخرناه لكل أواب حفيظ أي لكل مؤمن تواب متحفظ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ — ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ (الأعراف : ٤٩) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ (التوبة: ٧١) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص : ٨٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم : ٦٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ (يس : ٥٦) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة : ٧) .

فقد وَحّدوا الله حق توحيدهم وأخلصوا دينهم لله .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (المجادلة : ٢٢) .

فهم لا يوالون من كفر من أهل الكتاب ولا الطاغوت .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة : ٢٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ (ق : ٣١ - ٣٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ (الدخان : ٥١ - ٥٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ (الرعد : ٣٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (الشورى : ٢٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزمر : ٦٨) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٩٧) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ (هود : ١٠٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾ (ق : ٤٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴾ (ق : ٢٠) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَـٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (المرسلات : ٣٨) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا

تُكَلِّمُونِ ﴾ (المؤمنون : ١٠٧ – ١٠٨) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ (فاطر: ٣٦) .

أي فلن يموتوا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ (الزخرف: ٧٧) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ (الحج : ٢٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (الفتح : ٢٥) .

أي هؤلاء هم الذين كفروا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾ (المنافقون : ٧) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ﴾ (محمد : ٣٨) .

أي يا هؤلاء .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ (النحل : ١٠٨) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ (ص : ١٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (العنكبوت : ٣٤) .

أي هذه القرية التي ترونها ويستجيرون من ترويجها للمنكرات .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ (النبأ : ٣٩) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٩) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الحديد : ١٥) .

ومن باب استحضار الصورة والمخاطبة المباشرة والواقعة والآنية

بحوادث المستقبل .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ (الكهف : ٤٧ – ٤٨) .

ففي كل هذا نقل للصورة بصدق وإلقاء الضوء من خلالها على الواقع المعاصر المرير ومخاطبة أهله وأصحابه وطوائفه وفئاته خطابا مباشرا فيه كمال وتمام الحضور من جهة وكمال المصداقية من جهة أخرى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أهم المصادر والمراجع

ــ الأصوات اللغوية للدكتور/ إبراهيم أنيس ، ط الخامسة ١٩٧٩م .
ــ أصوات اللغة للدكتور/ عبد الرحمن أيوب ، ط الثانية القاهرة ١٩٦٨م.
ــ الأصوات (دراسات في التجويد والأصوات) للدكتور/ عبد الحميد أبو سكين ، ط القاهرة ١٩٨٣م .
ــ إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ، تحقيق أ / زاهر غازي ، ط بغداد ١٩٧٧م .
ــ إعراب القرآن (مشكل إعراب القرآن) لمكي بن أبى طالب ، تحقيق أ / ياسين محمد السوس .
ــ الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لابن الأنباري ، ط القاهرة .
ــ تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق أ / السيد أحمد صقر ، ط الثانية القاهرة .
ــ التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبى طالب ، تحقيق أ / محمد غوث، ط الأولى الهند .
ــ التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه للدكتور/ رمضان عبد التواب ، ط القاهرة ١٩٨٢م .
ــ تفسير الكرماني (غرائب التفسير وعجائب التأويل) ، تحقيق شمران العجلى ، ط الأولى بيروت ١٩٨٨م .
ــ تفسير أبى حيان (البحر المحيط) نشر القاهرة .
ــ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن) ، تحقيق أ / محمود شاكر، القاهرة .
ــ تفسير الفراء (معاني القرآن) ، تحقيق أ / أحمد يوسف ، أ / محمد النجار، القاهرة ١٩٥٥ .
ــ تفسير الزجاج (معاني القرآن وإعرابه) ، تحقيق د / عبد الجليل شلبي ،

ط القاهرة ١٩٨٨ .

— الحجة في علل القراءات السبع ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق الشيخ / عبد الحليم النجار وآخرين ، ط القاهرة ١٩٨٣م .

— الخصائص ، لابن جنى ، تحقيق الشيخ / محمد علي النجار ، ط الثانية بيروت ١٩٥٢م .

— سر صناعة الإعراب لابن جني ، ط القاهرة ١٩٥٤م .

— شرح المفصل ، لابن يعيش ، نشر بيروت .

— شواذ القراءات (إعراب القراءات الشواذ) لأبي البقاء العكبري، تحقيق أ / محمد السيد عزوز ، القاهرة .

— علم اللغة أسسه ومناهجه ، للدكتور/ عبد الله ربيع والدكتور/ عبد الفتاح البركاوي ، ط الأولى القاهرة ١٤٠٢هـ .

— علم اللغة العام (القسم الثاني — الأصوات) للدكتور/ كمال بشر، القاهرة ١٩٧٠م .

— الغرابة في الحديث النبوي الشريف للدكتور/ عبد الفتاح البركاوي ، ط الأولى ١٩٨٧م .

— الكتاب ، لسيبويه تحقيق أ / عبد السلام هارون ، ط الخانجي القاهرة .

— الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب ، تحقيق د / محي الدين رمضان ، ط دمشق ١٩٧٤م .

— المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ، تحقيق أ / علي النجدي ناصف والشيخ / عبد الحليم النجار ، أ / عبد الفتاح شلبي ، ط القاهرة ١٩٩٤م .

فهرس المباحث والأبوب